جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

قسم الدراسات القرآنية والفقه

المعطيات القرآنية ودورها في معالجة الإشكاليات المعاصرة
دراسة تفسيرية

أطروحة مقدّمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة الشريعة والعلوم الإسلامية

كتبت من قبل الطالب

(أحمد عباس إهميل اعطيه البيضاني)

بإشراف

أ.د. صبحي عودة العادلي

ربيع الآخر ١٤٤٥هـ **اكتوبر ٢٠٢٣ م**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الاسراء: الآية ٩

ترشيح رسالة للطبع

نظراً لإنجاز فصول ومباحث الاطروحة الموسومة بـ (المعطيات القرآنية ودورها في معالجة الإشكاليات المعاصرة - دراسة تفسيرية) لطالب الدكتوراه

(أحمد عباس إهميل البيضاني) فاني ارشحها للطبع .

التوقيع :

المشرف : أ.د. صبحي عودة محمد العادلي

مكان العمل : جامعة ذي قار / كلية العلوم الإسلامية

التاريخ : ٥/٤/٢٠٢٤

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ (**المعطيات القرآنية ودورها في معالجة الإشكاليات المعاصرة - دراسة تفسيرية**) التي قدمها الطالب (أحمد عباس إهميل البيضاني) قد تم أعدادها تحت أشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في الدراسات القرآنية والفقه .

التوقيع :

الرتبة العلمية : استاذ دكتور

الاسم : صبيح عوض محمد الغادي

مكان العمل : جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التاريخ : ١٩/ ٤ / ٢٠٢٣

بناء على توصية المشرفين والمقوم العلمي أرشح هذه الرسالة :

التوقيع :

الاسم : أ.م.د محمد ناظم محمد الجنابي

التاريخ : 2023/5/31

شهادة الخبير اللغوي

اطلعت على رسالة الطالب/ـــه ( ) الموسومة

بـ (المعطيات القرآنية ودورها في معالجة الإشكاليات المعاصرة - دراسة تفسيرية -

) وقومتها لغوياً وأجد أنها صالحة للمناقشة .

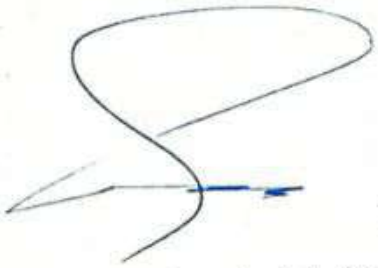

التوقيع:

المرتبة العلمية : م . د .

الاسم : سيثم رشيد حميد

مكان العمل : كلية العلوم الإسلامية - قسم لغة القرآن وآدابها

التاريخ:

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أننا اطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة بـ (**المعطيات القرآنية ودورها في معالجة الاشكاليات المعاصرة - دراسة تفسيرية**) وناقشنا الطالب/ـة (**أحمد عباس اهميل اعطيه**) في محتوياتها وفيما له علاقة بها ، ووجدنا بأنها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جداً) لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة في الشريعة والعلوم الاسلامية.

أ.د.ناهدة جليلَ عبد الحسن
كلية العلوم الاسلامية/ جامعة كربلاء
رئيساً
٢٠٢٣/١٠/٢٤

أ.م.د. طلال فائق الكمالي
جامعة وارث الانبياء (ع)
عضواً

أ.م.د. لواء حميزة كاظم
كلية الفقه/ جامعة الكوفة
عضواً

أ.م.د. عمار محمد حسين
كلية العلوم الاسلامية/ جامعة كربلاء
عضواً

أ.م.د. هدى عباس محسن
كلية العلوم الاسلامية / جامعة كربلاء
عضواً

أ.د. صبحي عودة العادلي
كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء
عضواً ومشرفاً

صدقت في عمادة كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

التوقيع:
الاسم: أ.د.ضرغام كريم كاظم الموسوي
العميد وكالة
التاريخ: 2023/10/24

الإهـــداء

إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطيبين الطاهرين ســـادتي وشـــفعائي يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من آتى الله بقلب سـليم لا سـيما سـيدي ومولاي الحجة ابن الحسـن (عجل الله فرجه) روحي وروح العالمين له الفداء.....

وإلى من ربياني صـــغيراً وسـكنا تراب اللحد (أبي وأمي) رحمكما الله تعالى وجعل قبريكما روضة من رياض الجنة....

إلى كل من ســـاندني وســـاعدني وأرشـــدني ولو بجزء يســـير من المعلومة ....

وإلى رفيقـة الـدرب زوجتي وأم أطفـالي (جنـات، حيـدره، ملاك ، زينة) وجميع أخواني واخواتي .... أهدي هذا الجهد المتواضع.

شكر وعرفان

إذا كان لا بد لي من شكر فلله عز وجل أولاً، ولكل من أساتذتي الأجلاء في كلية العلوم الإسلامية، ولاسيما قسم الدراسات القرآنية والفقه على ما قدموه من نمير علومهم طيلة فترة الدراسة، وما أبدوه لنا من ود واحترام وإخلاص، ومن منطلق الحديث الشريف عن الإمام الباقر(عليه السلام)انه قال:" من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق" [1]... وعلى ذلك فالفضل لهم بعد الله تعالى...

وإلى السيد المشرف الأستاذ الدكتور (صبحي عودة العادلي) لما أبداه لي من ملاحظات طيلة مدة كتابة الأطروحة تعليقاً ونقداً وهدفه خروج هذه الأطروحة بهذه الحلة العلمية ....

وكما أخص بالشكر الجزيل والامتنان الجميل الأحبة والأخوة الذي ساعدوني ببعض المصادر والإرشادات منهم: السيد العميد الأستاذ الدكتور ضرغام كريم الموسوي، والسادة المعاونين، وأعضاء اللجنة العلمية للدراسات العليا، ولا يسعني إلا أن اتقدم بالشكر الجزيل أيضاً كل من الأستاذ الدكتور جاسم محمد علي الغرابي والدكتورة يسرى جلوب مدلول المسعودي، والدكتور حكمت عبيد الخفاجي والدكتور عمار حكمت فرحان والدكتور الفاضل علي زناد البيضاني، لما قدموه من عون وإرشاد سديدين.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الريشهري: ميزان الحكمة،١٤٩٢/٢ح٢٠٧٨.

الخلاصة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد وآله الطاهرين وبعد :

لا يخفى على ذي لب أنَّ القرآن الكريم زاخر بالمعارف الإلهية التي أثبتت صحتها على مرور الأزمان لاسيما في عصرنا الراهن، فلا لا يقتصر على زمان النص وحده بل يتعداه إلى جميع الأزمنة، فهو صالح لكل العصور، ومن ذلك وجهت سهام النقد من المستشرقين وغيرهم إلى قلب الدين الإسلامي وشريعته الصافية، حتى درسوا هذا الدين لا لغاية إلا بهدف اللغط فيه والنيل منه، والقاء الإشكاليات والشبهات المعاصرة على جميع المستويات كالعقائدية والمصدرية والإجتماعية وغيرها ، وكل ذلك من أجل بث روح التشكيك ونزع القداسة من القرآن الكريم ، فلجأوا إلى قراءة النص القرآني وفق قواعد معينة ومحددة.

ويفترض البحث أنَّ هذه الإشكاليات المعاصرة على أختلافها وتنوعها والغايات القابعة خلفها ، عالجها القرآن الكريم وفق رؤى عصرية منفردة ، ولا سيما إذا علمنا أنَّ بعض هذه الإشكاليات قديمة صقلت بقوالب جديدة ، فكان لزاماً علينا والحال هذا استنطاق القرآن الكريم تجاه هذه المستحدثات العصرية، وهنا نتساءل هل كان القرآن الكريم في طليعة المتصدين لتلك الإشكاليات وبيان مضارها على المجتمع الإسلامي وغير ذلك؟ .

ولذا فأن الباحث عنى بدراسة الموضوع ب:" **المعطيات القرآنية ودورها في معالجة الإشكاليات المعاصرة- دراسة تفسيرية**" التي اشتملت على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة ، وقف فيها على أهم الإشكاليات المعاصرة وكيفية علاجها وفق الرؤى القرآنية التي تناسب مقتضيات العصر، مع بيان القلم المأجور الذي جاء بها ثم خرج بمجموعة من التوصيات والنتائج التي توصل إليها خدمة للدين الإسلامي ودستوره الخالد.

قائمة المحتويات

رقم	الموضوع	رقم الصفحة
١.	الآية	أ
٢.	الإهداء	ب
٣.	شكر وعرفان	ت
٤.	الخلاصة	ث
٥.	قائمة المحتوى	ج – ض
٦.	المقدمة	١–٥
٧.	**تمهيد: الأطار النظري لمفردات العنوان**	٦–٢٨
٨.	المبحث الأول–التعريف بمفردات العنوان	٦–٩
٩.	المطلب الأول–معنى المعطيات في اللغة والاصطلاح	٦
١٠.	أولاً–المعطيات لغة	٦
١١.	ثانياً–المعطيات اصطلاحاً	٦
١٢.	المطلب الثاني–القرآن في اللغة والاصطلاح	٧
١٣.	أولاً–القرآن لغة	٧
١٤.	ثانياً–القرآن اصطلاحاً	٧–٨
١٥.	المطلب الثالث–الدور في اللغة والاصطلاح	٨
١٦.	أولاً–الدور لغة	٨
١٧.	ثانياً–الدور اصطلاحاً	٨
١٨.	المطلب الرابع–المعالجة في اللغة والاصطلاح	٩
١٩.	أولاً–المعالجة لغة	٩

١٩	ثانياً-المعالجة اصطلاحاً	٩
٢٠	المبحث الثاني–الإشكاليات في اللغة والاصطلاح	١٠
٢١	المطلب الأول–الإشكاليات لغة	١١-١٠
٢٢	المطلب الثاني–الإشكاليات اصطلاحاً	١٢
٢٣	المطلب الثالث–مفهوم المعاصرة في اللغة والاصطلاح	١٣
٢٤	أولاً–المعاصرة لغة	١٣
٢٥	ثانياً–المعاصرة اصطلاحاً	١٥-١٣
٢٦	المطلب الرابع–مفهوم الدراسة في اللغة والاصطلاح	١٦
٢٧	أولاً–الدراسة لغة	١٦
٢٨	ثانياً–الدراسة اصطلاحاً	١٦
٢٩	المطلب الخامس–مفهوم التفسير في اللغة والاصطلاح	١٧
٣٠	أولاً–التفسير لغة	١٧
٣١	ثانياً–التفسير اصطلاحاً	١٧
٣٢	المبحث الثالث: الفرق بين الإشكالية والمشكلة واسباب ظهور الإشكاليات المعاصرة ودوافعها	١٨
٣٣	المطلب الأول ـ الفرق بين الإشكالية والمشكلة	١٨
٣٤	المطلب الثاني–النشأة التاريخية للإشكاليات المعاصرة	٢١-١٩
٣٥	المطلب الثالث–الأسباب والدوافع للإشكاليات المعاصرة	٢٨-٢٢
٣٦	أولاً –الفتوحات الإسلامية	٢٢
٣٧	ثانياً – المحافظة على تراث اليونان	٢٣
٣٨	ثالثاً –التبشير والأهداف السياسية	٢٤
٣٩	رابعاً – تحريف الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل	٢٦-٢٥
٤٠	خامساً – الصراع بين الحضارات	٢٨–٢٧

٤١	**الفصل الأول–الإشكاليات المعاصرة المتعلقة بالعقيدة الإسلامية وعلاجها في القرآن الكريم**	٢٩
٤٢	المبحث الأول–الإشكاليات الناشئة من مناهضة التوحيد	٣٠
٤٣	المطلب الأول–إشكالية الإلحاد المعاصر	٣١-٣٢
٤٤	أولاً–الإلحاد في اللغة	٣١
٤٥	ثانياً –الإلحاد في الاصطلاح	٣٢
٤٦	المطلب الثاني–المعطيات القرآنية في معالجة ظاهرة الإلحاد وانتشارها في المجتمع الإسلامي	٣٣
٤٧	المقصد الأول–الرجوع إلى الفطرة السليمة وإحيائها	٣٣-٣٧
٤٨	أولاً –الاستفادة من دور العقل واللجوء إليه	٣٥-٣٦
٤٩	ثانياً –الاستفادة من الابتلاءات والمصائب والمحن	٣٧
٥٠	المقصد الثاني–الاستعانة بالعلم والمعرفة	٣٨–٤٤
٥١	أولاً–التدبر في خلق الله والتفكر به	٣٩
٥٢	ثانياً –المجادلة بالحسنى مع الملحدين	٤٠–٤١
٥٣	ثالثاً –الانتفاع من البراهين والأدلة العقلية المنبثقة من القرآن الكريم في مواجهة الفكر الإلحادي	٤٢
٥٤	١–برهان النظم	٤٢–٤٣
٥٥	٢–برهان الإمكان والوجوب	٤٤
٥٦	المقصد الثالث–الرد على الإشكاليات والدعاوى التي يطرحها الملاحدة	٤٥–٤٩
٥٧	أولاً –نظرية النشوء والتطور	٤٥–٤٧
٥٨	ثانياً –نظرية الانفجار الكوني	٤٧–٤٩
٥٩	المبحث الثاني–إشكالية اتهام النبي (ﷺ) بمخالفة التشريع	٥٠
٦٠	المطلب الأول–إشكالية حب النبي (ﷺ) للنساء	٥٠–٥٢

٦١	المطلب الثاني–المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية حب النبي (ﷺ) للنساء	٥٣-٥٧
٦٢	أولاً–القضاء على العادات الجاهلية	٥٣-٥٤
٦٣	ثانياً –إباحة التعددية الزوجية	٥٥
٦٤	ثالثاً–بطلان الأحاديث التي استدل بها المستشرقون	٥٦
٦٥	رابعاً – صيانة المجتمع من الفساد	٥٧
٦٦	المطلب الثالث– إشكالية تحريم النبي (ﷺ) لما أحله الله له	٥٨-٦٠
٦٧	المطلب الرابع–المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية تحليل النبي (ﷺ) ما أحل الله له	٦١-٦٥
٦٨	أولاً –العصمة الإلهية للنبي (ﷺ)	٦٣-٦٤
٦٩	ثانياً–اسلوب المعاتبة في القرآن ينقض هذه الإشكالية	٦٤–٦٥
٧٠	المبحث الثالث–إشكالية معتقد المعاد وعلاجه في القرآن الكريم	٦٦
٧١	المطلب الأول–إشكالية إنكار الماديين للمعاد الجسماني العنصري	٦٦–٦٨
٧٢	المطلب الثاني–المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية إنكار المعاد الجسماني	٦٩–٧٨
٧٣	أولاً –إثبات النشأة الأولى	٦٩–٧٠
٧٤	ثانياً –العدالة الإلهية تنفي إنكار المعاد الجسماني	٧٠–٧٢
٧٥	ثالثاً–قانون التكامل في المسير الإنساني يثبت وجود المعاد	٧٢–٧٣
٧٦	رابعاً –إحياء الأرض بعد موتها دليل على أثبات المعاد الجسماني	٧٣–٧٤
٧٧	خامساً–النماذج التطبيقية لأصل المعاد في القرآن الكريم	٧٥–٧٨
٧٨	النموذج الأول–قصة نبي الله عزير (عليه السلام)	٧٥
٧٩	النموذج الثاني–قصة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) مع الطيور	٧٦

٨٠	النموذج الثالث–قصة إحياء قوم موسى(عليه السلام)	٧٧
٨١	المطلب الثالث–إشكالية تكلم أعضاء البدن وشهادتها	٧٩-٨٤
٨٢	المقصد الأول–بيان إشكالية تكلم أعضاء بدن الإنسان يوم القيامة	٧٩
٨٣	المقصد الثاني –المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية تكلم أعضاء البدن يوم القيامة	٨٠
٨٤	أولاً–أختلاف قوانين النشأتين	٨٠-٨١
٨٥	ثانياً –الشعور والإدراك في بعض الجمادات	٨٢
٨٦	ثالثاً –عدم استقلالية الموجودات عن الله تعالى	٨٣-٨٤
٨٧	المطلب الرابع–إشكالية الرجعة وطرق علاجها	٨٥-٩٢
٨٨	المقصد الأول–بيان معنى هذه الإشكالية ومصدرها	٨٥
٨٩	المقصد الثاني–المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية الرجعة	٨٦
٩٠	أولاً–وراثة المستضعفين للأرض	٨٦
٩١	ثانياً–إخبار القرآن الكريم بالرجعة	٨٧-٨٨
٩٢	ثالثاً–وقوع الرجعة في الأمم السالفة	٨٩-٩٠
٩٣	رابعاً –إحياء قتيل بني إسرائيل	٩٠-٩٢
٩٤	**الفصل الثاني–الإشكاليات المعاصرة المتعلقة بالقرآن الكريم وعلاجها في القرآن الكريم**	٩٤
٩٥	المبحث الأول–إشكالية بشرية القرآن الكريم والرد عليها	٩٥-١٠٣
٩٦	المطلب الأول–بيان معنى هذه الإشكالية ومصدرها	٩٥-٩٨
٩٧	المطلب الثاني–المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية بشرية القرآن الكريم	٩٨-١٠٣
٩٨	أولاً –أمية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تكذب مزاعم المستشرقين	٩٨-٩٩
٩٩	ثانياً –الانفصال التام بين الذات المُلقية والذات المتلقية	١٠٠-١٠١
١٠٠	ثالثاً –شهادة القرآن الكريم نفسه بأنه موحى من الله تعالى	١٠٢

١٠١	رابعاً –شهادة المستشرقين المنصفين	١٠٣
١٠٢	المبحث الثاني–إشكالية تحريف القرآن عند المستشرقين وطرائق علاجها	١٠٤-١١٨
١٠٣	المطلب الأول–بيان إشكالية تحريف القرآن ومصدرها	١٠٤-١٠٥
١٠٤	المطلب الثاني–المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية التحريف	١٠٦
١٠٥	أولاً – الصيانة الإلهية للقرآن الكريم من التحريف	١٠٦-١٠٧
١٠٦	ثانياً – انتقاء الروايات الضعيفة والشاذة التي تدل على التحريف	١٠٨-١١١
١٠٧	ثالثاً –إجماع الأمة الإسلامية على نفي التحريف	١١٢-١١٣
١٠٨	رابعاً –التواتر في النقل	١١٤-١١٥
١٠٩	خامساً –اعجاز القرآن يفند ادعاء التحريف	١١٥-١١٨
١١٠	المبحث الثالث–إشكالية التأثر بالكتب السماوية السابقة	١١٩
١١١	المطلب الأول: بيان اشكالية التأثر بالكتب السماوية	١١٩-١٢١
١١١	المطلب الثاني–المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية التأثر بالكتب السماوية	١٢٢-١٢٧
١١٢	أولاً–اختلاف اللغة بين القرآن الكريم والكتاب المقدس	١٢٢-١٢٣
١١٣	ثانياً–انتقاد القرآن الكريم للكتاب المقدس	١٢٤-١٢٥
١١٤	ثالثاً –الهيمنة القرآنية على الكتب السماوية	١٢٦-١٢٧
١١٥	**الفصل الثالث–الإشكاليات الاجتماعية المعاصرة وعلاجها في القرآن الكريم**	١٢٨
١١٦	المبحث الأول–إشكالية المساواة بين الرجل والمرأة وعلاجها في القرآن الكريم	١٣٠-١٣٦
١١٧	المطلب الأول–بيان إشكالية المساواة بين الرجل والمرأة	١٣٠-١٣٢
١١٨	المطلب الثاني–المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية المساواة	١٣٢
١١٩	أولاً –القوامة الزوجية	١٣٢-١٣٣

١٢٠	ثانياً –المعطيات الفسيولوجية للرجل	١٣٣-١٣٥
١٢١	ثالثاً –التفضيل التكويني للرجل	١٣٥-١٣٦
١٢٢	المبحث الثاني–إشكالية ميراث المرأة وعلاجه في القرآن الكريم	١٣٧-١٤٤
١٢٣	المطلب الأول–بيان إشكالية ميراث المرأة المسلمة في الإسلام	١٣٧-١٣٨
١٢٤	المطلب الثاني–المعطيات القرآنية في علاج إشكالية ميراث المرأة المسلمة	١٣٩-١٤٤
١٢٥	أولاً –المرأة تساوي الرجل في بعض الحالات	١٣٩-١٤٠
١٢٦	ثانياً –إقرار الإسلام الصداق للمرأة دون الرجل عوضاً لها عن الميراث	١٤٠-١٤١
١٢٧	ثالثاً –مكافحة العادة الجاهلية القاضية بحرمان المرأة من الميراث	١٤٢-١٤٤
١٢٨	المبحث الثالث–إشكالية الشذوذ الجنسي وعلاجه في القرآن الكريم	١٤٥-١٥٢
١٢٩	المطلب الأول–بيان معنى إشكالية الشذوذ الجنسي	١٤٥-١٤٦
١٣٠	المطلب الثاني–المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية الشذوذ الجنسي	١٤٧
١٣١	أولاً –التوبة وعدم القنوط من رحمة الله تعالى	١٤٧-١٤٨
١٣٢	ثانياً –الزواج	١٤٨
١٣٣	ثالثاً –الصوم	١٤٩-١٥٠
١٣٤	رابعاً –الإبتعاد عن أقران السوء	١٥٠-١٥١
١٣٥	خامساً – خفظ البصر والفرج عمّا حرّم الله تعالى	١٥١-١٥٢
١٣٦	المبحث الرابع–إشكالية تعدد الزوجات وعلاجها في القرآن الكريم	١٥٣-١٥٩
١٣٧	المطلب الأول–بيان مفهوم هذه الإشكالية ومصدرها	١٥٣-١٥٥

١٣٨	المطلب الثاني–المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية تعدد الزوجات	١٥٥
١٣٩	أولاً–تهذيب وتنظيم التشريعات في الأديان السابقة	١٥٥-١٥٦
١٤٠	ثانياً–إعفاء النفس وصونها من الوقوع في الحرام	١٥٦-١٥٨
١٤١	ثالثاً–تعدد الزوجات يقضي على العنوسة في المجتمع	١٥٨-١٥٩
١٤٢	المبحث الخامس–إشكالية حجاب المرأة المسلمة وعلاجه في القرآن الكريم	١٦٠-١٦٩
١٤٣	المطلب الأول–بيان مفهوم إشكالية الحجاب عند المرأة المسلمة	١٦٠-١٦٢
١٤٤	المطلب الثاني–المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية حجاب المرأة المسلمة في التشريع الإسلامي	١٦٣
١٤٥	أولاً–الحجاب يحافظ على عفة المرأة وكرامتها	١٦٣-١٦٤
١٤٦	ثانياً –القضاء على التحرش الجنسي	١٦٤-١٦٥
١٤٧	ثالثاً –القضاء على ظاهرة التبرج التي كانت موجودة قبل الإسلام	١٦٦-١٦٩
١٤٨	**الفصل الرابع–الإشكاليات الاقتصادية المعاصرة وسبل علاجها في القرآن الكريم**	١٧٠
١٤٩	المبحث الأول–الإشكاليات الاقتصادية المعاصرة المتعلقة بفريضة الزكاة وطرق علاجها في القرآن الكريم	١٧٢-١٧٩
١٥٠	المطلب الأول–إشكالية استحباب الزكاة عند بعض الحداثيين	١٧٢-١٧٤
١٥١	المطلب الثاني–المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية استحباب الزكاة عند الحداثيين	١٧٤
١٥٢	أولاً–دلالة فعل الأمر (خذ) ظاهرة في الوجوب	١٧٤-١٧٦

١٥٣	ثانياً–الزكاة مطهرة للفرد والمجتمع	١٧٧-١٧٨
١٥٤	ثالثاً –فريضة الزكاة تسهم في القضاء على التفاوت الطبقي في المجتمع	١٧٨-١٧٩
١٥٥	المبحث الثاني–إشكالية انكار سهم المؤلفة قلوبهم عند الحداثيين	١٨٠
١٥٦	المطلب الأول–بيان سهم المؤلفة قلوبهم وفق المنظور الحداثي	١٨٠-١٨٢
١٥٧	المطلب الثاني–المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية إنكار سهم المؤلفة قلوبهم عند الحداثيين	١٨٢
١٥٨	أولاً–لا اجتهاد في قبال النصوص القطعية	١٨٣-١٨٤
١٥٩	ثانياً –أداة الحصر(إنما) وسياق الآية تدلان عن وجوب سهم المؤلفة قلوبهم	١٨٤
١٦٠	ثالثاً –بطلان الاستدلال بالأحداث التاريخية على الأحكام الشرعية	١٨٥
١٦١	المبحث الثالث–الإشكاليات الأقتصادية حول فريضة الحج وعلاجها في القرآن الكريم	١٨٦
١٦٢	المطلب الأول–إشكالية وثنية الحج عند الحداثيين	١٨٦
١٦٣	المطلب الثاني–المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية وثنية الحج عند بعض الحداثيين	١٨٨
١٦٤	أولاً –الفهم الخاطئ لمفهوم الوثنية	١٨٨-١٩٠
١٦٥	ثانياً –الحج تصحيح للعقائد الخاطئة	١٩١-١٩٤
١٦٦	ثالثاً –الحج تكليف إلهي وامتثال لأمر الله تعالى	١٩٥-١٩٦
١٦٧	رابعاً –الفوائد الاقتصادية والمالية للحج	١٩٧-١٩٨
١٦٨	المطلب الثاني–إشكالية دموية الحج والرد عليها وفق المنظور القرآني	١٩٩

١٦٩	المقصد الأول–بيان إشكالية دموية الحج	١٩٩-٢٠٠
١٧٠	المقصد الثاني–المعطيات القرآنية لإشكالية دموية الحج	٢٠١
١٧١	أولاً–تشديد الشريعة الإسلامي على الرفق بالحيوان	٢٠١-٢٠٢
١٧٢	ثانياً –نهي الشريعة الإسلامية عن التمثيل بالحيوان	٢٠٣-٢٠٥
١٧٣	المطلب الثالث–إشكالية مواقيت الحج عند بعض الحداثيين	٢٠٥
١٧٤	المقصد الأول–بيان إشكالية مواقيت الحج	٢٠٥-٢٠٦
١٧٥	المقصد الثاني–العلاج القرآني لإشكالية توقيتات الحج عند الحداثيين	٢٠٦
١٧٦	أولاً–توقيتات الحج من القضايا التوقيفية التي لا دخل للعقل فيها	٢٠٦-٢٠٧
١٧٧	ثانياً –جهالة الحداثيين بالقرآن الكريم واساليبه	٢٠٨-٢٠٩
١٧٨	ثالثاً –إخفاق الحداثيين في بيان المفهوم الحقيقي للحج الأكبر	٢١٠-٢١١
١٧٩	المبحث الرابع–إشكالية الحداثيين حول فريضة الخمس وعلاجها في القرآن الكريم	٢١٢
١٨٠	المطلب الأول–إشكالية استحباب الخمس عند بعض الحداثيين	٢١٢-٢١٤
١٨١	المطلب الثاني–المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية استحباب الخمس عند الحداثيين	٢١٤
١٨٢	أولاً–مخالفة ومناقضة الحداثيين لكتاب الله	٢١٤-٢١٦
١٨٣	ثانياً –مخالفة الحداثيين لصريح السنة الشريفة	٢١٦-٢١٨
١٨٤	المبحث الخامس –إشكالية نسبة الخمس إلى الله تنافي غناه وعلاجها في القرآن الكريم	٢١٩

١٨٥	المطلب الأول–بيان إشكالية الخمس ونسبته إلى الله تعالى	٢١٩
١٨٦	المطلب الثاني–المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية فقر الله تعالى	٢٢٠
١٨٧	أولاً–بطلان نسبة التنافي بين الخمس والغني لله تعالى	٢٢٠-٢٢١
١٨٨	ثانياً –نسبة المال إلى الله نسبة مجازية لا حقيقية	٢٢١-٢٢٢
١٨٩	الخاتمة واهم النتائج	٢٢٣
١٩٠	التوصيات	٢٣٠
١٩١	المصادر والمراجع	٢٣١-٢٦٢
١٩٢	الترجمة الانكليزية	A-C

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمجد والخاتم محمد الذي أُرسل رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين واصحابه المنتجبين.

أما بعد...

في خضم صراع الحضارات وإثبات الوجود، واستكمالاً لطبيعة الهيمنة في كل مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والعقائدية والاقتصادية وغيرها، بزغ فجر الحضارة الإسلامية، وأفل نجم غيرها من الحضارات الأخرى حتى علا كعبها واشتد ساعدها، وثبتت أركانها بما تملكه من مقومات صلدة تتمثل بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، وبالعلماء الذين آثروا على أنفسهم رفع راية الإسلام عالية من خلال بيان أوجه قوة الدين الإسلامي المتمثلة بتشريعاته المقدسة ذات الارتباط بالوحي الإلهي.

ومن ذلك ظهرت الحاجة الماسة إلى بيان الكنوز العظيمة التي ينبغي الاستفادة منها، وذلك من خلال المعطيات القرآنية التي تعالج المشكلات العصرية على أختلافها وتنوع مصادرها، والغايات القابعة خلفها، والأهداف التي تسعى إلى الوصول إليها. ومن هنا ظهرت في العصر الحاضر أقلام مأجورة نفثت سمومها في جسد الأمة الإسلامية، وكان ديدنها إلقاء الإشكاليات المختلفة سواء كانت عقائدية، أو مصدرية، أو أجتماعية أو اقتصادية إلى غير ذلك، من أجل توهين المسلمين في دينهم وتشريعاتهم المقدسة.

فكان لفئة المستشرقين الحظوة الكبرى في هذه الإشكاليات، فكرسوا كل جهدهم من أجل إخراج الدين الإسلامي بنظرة سوداوية، لكي تشمئز منه النفوس، وكان من نتاج ذلك تأثر بعض الحداثيين بتلك الأفكار المسمومة، فكانت رؤيتهم منطبقة تمام الانطباق مع ما ذكره المستشرقون، فهم كخنجر يضرب الصميم الإسلامي من الداخل، وهؤلاء أهدافهم معروفة وغاياتهم مكشوفة بحجة تخلف بعض التشريعات وعدم مسايرتها للعصر، فكان لزاماً علينا بيان تلك الإشكاليات والرد عليها على وفق المنظور الإسلامي والروية القرآنية.

أهمية الموضوع:

نظراً لأهمية الموضوع وتشعبه وكثرة الآراء حوله، إلا أنى استعنت بالله العلي العظيم، والرغبة في الكتابة لهذا الموضوع لما يمثل عنصر الحداثة فيه، ومحاولة استقراء النصوص القرآنية لحل مثل هذه الإشكاليات، واستنطاق القرآن الكريم وتثويره تجاه تلك المستجدات والمستحدثات العصرية؛ لأنه كتاب الزمن.

فرضيات البحث:

وهنا يجدر بنا أن نتساءل هل كان القرآن الكريم في طليعة المتصدين للإشكاليات العصرية كما هو الحال في العقائدية كالتوحيد وغيره؟ وهل له كلمة الفصل في التصدي لبعض الإشكاليات المعاصرة التي تطال الكتاب الكريم والتشكيك في مصدريته التي جاء بها بعض المستشرقين ومعالجتها وفق سبل متعددة ومتنوعة؟ وهل كان للقضايا الإجتماعية التي طرحها المستشرقون وغيرهم إجابات كافية للرد على مزاعمهم فضلا عن الإشكاليات الاقتصادية منها وعلاجهما علاجاً وفق رؤى عصرية؟.

ومن خلال هذه المقدمات، ينبغي علينا أن نقف على اعتاب هذه الإشكاليات، وإبرازها، وبيانها، ومن ثم علاجها من أجل تهذيب تلك التشريعات من الملوثات المخالفة، وهذه هي الغاية التي جعلتني أختار هذا الموضوع.

ولا ازعم بعقلي القاصر أنني أدركت كل أبعاد وأعماق الإشكاليات المعاصرة، ولا أدعي الكمال في هذه الدراسة، فالكمال لله تعالى وحده، ولكن يحسب لي أنني لم أقف عاجزاً عن تناول مثل هذه الإشكاليات، من خلال البحث عنها في بطون الكتب المختلفة للمعاصرين وغيرهم، وتبويب هذه الإشكاليات ومن جاء بها، والرد عليهم، على وفق القدرة والاستطاعة.

الدراسات السابقة:

الدراسات حول الإشكاليات المعاصرة كثيرة منها:

١-الإشكاليات المعاصرة وأثرها عند الشيخ محمد جواد مغنية في تفسيره الكاشف أنموذجاً دراسة تحليلية-أشراف الدكتور: عمار حكمت فرحان، اعداد الطالبة: يسرى جلوب مدلول، الناشر: جامعة بغداد كلية العلوم الإسلامية، ٢٠٢٠م.

٢-اشكالية التقليد الأعمى في الواقع المعاصر وعلاجها في القرآن الكريم، اطروحة دكتوراه، للطالبة: نجلاء مولود، الجامعة العراقية – كلية الآداب.

٣-معالجة الإشكاليات المعاصرة للعدل الإلهي، للطالبة: رغد عبد الهادي، الناشر: جامعة الكوفة – كلية الفقه. وغيرها. ولكن لم أجد من أضفى عليها أسلوب الرد القرآني من خلال استنطاق القرآن الكريم، في التعامل معها على النحو الشمولي.

منهج البحث:

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة ،فهو المنهج الاستقصائي التفسيري ، المعاضد ببيان السنة النبوية المطهرة ، إذ عمل الباحث على بيان مفهوم الاشكالية ، مع بيان القلم المأجور الذي جاء بها سواء كان من المستشرقين أو الحداثيين أو المؤسسات العصرية، ثم بيان طرائق علاجها في القرآن الكريم من خلال الآيات القرآنية المعززة بأقوال المفسرين ، وفي بعض الأحيان تكون المعالجة على وفق المنهج النبوي من خلال الروايات الواردة عن النبي واهل بيته (عليهم السلام) وصحابته، مع الاستئناس في بعض الأحيان في بعض أراء المستشرقين المنصفين في الرد على هذه الإشكاليات.

خطة البحث:

وأما خطة البحث فقد تضمنت الدراسة على أربعة فصول تسبقها مباحث تمهيدية فالتمهيد ذكر فيه الإطار النظري لمفردات العنوان، واما الفصول الأربعة قسمت على مباحث عدة، سبقتها مقدمة وتلتها خاتمة وهي:

الفصل الأول: جعل تحت عنوان " الإشكاليات المعاصرة المتعلقة بالعقيدة الإسلامية" وتمت الدراسة في هذا الفصل على ثلاثة مباحث: خصص الأول منه لبيان " الإشكاليات الناشئة من مناهضة التوحيد، كالإلحاد وعلاجه في القرآن الكريم" في حين المبحث الثاني لـ " إشكالية معتقد النبوة، كحب النبي للشهوات، وتحريم ما أحل الله

له، وعلاجهما، وتناول المبحث الثالث" الإشكاليات المتعلقة بالمعاد، كإشكالية، إنكار المعاد الجسماني، وتكلم أعضاء البدن، والحياة بعد الموت، وعلاجها في القرآن الكريم.

أما الفصل الثاني: فقد عني بدراسة " بعض الإشكاليات حول القرآن الكريم وسبل علاجها" إذ احتوى على ثلاثة مباحث، كُرس الأول منها: إشكالية بشرية القرآن الكريم وعلاجها، وخصص المبحث الثاني لـ " إشكالية تحريف القرآن وسبل علاجها" ودرست في المبحث الثالث" إشكالية التأثر بالكتب السماوية وعلاجها في القرآن الكريم".

وأمّا الفصل الثالث من الدراسة فأخذ عنوان " الإشكاليات الإجتماعية وطرائق علاجها في القرآن الكريم" حيث اشتمل هذا الفصل على خمسة مباحث: كان الأول منها: إشكالية المساواة بين الرجل والمرأة " بينما تناول الثاني" إشكالية ميراث المرأة المسلمة وطرائق علاجه" وخصص الثالث" إشكالية الشذوذ الجنسي " وعني المبحث الرابع " إشكالية حرية المرأة وعلاجها في القرآن الكريم " وأما المبحث الأخير فأخذ" إشكالية تعدد الزوجات "

وأمّا الفصل الرابع: فقد اتسم بعنوان" الإشكاليات الاقتصادية وطرائق علاجها في القرآن الكريم" فقد تمت دراسته عبر ثلاثة مباحث: الأول منها: الإشكاليات المتعلقة بالزكاة، " والثاني كرس لـ " الإشكاليات المتعلقة بالحج ، واما المبحث الأخير فقد خصص " للإشكاليات المتعلقة بفريضة الخمس،.

وختمت الدراسة بأهم النتائج التي خرجت بها، منها ما ذكرناه في أثناء الأطروحة ومنها ما عمدنا إلى ابرازه على نحوٍ مستقل، وبيان أهم النقاط المتعلقة به.

وفي الختام أسال الله العلي القدير أنْ أكون قد وفقت في إعداد هذه الدراسة وقدر استطاعتي، في بيان أهم الإشكاليات المعاصرة وطرائق علاجها في القرآن الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد وآله المعصومين الطاهرين.

التمهيد: الأطار النظري لمفردات العنوان

المبحث الأول: التعريف بمفردات العنوان

المطلب الأول: مفهوم المعطيات في اللغة والاصطلاح

أولاً: المعطيات لغة: اشارت المصادر اللغوية إلى أنَّ الجذر للغوي للفظ المعطيات مأخوذة من الفعل أعطى، قال الخليل (ت:١٧٠هـ): العطاء اسم لما يعطى، ويشمل الذهب والفضة، وجمعه اعطيات، وقيل: العطو: هو التناول باليد(١).

وذكر الزبيدي(ت:١٢٠٥هـ) المعطيات، من الفعل عطا، والاصل فيه (عطاو) بالواو من عطوت، حيث أنَّ العرب لا تهمز الواو والياء إذا جاء بعدهما حرف الألف، ومنه العطية والجمع أعطيات وعطايا (٢).

ثانياً: المعطيات اصطلاحاً: عرفت المعطيات بتعريفات متعددة منها:

عرفها الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ): "هي الأشياء الموجودة في الكون من بحث فيها توصل إلى غيبيات الكون واسراره " (٣).

وعرفها أحمد مختار عمر:" قضايا مسلمة يتوصل بها إلى معرفة القضايا المجهولة" (٤). أو هي: " ما يقدّمه الواقع الرَّاهن مادّة للدَّرس أو العمل" (٥).

ويبدو أنَّ التعريفات اللغوية والاصطلاحية للفظ المعطيات عام يشمل التاريخية، والفقهية، فالبعض ينظر إليها من زاوية تخصصه العلمي، ولكن كلها لا تعطي المعنى المراد من اللفظة، الا من خلال إضافتها إلى ما بعدها وهو لفظ القرآنية وبذلك فتكون بمعنى المادة القرآنية ودورها في معالجة الإشكاليات المعاصرة أوهي ما تحويه من الآيات القرآنية من مفاهيم وحقائق في علاج تلك الإشكاليات.

---

(١) يُنظر: العين، ٢٠٨/٢.

(٢) تاج العروس،٦٢/٣٩.

(٣) الخواطر،٨١٠٥/١٣.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة،١٥١٨/٢.

(٥) المصدر نفسه، ١٥١٨/٢.

المطلب الثاني: القرآن في اللغة والاصطلاح

أولاً: القرآن لغة: القرآن مشتق من قرأ وهذا ما ذكره صاحب لسان العرب (ت:٧١١هـ)، والقرآن مشتق من الفعل قرأ ومعناه الجمع، ومنه القرآن وهو ضم بعضها إلى البعض وجمعها [١].

وهذا الجذر اللغوي للقرآن هو المرتكز الرئيس الذي استند إليه المتأخرون من أرباب اللغة، ولذا نجد أنَّ الزبيدي يساوق ويماثل ما ذكره الاقدمون فقال: والقرآن أخذ من الفعل قرأ ومعناه الجمع والضم، ومنه قرأ القرآن، أي جمعه بضميمة بعضه إلى بعض، وكذا ما قرأت الناقة سلا قط، أي لم تحمل جنيناً في رحمها [٢].

ثانياً: القرآن اصطلاحاً: عُرّف بتعريفات متعددة نذكر بعضاً منها:

عرفه الشيخ الصدوق(ت:٣٢٨هـ):" إنه كلام الله ووحيه وتنزيله، وقوله وكتابه، وانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه " [٣] وعرفه الدكتور صبحي الصالح فقال: " هو الوحي المنزّل على النبي محمد –صلى الله عليه وآلة-لفظاً ومعنى واسلوباً، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر"[٤]، والسيد محمد باقر عرفه فقال:" هو الكلام المعجز، المنزل وحياً على النبي (ﷺ) المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته"[٥].

ويعرفه الباحث: هو الكلام المنزل على عبده ورسوله محمد بن عبد الله، المنقول عنه بالتواتر، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس، المتعبد بتلاوته الذي تكفل الله بحفظه ورعايته.

---

(١) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب،١٢٨/١.

(٢) يُنظر: تاج العروس، ٣٧٠/١.

(٣) الاعتقادات في دين الإمامية، ص٨٣.

(٤) مباحث في علوم القرآن، ص٢١.

(٥) علوم القرآن، ص٢٣.

والمعطيات القرآنية بالمفهوم التركيبي: هل كل ما تناوله القرآن الكريم من خلال آياته الكريمة، من موضوعات تتعلق بالعقائد والتشريعات المختلفة، من أجل بيان المعاني المقصودة، في معالجة الإشكاليات المعاصرة.

المطلب الثالث: الدور في اللغة والاصطلاح

أولاً: الدور لغة : قال الخليل: "والدائرة: الحلقة، والشيء المستدير" (١) وقال ابن فارس(ت:٣٩٥هـ): "الدال والواو والراء أصل واحد، يدل على إحداق الشيء بالشيء من حواليه"(٢). ودار الشيء يدور دوراً ودوراناً، وتدوير الشيء جعله مدوراً (٣). ويقال: دار يدور، واستدار يستدير، بمعنى إذا طاف حول الشيء، وإذا عاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه، والدائرة، والدارة، كلاهما: ما أحاط بالشيء(٤).

ثانياً: الدور اصطلاحاً: عرفه الرازي(ت:٦٠٦هـ) بقوله: "الدور هو أن يحتاج الأول إلى الثاني، والثاني إلى الأول، إما بواسطة أو بغير واسطة "(٥). ويقول الجرجاني (ت:٨١٦هـ) : "الدور هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه، ويسمى الدور المصرح"(٦). وعرفه محمد قلعجي فقال:" عود الشئ إلى ما كان عليه " (٧).

ومن خلال ما تقدم: يتجلى لنا أنَّ التعريفات تتمحور حول الطواف حول الشيء والعودة إلى ما كان عليه، والاحاطة به، وكل ذلك يسمى دائراً.

---

(١) العين ٥٧/٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣١٠/٢.

(٣) يُنظر: الفخر الرازي، مختار الصحاح ٦٦٠/٢، معجم مقاييس اللغة ٣١٠/٢، لسان العرب ٢٩٦/٤.

(٤) يُنظر: لسان العرب ٢٩٦/٤، المصباح المنير ٢٠٢/١.

(٥) المباحث المشرقية ٥٩٦/١، وانظر: المواقف ص٨٩.

(٦) التعريفات ص١٤٠ – ١٤١.

(٧) الكليات، ص ٤٤٧.

المطلب الرابع: المعالجة في اللغة والاصطلاح

أولاً: المعالجة لغة: الجذر اللغوي للعلاج مشتق من علج، قال ابن فارس (ت:٣٩٥هـ)، الْمُعَالَجَةِ، "وَهِيَ مُزَاوَلَةُ الشَّيْءِ ،... ومنه العلاج وَالْعِلَاجُ: مُزَاوَلَةُ الشَّيْءِ وَمُعَالَجَتُهُ. تَقُولُ: عَالَجْتُهُ عِلَاجًا وَمُعَالَجَةً" (١). ويماثله ما ذكره مرتضى الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ): والعلاج، اسم لكل ما يعالج به (٢). وتكاد تتفق كلمة اللغويين على ذلك، فلم نجد من شذ منهم في ذلك.

ثانياً: المعالجة اصطلاحاً: عرفت بتعريفات عديدة نذكر منها:

تعرف المعالجة من جهة نظر أهل الطب، كما ذكرها قيس آل شيخ: " مجموعة الأعمال التي يتخذها الطبيب، للتخفيف عن المريض، ولحمايته من الأمراض " (٣). وكذلك عرفها أحمد مختار عمر فقال: " علاج من علج، يعالج، عالج المريض داواه، عالج العطل، بحث عنه وأصلحه، وعالج المشكلة بحث عن أخطائها وصححها" (٤). وهذا التعريف عام وشامل، ولكن العبارة الأخيرة تنسجم مع روح البحث، ونرى أنها أجدر بالصواب.

ولكن احمد إسماعيل كتبي بأنها: " معرفة الأسلوب الناجح في تصحيح الخطأ، وهذا الأمر يحتاج إلى محاورة ومغالبة لفكر الآخر حتى يتخلى عن فكره، ويتحلى بالفكر الأصوب " (٥).

وأوضحت الدكتورة نوره الجاسر العلاج: " هو إزالة جميع الأعراض والمسببات والمظاهر للمشكلة الحاصلة، والوصول لحالة الاتزان، والعودة للحالة الطبيعية لما يتم معالجته سواء من الأشياء الحسية أو المعنوية " (٦).وهذا التعريف هو الأقرب للصواب.

---

(١) مقاييس اللغة،١٢٢/٤.
(٢) تاج العروس،١٠٩/٦.
(٣) التداوي والمسؤولية الطبية في الشريعة الإسلامية، ص٧٦.
(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، ١٥٣٧/٢.
(٥) أحمد إسماعيل كتبي، المنهج التربوي في معالجة المواقف من أخطاء افراد في المجتمع المدني، ص٢٢.
(٦) التخلف العلمي في العالم الإسلامي المعاصر، المظاهر-الأسباب-العلاج، ص١١٣.

المبحث الثاني: مفهوم الإشكاليات في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: الإشكاليات لغة

الإشكاليات جمع شَكِلَ وهذا ما قاله الخليل(ت:١٧٠هـ): الشُّكل يعني المثل، منه قولهم: هذا شكل هذا، أي بمعنى يماثله، ومنه فلان شكلُ فلان، أي مثله في كل حالاته، ويأتي بمعنى الضرب من العذاب[١]، كما في قوله تعالى: ﴿ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ { سورة ص:٥٨} ومنه المرأة الشكلة ، تعني الجميلة وحسنة المظهر وأمر مُشْكِلٌ شاكلٌ: مشتبه ملتبس عليهم [٢].

و(شكل) له عدة معانٍ في اللغة العربية منها:

المعنى الأول: الطريقة المتبعة: وعليه قوله عز وجل:﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ { سورة الإسراء:٨٤} وهي الطريقة والناحية والجدلية وهذا القول ذهب إليه الفراء [٣].

المعنى الثاني: الالتباس والتشابه كما جاء في الحديث روى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ): «وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ» [٤] .

وظاهر لفظ الإشكال عند أهل اللسان له معانٍ متعددة ومتنوعة، منها التشابه والمماثلة والالتباس والطريقة والناحية والعلامة وغيرها، فالسياق اللغوي حاكم على بيان معنى المفردة، وما يهمنا في ذلك هو المعنى الثاني؛ لأنَّه يتوافق وينسجم مع صلب الموضوع.

وذكر أحد الباحثين المعاصرين أنَّ الإشكال، هو من المصطلحات الجديدة التي طرأت على الساحة العربية، وبداياته لم تتجاوز نصف قرن، فهو لم يوجد في المعاجم

---

(١) يُنظر: العين،٢٩٥/٥.

(٢) يُنظر: الأزهري، تهذيب اللغة ،١٥/١٠.

(٣) للطبراني، مسند الشاميين، ١٥٦/٤.

(٤) يُنظر: معجم مفردات الفاظ القرآن الكريم، ص٢٩٩.

العربية القديمة بهذه الصيغة المتعارفة الآن، فقال: في البدايات كان هذا المصطلح يراد به الشكل أو التركيب النظري، ولكنه تطوّر وأخذ يعنى بمفاهيم أخرى مثل القضايا الأيدلوجية التي تتناقض ضمناً، أو صراحة، ثم تطوّر فأصبح يستعمل في القضايا التي تدرس وجهات النظر المختلفة، وهذا المصطلح ترجع جذوره إلى اللغة الفرنسية [١].

وفي حدود تتبعي لبعض المعاجم القديمة والمعاصرة، فلم أجد من أضفى هذا المصطلح وازبره في كتبه، إلا ما كان من مرتضى الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ) حيث قال: أشكل أي صار ذا شكل، والجمع مشكلات، والمراد بها ما تفك المشاكل به، والأمور الملتبسة، مأخوذاً من شكل عليه الأمر[٢].

فالظاهر من كلام الزبيدي القول بالترادف بين الإشكالية والمشكلة، من حيث أنَّ كليهما بمفهومهما يدلان على ما أشكل على الناس فهمه فهو ملتبس عليهم، وهذا ما يراه أحد الباحثين المعاصرين بالقول: والإشكاليات أمر يوجب الالتباس في الفهم، وهو نقيض البيان من حيث أنها تعطي معنيين: أحدهما: مصدر صناعي من إشكال والمراد به مجموعة المسائل التي يطرحها أحد فروع المعرفة مثل إشكالية الثقافة والنص وغيرهما. والثاني: هو الاشتباه والالتباس في أمر أو شيء معين [٣].

---

(١) يُنظر: علي حسين يوسف، من المشكلة إلى الإشكالية مسيرة مفهوم، مقال في مجلة الحوار المتمدن، نشر بتأريخ ٢٠١٤/٣/١٨.

(٢) يُنظر: تاج العروس من جواهر القاموس، ٢٧١/٢٩ مادة (ش ك ل).

(٣) يُنظر: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١٢٢٨/٢.

المطلب الثاني: الإشكاليات اصطلاحاً

بعد بيان المعنى اللغوي للإشكاليات وفق سياقات اللغة العربية، نلحظ أنَّ المعنى الاصطلاحي لا يبتعد كثيرا عن المعنى اللغوي، وتكاد تكون هذه اللفظة أقرب ما تكون إلى المعاجم الفلسفية، وهذا ما ذكره أرسطو فقال في تعريفه: "هو إيراد رأيين متعارضين لكل منهما عند العقل قيمته في الإجابة على المسألة المطروحة" (١).

وعلق الباحث المعاصر محمد عادل الرويني على تعريف أرسطو وتقييده بالتناقض فقال: يُعزى سبب ربط الإشكال بالتناقض في التعريف يفقده الدقة، فالإشكال أعم من تقييده بالتناقض فقط، فهو قائم لطبيعته أو بظواهر مختلفة من الصعب حصرها، بل وتفسيرها، بيد أنَّ التناقض لا يمثل بأنواعه غير مزية بسيطة من مميزات بعض الإشكالات (٢). وعرّفه أحد الذي ينتمون للمدرسة الفلسفية فقال: "هو الالتباس ويطلق على كل ما هو مشتبه، ويقرر دون دليل كافٍ ومن ثم يبقى موضع نظر"(٣).

وهذا التعريف خالٍ من الخاصية المتمثلة بكون التعريف يجب أن يكون جامعاً مانعا ًمن دخول المعاني الأجنبية عليه، ولكن بتعدد المفردة وبيان معانيها، ونقلها من جهة اللغة الفرنسية إلى العربية وتغيير معناها، إضافة إلى تقرير عدم وجود الدليل الكافي، ويجعلنا عدم الركون إلى هذا التعريف، من حيث عدم تحديد المعنى الحقيقي للإشكال ولذا ينبغي تعريفه: هو كل أمر يكتنفه الالتباس والغموض وعدم الفهم في تحديد المعنى المقصود الذي يراد به، سواء كان قطع بذلك أو لا. وعرفه المناوي:" والشكل في الحقيقة الأنس الذي بين المتماثلين في الطريقة، ومنه قيل للناس أشكال، وأصل المشاكلة من الشكل وهو تقييد الدابة" (٤).

ومجمل الأمر: الإشكاليات هي تلك الأمور التي توجب الالتباس وعدم الفهم بعض النظر عمن جاء بها سواء من المستشرقين أو حداثيين أو غيرهم.

---

(١) عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص٧٢.
(٢) يُنظر: محمد عادل الرويني، مناقشة مفاهيمية لمصطلحي الإشكال والمشكلة وتطبيقها على قضايا العربية للناطقين بغيرها، مقال في منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، نشر بتاريخ٢٠١٨/١٢/١٢.
(٣) جميل صليبا: المعجم الفلسفي،٣٧٩/٢.
(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، ٢٠٧/١.

المطلب الثالث: مفهوم المعاصرة في اللغة والاصطلاح

أولاً: المعاصرة لغة

المعاصرة: مشتقة من العصر وله ثلاثة معانٍ مختلفة قال ابن فارس(ت:٣٩٥هـ): المعنى الأول: هو الدهر والحين، والثاني: هو ضغط الشيء حتى يتحلّب ويسيل، والثالث: يعني هو التعلق بالشيء والتمسك به [١].

والمراد منه تحديد زمان على وجه الخصوص وهذا ما قاله أبو هلال العسكري(ت:٣٩٥هـ) والعصر هو الوقت كما في قوله تعالى:﴿ وَالْعَصْرِ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ {سورة العصر:١-٢}. حيث يقولون أهل هذا العصر ومثله أهل هذا الزمان، منه العصر اسم للسنين [٢]، وورد في كتاب المعجم الوسيط: العصر بمعنى الزمن، وينسب إلى الملك والتطورات طبيعية أو اجتماعية، ومنه يقال عصر الدولة الأموية وعصر هارون الرشيد وغيرها[٣] ويقال: عاصرت فلاناً معاصرة وإعصاراً، أي كنا نحن الاثنين في زمن وعصر واحد، أو أدركت عصره[٤].

ثانياً: مفهوم المعاصرة اصطلاحاً

عرفها الدكتور سعيد علوش فقال: "هي مفهوم نسبي لمسايرة العصر في تطوراته ومفاهيمه". [٥] وهذا التعريف هو أحد مصاديق المصطلح الذي تبحث عنه هذه الدراسة. في حين يعرفها محمد عابد الجابري: " مواكبة الفكر المعاصر والمشاركة في أغنائه وتوجيهه" [٦]. ولا شك أن مواكبة الفكر المعاصر هو إغناء وإثراء ممكن أنْ يخدم الاتجاهات العلمية وغيرها.

---

(١) يُنظر: معجم مقاييس اللغة، ٣٤٠/٤

(٢) يُنظر: الفروق اللغوية،٢٧٢/١.

(٣) يُنظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط،٦٠٤/٢.

(٤) يُنظر: الزبيدي، تاج العروس وجواهر القاموس،٧٣/١٣.

(٥) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص١٥٠.

(٦) محمد عابد الجابري: إشكاليات الفكر العربي المعاصر، ص٥٠.

فيما يراها أحد الباحثين: "هي الامتداد الطبيعي لحتمية التطوّر حاضراً وهي ضرب من الانسجام مع القيم الجديدة في ميدان النشاط البشري بألوانها المختلفة، فالكائن البشري المعاصر يواجه مشكلات عصره بكل تعقيداتها، بأنها جزء من واقعه فينسجم مع ما يضمن له التواصل والإدارة الحرة ويعارض ما يقيد إرادته"(١).

والملاحظ من التعريفات الدالة على المعاصرة أنها تجاوزت البعد الزمني حتى تناولت دور الإنسان حول القضايا المعاصرة، بهدف الاستفادة من المنجزات العصرية في معالجة الواقع وتلبية متطلباته المختلفة والاشتراك في إثراء الفكر المعاصر، فيعطي البعد الزمني للمعاصرة من حيث تجديد أدوات الفكر عبر مناهج ونظريات حديثة، وهذا ما أشار إليه الدكتور علي محمد الصلابي بالقول: لا يمنع الدين الإسلامي من تطور الحياة البشرية والانتقال من السيء إلى الحسن ومن الحسن إلى الأحسن، بل أنَّ الإسلام يشوق المسلم إلى ما هو أحسن في كثير من الأحداث والأمور، فهو يحاور بالتي هي أحسن، ويدفع أيضاً بالتي هي أحسن، ولا يقرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، ويتطلع بالفرد المسلم إلى ما هو أحسن في كل شيء (٢).

ومفهوم المعاصرة ينطوي على ثلاثة عناصر مهمة: أحدها: عنصر يتعلق بالزمن ويعني الارتباط بالحاضر في قبال التعلق بالماضي، والثاني: عنصر يتعلق بالمضمون وما تعتريه من تغيرات جوهرية التي بمقتضاها تفصل بين الماضي والحاضر، والثالث: عنصر يفترض الحاضر أفضل من الماضي نتيجة للتقدم العلمي الناتج عن الحركة العلمية وتطلعاتها المستقبلية (٣).

(١) خالد الغريبي: جدلية الأصالة والمعاصرة في أدب المسعدي، ص٢٨.

(٢) يُنظر: علي محمد الصلابي، الدولة الحديثة المسلمة دعائمها ووظائفها، ص١٦.

(٣) يُنظر: أحمد كمال أبو المجد، التراث وتحديات العصر في الوطن العربي، ص٥٧٤-٥٧٥.

وبعد بيان كلا اللفظين من حيث الإفراد –الإشكاليات والمعاصرة-بيان محتواهما وما يتمخض عنهما نجد لزاماً تعريفهما على النحو التركيبي، فقال حمادي هواري: "هي قراءة النص القرآني في شتى الأزمنة، بل وفي الزمان الواحد حول المضامين والآليات المنتجة في الوصول إليها"(١).

والحق أنَّ هذا التعريف غير جامع ولا مانعٌ من دخول الأغيار عليه بدليل تقييده بالقراءة النصية، الذي يفيد التحديد الزمني فقط دون غيره، فلا ينبغي استهجان كل من يتعامل مع القرآن الكريم في العصر الحاضر بمجرد أنه حديث ومعاصر، فلا يمكن جعل الزمن هو المعيار والقيمة، ويعدها تقديساً للماضي على حساب الحاضر، وإنما يجب أن نعتني بالمنهج العلمي ونلتزم به، مع النظر إلى جميع الحقول المعرفية في الزمن الحاضر.

وعرفت الاشكاليات المعاصرة بأنها: "هي معالجة الوقائع والأحداث من خلال كلام الله تعالى في كل عصر وزمن، لمشابهتها بحادث ووقائع عصر التنزيل التي من أجلها نزل النص القرآني الكريم؛ ولأنه كتاب الزمن الذي لم يكن محصورا ًفي وقت دون غيره"(٢).

ويعرفها الباحث بالمفهوم التركيبي: هي الإبهام والغموض الذي يحصل نتيجة للتصادم الفكري عند الإنسان من جانب، وثقافة الزمن الذي يعيشه من جانب آخر، وسعيه الحثيث لوضع الحلول الناجعة لتلك الإشكاليات على وفق الرؤى القرآنية.

(١) حمادي هواري: النص القرآني وآليات الفهم المعاصر،٥٨.

(٢) عبد العزيز الظاهر: تطبيق الآيات على الوقائع المعاصرة،٣٩.

المطلب الرابع - مفهوم الدراسة في اللغة والاصطلاح

أولاً: الدراسة لغة

يرى صاحب العين (ت:١٧٠هـ): أنَّ الدراسة مشتقة من الفعل درس دراسة معناها الحفظ، [١]. ومثله ما قاله ابن منظور(ت:٧١١هـ): الدراسة من درس الكتاب حتى حفظه، وقيل: التذليل في كثرة القراءة، ومن ذلك دَرَسْتُ السورةَ: أَي حَفظتها وقيل: سميّ إِدْرِيس (عليه السلام) لكثرة دِراسَتِه كتابَ اللَّه تعالى [٢].

ثانياً: الدراسة اصطلاحاً

قال الراغب(ت:٥٠٢هـ) في تعريف الدراسة: "دَرَسَ الكتابُ، ودَرَسْتُ العلم: تناولت أثره بالحفظ، عبر المداومة بالقراءة" [٣].

وعرّفها السبزواري الذي لا يبتعد كثيراً عن تعريف الراغب فقال: "والدراسة التكرار في القراءة درس الكتاب أي كرر قراءته، وداوم على حفظه" [٤].

ويظهر من التعريفات في أعلاه بإنّها اتفقت في أنَّ الدراسة هي مناط الحفظ ولو بالتكرار والمداومة عليها، وكل قراءة فيها مداومة وتكرار تسمى دراسة، وهذا ما يفهم من تلك التعريفات[٥].

فيما فرّق الواحدي بين الدراسة والتعليم: في إنَّ الدراسة هي القراءة على الغير، وهذا ما ذهب إليه أبو زيد، وأما ابن عباس ذهب إلى أنَّ الدراسةَ هي التعليم كما في قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ {سورة الأنعام:١٠٥} أي تعلمت [٦].

والفرق بين الدراسة والتعليم من وجهة نظر الطباطبائي(ت:١٤٠٢هـ):هي أنَّ الدراسة أخص من التعليم؛ لأنَّها تستعمل في الأغلب فيما يتعلم عن الكتاب بالقراءة [٧].

---

(١) يُنظر: العين،٥٨/٢.
(٢) يُنظر: لسان العرب،٧٩/٦.
(٣) المفردات في غريب القرآن ،٣١١/١.
(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن،١٠٣/٤.
(٥) يُنظر: رسالتنا الموسومة، معالم التفضيل في القرآن الكريم والسنة الشريفة دراسة تحليلية، ص١١-١٢.
(٦) يُنظر: التفسير البسيط،٣٤١/٨.
(٧) يُنظر: الميزان في تفسير القرآن ،١٥٤/٣.

المطلب الخامس: مفهوم التفسير في اللغة والاصطلاح

أولاً: التفسير لغة: التفسير على وزن تفعيل، مأخوذ من الفسر، بمعنى البيان، ومنه اشتقت التفسرة، وهي أسم للبول الذي ينظر به الأطباء لمعرفة مرض البدن(١). وقال ابن منظور(ت:٧١١هـ) : وهو مأخوذ من الفسر، أو مشتق من السفر، والفسر هو الإبانة وكشف المغطى، فتقول: فسر الشيء بمعنى أبانه (٢).

ثانياً : التفسير اصطلاحاً

عُرّف التفسير في الاصطلاح بعدد من التعريفات منها:

قال الطوسي(ت:٤٦٠هـ) : " علم معاني القرآن، وفنون اغراضه من القراءة، والمعاني والاعراب، والكلام على المتشابه، والجواب عن مطاعن الملحدين فيه وانواع المبطلين" (٣).

وأما الطبرسي(ت:٥٤٨هـ) فقد أجمل القول في تعريفه للتفسير فقال:" التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل"(٤).

وأما عند الزركشي (ت:٧٩٤هـ) فالتفسير في الاصطلاح:" هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها "(٥).

ويبدو أنَّ تعريف الطوسي والطبرسي أرجح التعريفات، لانَّ فيهما تحديداً للمفهوم العلمي للتفسير، وذلك بحصر أدواته الفنية عليه، وتقييده بقدر الطاقة البشرية، وفيه دقة علمية، ونظر وإصابة (٦).

---

(١) يُنظر: الخليل، العين،٢٤٧/٧-٢٤٨.

(٢) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب،٣٦١/٦.

(٣) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، ٢/١-٣.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ١٣/١.

(٥) الزركشي: الأتقان في علوم القرآن،١٤٨/٢/٤.

(٦) يُنظر: محمد حسين علي الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن بين النظرية والتطبيق، ص١٩.

المبحث الثالث: الفرق بين الإشكالية والمشكلة ومراحل نشأة الإشكاليات المعاصرة والأسباب والدوافع المحركة لها

المطلب الأول: الفرق بين الإشكالية والمشكلة

قد يحصل خلط عند بعض الباحثين في التمييز بين المشكلة والاشكالية ويجعلهما مترادفين، ولكن في الحقيقة هما ليسا كذلك وهذا ما ذهب إليه أحد الباحثين بالقول: بيد أنّ تعريف المشكلة يختلف عن الإشكالية، والمراد من المشكلة الشعور أو الإحساس بوجود صعوبة لابد من تخطيها هي عقبة لابد من تجاوزها لتحقيق هدف معين. وأما الإشكالية ما هي قضية كلية عامة تثير نتائجها الشكوك بحيث أنها تقبل الاثبات او النفي أو الأمرين معاً.

واما العلاقة بينهما فعلاقة الكل من الجزء حيث أنَّ المشكلة جزء من الإشكالية، وبما أن الإشكالية مجموعة من المشكلات الجزئية تنضوي تحت مسمى الإشكالية فيتبين أن الإشكالية أعظم من المشكلة[١].

فيما ذهب بعض الباحثين أو العلماء إلى القول بالترادف، وهذا ما ذهب إليه صاحب تاج العروس، كما لمسناه من كلامه[٢]، وتابعه من المعاصرين الدكتور علي حسين يوسف، ولكنه عند المقارنة بأن هذا المصطلح يسمح لكل الحلول المطروحة أن تكون ممكنة فقال : فلا مشاحة من استعمال مصطلح الإشكالية بالمعني المتعارف في العربية الجديدة المرادفة لدلالة مصطلح (المشكل)، على الرغم من الاختلاف مع دلالة المصطلح (problematic) الذي يتضمن محمولات فكرية قد لا تتطابق تماما مع ما ترجم إلى العربية بوصفه ينبع من بيئة مختلفة وثقافة متباينة ومختلفة ؛ لأنَّ القارئ العربي ترسخ في ذهنه أنَّ الإشكالية تدل على ما التبس عليه من الأمور[٣]. وهذا هو المطلوب.

---

(١) ينظر: احمد إبراهيم خضر، اعداد البحوث والرسائل العلمية من الفكرة حتى الخاتمة، ص ٩٧.

(٢) يُنظر: الزبيدي، تاج العروس، مصدر سابق،٢٧١/٢٩.

(٣) يُنظر: علي حسين يوسف، مقال سابق، موقع الحوار المتمدن.

المطلب الثاني: النشأة التاريخية للإشكاليات المعاصرة

اختلفت أقلام الباحثين في تحديد نشأة الإشكاليات، فيرى بعضهم أنَّ الإشكاليات المعاصرة برزت نتيجة للثورة على الكنيسة لدورها المتطرف تجاه المجتمع والدين، وتعطيل دور العقل فكانت النتيجة رفض هذا التطرف، ورفض دور العقل في قراءته للنص الذي يعدُّ انقلاباً حاداً على الدين، حيث كانت الكنيسة سبباً مهماً من أسباب الظلام في تلك العصور وهنا، وصل الغرب الى مرحلة الرفض التام لمدخلية الدين بالحياة، واخضعوا كل شيء للعلم وجعلوا من ذلك عناصر كالحس والتجربة، ومر الغرب في هذه الاشكاليات في عدة مراحل:

- الانقلاب على الكنيسة.
- جعل العقل هو الحاكم وأطلق العنان له.
- جعل الإنسان هو المحور الاساسي المهيمن على الطبيعة واكتشافاتها. وغير ذلك من الأمور[١]. **ومنهم**: من يرى أنّها تولدت نتيجة لدراسة المستشرقين التراث الاسلامي، وذلك لحصول الصدام الحضاري بين الشرق والغرب أثر الفتوحات الإسلامية التي قام بها المسلمون، وهنا شعر المسيحيون بالخطر وازداد هذا الشعور عندما أخفقت الحروب الصليبية، حيث بدأوا بالتفكير بوقف هذا التيار الجارف وذلك من خلال تشويه الدين الاسلامي، التشكيك فيه تقديم صوره غير جميلة عنه، وهذا ما حدث في القرن الثاني عشر الميلادي [٢]. وهناك فريق : يرى ظهور الاشكاليات المعاصرة في عهد جلال الدين الرومي (ت:١٢٧٣هـ) حيث اثار هذا الشاعر ثائرته ضد الموجة العقلية الإغريقية التي اجتاحت العالم الإسلامي في عصره... ووقف ضد هذه الموجة الأوروبية التي دخلت إلى العقل الإسلامي وافسدته، وبذلك استعمل في التنظير لهذه الإشكالية الأدوات نفسها التي اتخذها الرومي، وهي الإيمان والروح والوجدان في مواجهة هذه الغزوات المادية[٣].

---

(١) يُنظر: إيمان شمس الدين، في قضايا التجديد والمعاصرة، ص١٩-٢٠.
(٢) يُنظر: حسن علي الهاشمي، قراءة نقدية في تاريخ القران للمستشرق ثيودور نولدكه، ص٢٦.
(٣) يُنظر: زكي الميلاد، الإسلام والتجديد،٢٢-٢٣.

وذهب أخرون إلى أنَّ المعاصرة، وجدت مع بداية ما سُمي عصر الصحوة الإسلامية، نهاية السبعينيات من القرن المنصرم، حيث كان التعامل مع إشكالية المعاصرة من خلال أسلمة أدوات الحداثة كلها، وكُتبت كتبٌ وألقيت محاضرات في الإسلام والمعاصرة، لكن من خلال ظاهرة الأسلمة، وتوسعت ظاهرة الأسلمة لتشمل مناحي الحياة الحديثة كلها(١).

ونلحظ مما تقدم أنَّ الاضطراب في شأن تاريخية الإشكاليات المعاصرة، وتنوع وتعدد ألوانها واتجاهاتها المختلفة ما بين صدامات الكنيسة وأنصارها من جهة، وبين الحداثوية العقلية من جهة أخرى، وبين المستشرقين وما أحدثوه من تغيير في الآليات وأدوات الفهم المختلفة، والصحوة الإسلامية وما رافقتها من ترجمة الكتب الإسلامية إلى اللغات الغربية على جميع الأصعدة.

ومن خلال ذلك يتجلى: أنَّ الإشكاليات المعاصرة هي ردة فعل غربية تجاه التراث الإسلامي من أجل الحد من التهديدات التي غزت الفكر الغربي، استنفروا هؤلاء كل طاقاتهم وقدراتهم، وهذا ما أشار إليه أحد المعاصرين بالقول: إنَّ حلحلة النظام الإسلامي الرصين هي عملية درست بعناية ، وحبكت حبكاً كبيراً بأنامل معادية للدين الإسلامي، وتأثر بها بعض المسلمين ونقلها إلى أحضان البيت الإسلامي ، وهذا الأمر غاية في الخطورة، فإنَّ اختيار بعض المسلمين لتنفيذ هذا المشروع المدسوس معناه التصديق به والاطمئنان له ، والتقبل المسبق له من أجل الإيحاء إلى الآخرين بعدم الشك فيما ينقلونه عن هذا المشرع، وهذا جزء من سياسة الغرب في بيان إرهاصات الصراع الديني بين الأديان(٢).

---

(١) يُنظر: أحمد الرمح،مقال بعنوان: الإسلاميون وإشكالية المعاصرة... الكورونا نموذجًا، ٩ نيسان/أبريل ٢٠٢٠.

(٢) يُنظر: علي البيضاني، المنهج النبوي في معالجة الفتن، ٢٩٠-٢٩١.

وإلى جانب ذلك نرى المستشرق يوهان فوك [١]يؤكد هذه الحقيقة أيضا ًبالقول: وعزا البعض أنَّ ردة الفعل لدى الغرب تكمن في الانتصارات التي حققها الموحدون حيث كانت انتصاراتهم على الاسبان الذين ثارت حفيظتهم وحفيظة الكنيسة، وبدأوا بالعدول عن منطق السيف إلى حقل الكلمة، فنبعت من ذلك فكرة ترجمة القرآن الكريم للتعرف على طبيعة خصمهم المسلم المعرفية ومقارعته بالحجة وبقوة المحبة للمسيحية بدل العنف ... فشبه فوك حال الكنيسة كالبلدان النامية في الوقت الحاضر[٢].

(١) يوهان فوك: مستشرق نمساوي حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة واللاهوت، عمل استاذا في اللغات الشرقية في جامعة فيينا، له مؤلفات منها: تاريخ حركة الاستشراق. (يُنظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرفين، ص٦٢٦)

(٢) ينظر: يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص٩.

المطلب الثالث: الأسباب والدوافع للإشكاليات المعاصرة

لا ريب أن هناك أسباباً ودوافع تقبع خلفها تلك الإشكاليات، من حيث أنها تضرب في صميم الجسد الإسلامي، ومن هنا ينبغي بيان تلك الأسباب والدوافع المحركة لها:

أولاً: الفتوحات الإسلامية

للفتوحات الإسلامية الدور الكبير في نشوء تلك الإشكاليات، حيث أنَّ الدول الإسلامية ونتيجة لتوسعها في الفتوحات تركت شعوراً لدى الغرب بخطورة الأمر ؛وقرروا في عهد الإمبراطورية البيزنطينية ، التي لم تترك للساسة الغربيين مجال ٌمن أجل معرفة خصمهم اللدود وهو الدين الإسلامي، ولذلك بحثوا من أجل توهين المسلمين بدينهم عن طريق إلقاء الإشكاليات في هذا الدين، وهذا ما أكده المستشرق يوهان فوك: والفتوحات الإسلامية التي قامت بها الدول الإسلامية حتمت على الغرب مواجهة المسلمين بقوة الكلمة ؛ لأنَّ قوة السيف لم تثمر في ردع المسلمين وثنيهم عن دينهم [1].

وهذه هي مساعي الغرب من أجل تلويث فطرة المسلمين وإبعادهم عن دينهم القويم سبل متعددة منها التشكيك وتلويث أفكارهم وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين المعاصرين: وقد استعمل الغرب الإفساد الفكري والعقائدي وجعله سلاحاً؛ لتحقيق أهدافهم وأطماعهم الدنيئة، فقاموا بتوظيف أدوات كثيرة، من وعاظ سلاطين وأقلام مأجورة ووسائل إعلامية، وذلك بهدف رسم عقيدة ضعيفة في ظل سياسة الهيمنة على الأفكار التي اعتمدوا عليها، ولم يكلّوا في استعمال أسلحتهم في التشكيك والقاء الشبهات في ذهن الفرد المسلم ، كل ما يتعلق بإيمانه وعقيدته، والاستفادة من الاختلاف الحاصل بين المسلمين أنفسهم ، وتوجيه أقلامهم نحو هذه الاختلافات ، والتعمية على النقاط الرئيسية المشتركة فيما بينهم، لإذكاء الفتن بين الأطراف الإسلامية، وتفتيت وحدة المسلمين بهدف كسر شوكتهم ، واضعاف عزيمتهم ، واخضاعهم لسلطتهم [2].

---

(١) يُنظر: يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق، مصدر سابق ، ص ١٣.
(٢) يُنظر: روح الله الحسيني، القرآن والعقل الحداثي، ص١٠-١١.

ثانياً: المحافظة على تراث اليونان

فمن بين أهم الاسباب التي أدت إلى ظهور الاشكاليات المعاصرة وتفاقمها في المجتمع الإسلامي، هو أنَّ المسلمين حافظوا على تراث القدماء اليونانيين وغيرهم، هذا ما اشار اليه يوهان فوك بالقول: إنّ التراث الاسلامي حافظ على تراث القدماء اليونانيين في جميع المجالات كالفلسفة والطب الرياضيات والفلك وغيرها من العلوم الطبيعية، حيث تُرجم الجهد الأوربي إلى اللغة العربية فترات متلاحقة، مما اسهم في الحفاظ على التراث اليوناني، وهكذا وجد الأوربيون أنَّ تراثهم محفوظ باللغة العربية، ولذلك تمت إعادة هذا التراث بالنقل عن العربية [١] .

وأحس الاوروبي مبدئياً بالفراغ الذي احدثه المسلمون بعد الحرب مع الغرب، بكونهم أوصياء وأمناء على التراث اليوناني في جميع المجالات في الطب والفلسفة العلوم الأخرى، ففي عام(١٠٦٠-١٠٩٠م) نقل قسطنطين الافريقي مؤلفات الأطباء اليونان المسلمين الى اللغة اللاتينية[٢].

وأشار هنري كوربان[٣] إلى الحقيقة نفسها بالقول: إنَّ إندماج الإسلام بالثقافات التي سبقته من الشرق والغرب، من حيث حافظ الإسلام على تسليم إرث اليونان، وبعد نقل هذا الميراث من خلال عملية الترجمة لمدرسة طليطلة إلى الغرب، وكان نتاج ذلك إعادة التراث الضخم من الفلسفة وغيرها من العلوم الأخرى وترجمته من اليونانية إلى السريانية والعربية ومن ثم إلى اللغة اللاتينية[٤].

ويبدو أن ما ذكره المستشرق يوهان فوك في غاية الدقة والإمعان؛ لانَّ المسلمين في سابق عهدهم بنو حضارة علمية وتراث جم ضخم ومنقطع النظير، عندما كانت أوربا في ظلام دامس.

---

(١) ينظر: يوهان فوك ، تاريخ الحركة الاستشراقية١٤-١٥.

(٢) المصدر نفسه،١٦.

(٣) هنري كوربان: ولد عام ١٩٠٣م في فرنسا من اسرة بروتستانتية درس الفلسفة في جامعة السوربون في باريس تعلم اللغة العربية والفارسية، من اهم كتبه تاريخ الفلسفة الإسلامية وغيره توفى عام ١٩٧٨م.(يُنظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ٤٨٢-٤٨٣).

(٤) يُنظر: هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية،٥٣.

ثالثاً: التبشير والأهداف السياسية

إنَّ الركن الرئيس والأساسي في إطلاق الإشكاليات المعاصرة، هو التبشير والمراد به نشر الإنجيل وتعاليم يسوع بين مجموعة من البشر لدعوتهم إلى التحول إلى المسيحية تأييداً لصحة المعتقد الذي ينتمون إليه.

وهذا ما يراه يوهان فوك: إنَّ فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي الذي أدى إلى انشغال الكنيسة إلى ترجمة القران واللغة العربية، حيث لم يحصلوا على نصر نهائي على المسلمين بقوة السلاح، بدأ واضحاً أنَّ احتلال الأراضي المقدسة لم يثني المسلمين عن نصرة دينهم، وقد خرج القس بطرس نتيجة لدراسة الإسلام لا سبيل إلى مكافحة (هرطقة محمد) بالسلاح وإنما بقوه الكلمة ودحضها بالمنطق الحكيم، وقد وضعوا خطة للعمل على ترجمه القرآن وتحقيق ذلك لا يتم إلا بمعرفة الخصم(١).

وهو ما حداه بالقول أيضاً: أوّل عمل تبشيري ضد الإسلام هو انشاء مؤسسة تعتني في مجال التبشير بالمسيحية، حيث افتتحت بثلاثة عشر تلميذاً من طائفة الفرنسيين عام ١٢٦٧هـ في بلدة ميرمار(٢).

فذكر الدكتور محمد حسين الصغير أساس تلك الدوافع لإضعاف إيمان بعض المسلمين فقال: فبعض المستشرقين كان دافعه لدراسة الشرق أن يَدفع المسلمين إلى إساءة الظنِّ بدينهم وبعقيدتهم. فقد سعى هؤلاء ومن خلال اختلاق بعض الإشكاليات حول الإسلام والقرآن، في إضعاف إيمان المسلمين بدينهم الحق بهدف إقامة الظروف الملائمة للقبول بالدِّيانة المسيحيّة ديانة بديلةٌ للإسلام (٣).

ومن وجهة نظر الدكتور محمد علي الصغير فإنَّ الأمر لا يقتصر على التبشير فقط، وإنّما هناك بعض الأهداف السياسية لذلك، بيد أن الغرب شعروا أن الإسلام الحقيقي قد وقف نداً عنيداً أمام مصالحهم، وبذلك لجأوا إلى خلق الإشكاليات لإضعاف عقيدة المسلمين بكتابهم الكريم حتى تتيسر لهم السيطرة عليهم.

---

(١) ينظر: يوهان فوك ، مصدر سابق ،ص١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٨.

(٣) يُنظر: المستشرقون والدراسات القرآنيَّة، ص ١٥- ٢١.

رابعاً: تحريف الكتب السماوية التوراة والانجيل

إنَّ الكتب السماوية السابقة على القرآن الكريم دخلها التغيير والتبديل والتحريف، واعطائها تفسيراًمغايراً لمقاصد النصوص، فتحريف النص هو الاختلاف بين الأصل المخطوط والنسخ التي أخذت عنه، وهذا ما أشارت إليه الآيات القرآنية في مواطن كثيرة منها في قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ {سورة البقرة:٧٥} وقال تعالى ايضاً: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ {سورة النساء:٤٦} وهذه الحقيقة أشار إليها الطباطبائي(ت:١٤٠٢هـ) بقوله: إنَّ بعض ما في التوراة والإنجيل مُنزّل على موسى وعيسى (عليهما السلام)، والبعض الأخر لا يخلوا من التحريف والسقط، وإنْ كان القرآن الكريم يصدق التوراة والإنجيل، فهذا قبل التحريف والسقط [١].

وهذا ما دعا موريس بوكاي [٢] إلى القول: "ولا يجوز النظر إلى الكتب المقدسة من خلال تجميلها بقيم نضعها لها. بل ينبغي أن نختبرها موضوعياً، وهذا لا يستلزم معرفة النصوص بل معرفة تأريخها، وهذه المعرفة تسمح بتكوين فكرة عن الظروف التي أدت إلى تحريفات النصوص على مر العصور على بطء تكوين المجموعة التي بين أيدينا مع حذوفات وإضافات عديدة"[٣].

---

(١) يُنظر: الميزان في تفسير القرآن،٨/٣.

(٢) موريس بوكاي: كان طبيباً فرنسياً نشأ على المسيحية الكاثوليكية، ولد في مدينة بوكاي عام١٩٢٠م، واعتنق الإسلام توفي الدكتور ١٩٩٨م وله عدة كتب أبرزها (التوراة والإنجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث). يُنظر موقع ويكيبيديا، موريس بوكاي،: https://ar.wikipedia.org/wiki.

(٣) التوراة والإنجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث، ص٦٥.

ومن خلال ذلك جهد الغربيون إلى دراسة الإسلام وضربه من خلال كتابه الكريم ودستوره السماوي، فعلى غرار ذلك بدأوا بوضع الإشكاليات على هذا الدين للحد من انتشاره، حيث أنَّ الكتب السابقة امتدت لها يد التحريف والعبث والتغيير، فلم يبق إلا القرآن الكريم الذي يتميز بالأصالة وعدم التغيير بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ {سورة الحجر:٩} وغير ذلك من الآيات التي تدلل على الحصانة الإلهية من التحريف والتغيير والتبديل.

وأكد هذه الحقيقة الشيخ فاضل الصفار بالقول: فإنَّ القرآن الكريم مصان من كل تحريف وتبديل، ويدل على ذلك قوله تعالى: (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ۞ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ) {سورة البروج:٢١-٢٢} ، وهذا يدل على أنَّ القرآن الكريم حفظ في اللوح كل الوقائع والحوادث الماضية والحاضرة والمستقبلية، لا يدرك هذه الحقائق إلا أهله وهم المعصومون (عليهم السلام)، وإذا كان كذلك كيف يتطرق إليه التحريف؟ [١].

وفي حين أنَّ الكتب السالفة عليه كان لها النصيب الأوفر من التحريفات والتزييفات التي اعترتها، فمثلا ًنجد الأناجيل متناقضة فيما بينها، فعزم الغربيون على توهين هذا الدين من خلال إبراز الضعف فيه وفي تشريعاته التي عن طريق إلقاء الإشكاليات المزعومة فيه، لأجل المساواة بينه وبين الكتب السابقة عليه.

---

(١) يُنظر: الحقائق والدقائق في المعارف الالهية،٢٢٩/٣.

خامساً: الصراع بين الحضارات

لا يخفى بإن الحضارات في خضم صراع بينها منذ الأزل، مما سينعكس أثره على العلاقات بين تلك الحضارات، وكل ذلك بهدف إثبات الوجود، والمراد بالصراع هنا هو صراع قبلي بنطاق كوني، ينشأ في العالم الحديث بين بعض الدول بغرض تنمية المصالح، ضد حضارات أخرى.

وهذه العلاقات بين الحضارات غالباً ما تتسم بالعدائية على أغلب الأحوال، وقد تتنوع بين الدول التي يكون لها أسس موروثة من الماضي، مما يولد التباعد والعنف بينها في أغلب الأحيان [١].

وهذا بدوره يكرس شقة الخلاف بين الدول المتنازعة فيما بينها، والوغول في أسس كل حضارة من أجل إثبات وهنها وضعفها، ومن هنا تبرز المشكلات المعاصرة وأسبابها المنتجة لها ، وعادة ما يكون بدأ هذا الصراع على نحوٍ مباشر يتخلله بعد ذلك توسع شدة الاحتدام حتى يصل إلى صراع الحضارات وهذا ما حصل في الوقت الحاضر[٢].

ومعظم هذه الصراعات بين الخصوم في مختلف الحضارات تصل إلى أوج قوتها ثم تضمحل وتذوب في حال اتفقت وانسجمت مع مصالحها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

ويُعد الدين هو السبب الأساسي في خلق الاحتدام بين تلك الحضارات يقول هنتنجتون: إنَّ الدين ليس اختلافاً صغيرا، بل هو أعمق أختلاف حصل بين البشر، فكل ذلك يولد شقة الصراع والاتساع والعنف والحرب، ويعزز ذلك هو الإيمان بالآلهة المختلفة التي تعتقدها كل فئة[٣].

---

(١) يُنظر: صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ص٣٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٠١.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه، ص٤١١.

وعلل الدكتور خليفة ذلك الصراع بين الحضارات هو لضرب الإسلام فحسب، مبينا ًأنَّ التصنيف والصراع جاء على نحوٍ لا يقبل الشك لمواجهة الإسلام والمسلمين، وإن كانت صيغت في قالب عام يشتمل على عدد من الحضارات حتى لا يبدو أنَّ الصراع موجه نحو الإسلام(١).

(١)يُنظر: حسن محمد خليفة، المسلمون والحوار الحضاري مع الآخر نقد نظرية صراع الحضارات، القاهرة مركز الدراسات الشرقية، العدد ٢٠٠٣،٢م،٧٤.

الفصل الأول- الإشكاليات المعاصرة المتعلقة بالعقيدة الإسلامية وعلاجها في القرآن الكريم

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول- الإشكاليات معتقد التوحيد

المبحث الثاني- إشكالية إتهام النبي (ﷺ) بمخالفة التشريع

المبحث الثالث- إشكالية معتقد المعاد وعلاجه في القرآن الكريم

الفصل الأول

الإشكاليات المعاصرة المتعلقة ببعض العقائد الإسلامية

توطئة:

لم تسلم العقائد الإسلامية على تنوعها من أذى وضرر الغربيون، فهم بين الفينة والأخرى يدلون بدلوهم تجاه المعتقدات الإسلامية كالتوحيد لما له علاقة بين الإنسان وخالقه، محاولين زعزعة إيمانهم والتشكيك فيه، فالاعتقاد بوجود الله وتعالى والإيمان برسله (عليهم السلام) وبما أمر الله به من قوانين وسنن راسخة لا يمكن الحود عنها، حتى بدأت لنفوسهم السقيمة إلى القول أنَّ الكون نشأ بمحض الصدفة فلا خالق له، وهذه الإشكاليات هي نتاج كفّار زمن التشريع، وقد ردها القرآن الكريم واسدل الستار عنها.

ولم تكتفِ هذه الإشكاليات على هذا النحو، بل تتجاوزه لتصل إلى شخصية الرسول الخاتم(صلى الله عليه وآله وسلم) والنيل منه عن طريق تصويره شغوفاً ومتيماً ومغرم بالنساء فتحركه شهوته الجنسية حتى على نساء صحابته، وجل ما استندوا عليه في أدعهم هو بعض الآراء التفسيرية الشاذة، والغاية من ذلك كله هو الحط والسفول من شخصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان القرآن الكريم عالجها افضل معالجة. وعلى أثر ذلك نراهم ينسبون له ايضاً تأثيم آخر وهو مخالفته للتشريع وتحريمه ما أحل الله له.

ومعتقد المعاد في الشريعة لم يسلم منهم فقد طرأت عليه إشكاليات كثيرة من حيث أنَّ البعد الإنساني بشقيه المعنوي كالروح والمادي كالجسد، الذي يرى الماديون عدم عودته إلى سابق عهده بعد الفناء، والقول بغير ذلك ضرب من الأسطورة والخيال، فكان القرآن الكريم أثبت ذلك المعاد عن طريق سبل متعددة كإثبات النشأة الأولى والعدالة الإلهية والتكامل في المسير الإنساني وغيره من المعالجات القرآنية.

أضف إلى ذلك تكلم أعضاء بدن الإنسان يوم القيامة، والرجعة بعد الموت، وغيرها من القضايا الاعتقادية التي أصّل لها القرآن الكريم تأصيلاً حقيقياً ورد المزاعم الواهية على تلك التشريعات، بأجلى بيان وأعظم برهان، وفي هذا الفصل نحاول بيان بعض هذه الإشكاليات وسبل علاجها وفق المعطيات القرآنية.

المبحث الأول: الإشكاليات الناشئة من مناهضة التوحيد

قضايا التوحيد لها النصيب الأوفر من تلك الإشكاليات فحيث أنها أصل الأصول والعمدة التي تبنى عليها كل الأعمال، فعمدوا إلى طرح بعض الإشكاليات التي تتعلق به منها:

المطلب الأول: إشكالية الإلحاد المعاصر

من الإشكاليات المعاصرة التي عصفت في المجتمع الإسلامي من الداخل هي مشكلة الإلحاد المعاصر، تبتني هذه الفكرة على إنكار وجود خالق لهذا الكون الفسيح، ودشنت بعض المؤسسات التي تعادي الإسلام هذه الفكرة وعملت على رعايتها مادياً ومعنوياً وإعلامياً، وفي ذلك نحاول بيان مفهوم الإلحاد وبيان أسبابه وسبل علاجه.

أولا: الإلحاد في اللغة

ذكر أهل اللسان أن كلمة (الإلحاد) استقت من اللحد، والمراد به هو ما حفر في عرض القبر، ومنه جاء قولهم، قبر ملحد، وملحد، والرجل الذي يلتحد إلى الشيء، فيميل ويلجأ إليه(١).

وعند تتبع كلمات اللغويين نجد أنها تحوم حول الميل عن الاستقامة، قال ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : (لَحَدَ) أصل يدل على الميل عن الاستقامة في الصواب، ومنه كانوا يقولون: ألحد الرجل، بمعنى مال عن طريق الحق والإيمان، وسمي اللحد؛ لأنه يميل على جانبي القبر أو الجدث، والملتحد هو الذي يلجأ إلى طريق غير الحق ويميل إليه(٢). ولم يقتصر لفظ(لحد) على الميل فقط، بل توسع ليشمل الدين ومن يلحد عنه، أي مال وقصد غير ذلك الدين واعتنق غيره، والملحد الذي يعدل عن دين الحق والمدخل فيهما ليس منه، وقيل معناه الشك في الله (٣).

---

(١) يُنظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين،١٨٢/٣.

(٢) يُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،٢٣٦/٥.

(٣) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب،٣٨٩/٣.

ثانياً: الإلحاد في الاصطلاح

عُرّف الإلحاد عند المفسرين والفلاسفة والفقهاء وغيرهم بتعريفات عدّة ولكنها متقاربة في المضمون حيث ذكر الشيخ الطوسي(ت:٤٦٠هـ) في تفسيره أن الإلحاد: "هو العدول عن الاستقامة والانحراف عنها، حيث قال ابن عباس: إلحادهم تكذيبهم، وشركهم" (١).

وعند الفلاسفة أنَّ الإلحاد: "هو مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى والقول بمادة الكون" (٢).

وعرفه الدكتور سعدي أبو حبيب: "هو من مال عن الشرع القويم إلى جهة من جهات الكفر" (٣). وعرفه الدكتور عبد العزيز الدراح : "هو إنكار وجود الله تعالى، أو جحد شيء من ضرورات الدين وعقائده والسخرية والاستهزاء بها، ويدل على هذا عموم المفهوم اللغوي للإلحاد" (٤).

ويعرفه الباحث: هو إنكار وجود الله تعالى بأدلة عارضة على العقل البشري، نتيجة للتمرد على الفطرة الإنسانية التي جبلت على التوحيد والإيمان بوجود خالق لهذا الكون.

وكل التعريفات تتمحور حول لفظ الإلحاد مع الحفاظ على خصوصية التوافق بينها، من حيث مرادها بالمجمل :إنكار وجحود الله تعالى، والانحراف عن الطريق القويم، وإنكار ضروريات الدين وعقائده، وهذه الظاهرة وإن كانت منتشرة في الإزمان السابقة فأنها في القرن الحاضر أكثر حتى ظهرت دعوات تصدح بإنكار وجود الله، وقدرته على التصرف في أمور كونه.

---

(١) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن،٣٩/٥.

(٢) مانع الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ص٨٠٣.

(٣) سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي، ص٣٢٩.

(٤) عبد العزيز البداح: الإلحاد المعاصر، ص١٢.

المطلب الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة ظاهرة الإلحاد في المجتمع الإسلامي

بعد أن عرّفنا ظاهرة الإلحاد، نأتي إلى كيفية علاج هذه الظاهرة والإحتراس منها، فالإلحاد من الأمراض التي تحتاج إلى وقاية وعلاج كما هو الحال في علاج باقي الأمراض، وبما أنَّ الإلحاد انتشر في هذا الزمان، وكثرت الوسائل الداعمة له، ولذلك كان لزاماً وضع الحلول التي تحد من استفحاله، ومن بين تلك المعالجات هي.

المقصد الأول: الرجوع إلى الفطرة السليمة وإحياؤها

إنَّ من الطرائق الكثيرة التي تؤدي إلى معالجة ظاهرة الإلحاد هي الفطرة الإنسانية، والمراد بها " الجِبِلَّة المتهيئة لقبول الدين"(١). وعرفها آخر:"هي أمر تكويني تتعلق بالأمور الإنسانية وهي متأصلة في الإنسان وليست مكتسبة وهي أقرب إلى الوعي"(٢)

فالإلحاد هو أمر خارج عن نطاق المألوف والعادة، بل والجبلة والطبيعة التي خلق الإنسان عليها، والنفس الإنسانية جبلت على فطرة التوحيد، والإيمان بالله تعالى، وهي أمر خلقي خلق الناس عليه، لا يبدل ولا يغير كما دل عليه صريح القرآن الكريم : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ {سورة الروم:٣٠}. أي معناه اتبع الدين الذي دلك الله عليه بالفطرة، وهي ابتداء خلقه للأشياء؛ لأنه هو الذي خلقهم وصورهم وركبهم على النحو الذي يدل على أنَّ لهم خالقاً وصانعاً وعالماً حياً، لا يشبه شيء من مخلوقاته، ولا مخلوقاته تُشبه به (٣).

فمنذ القِدم فإنَّ التوحيد هو المعتقد الأساس للإنسان، حيث أثبت علماء الآثار والتقنيات، وما دلت عليه الرسومات القديمة المكتشفة بأنَّ عقيدة الإنسان هي الاعتقاد بوجود خالق للكون، وقد اكتشفت أقدم الرسومات الكهفية في كهف يسمى (آل كستلّو)

---

(١) الجرجاني: التعريفات،١٦٨/١.

(٢) مرتضى مطهري، الفطرة، ص ٢٣.

(٣) يُنظر: الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن،٥٩/٨.

في اسبانيا يعود إلى أكثر من أربعين ألف سنة، حيث رغم وعورة الموقع الذي لا يصلح للسكن، وصعوبة الوصول إليه، ولكن هذا الكهف أعد لعبادة الله والتقرب إليه، وهذا ما أطلق على هذا الكهف أسم كنيسة سيستين(١) .

والفطرة متجذرة في الإنسان ولا يمكن زوالها، يمكن أن تضمحل وتتلاشى ولكن لا تزول، ولا تحجب تلك الفطرة، وإنَّ تأثرت بالظروف الاجتماعية والتربوية والاقتصادية، فمهما عصفت الإيديولوجيا الإلحادية، لكنها لا تطفئ ضياء الفطرة، وهذا ما أشار إليه جان جاك روسو(٢) بالقول: واستغرب من أي شخص يعتنق أي دين آخر مع وجود دين الفطرة، وهو الذي بدوره يقي الإنسان من انتشار الزندقة التي تؤدي بدورها إلى الإباحية والزندقة والفوضى الأخلاقية، كما حصل بين الكاثوليك والعلمانية، بقدر ما أصبح بين عقيدة المتدينين والإلحاد(٣).

ومن خلال ذلك يثبت أنَّ للكون خالقاً عظيماً يدبر أموره ، وينظم شؤونه ، سواء في السموات والأرض وما بينهما، فلو ترك الكون من دون تدبير، لساخت الأرض بأهلها واختل التوازن، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (سورة البقرة:٢٥٥).
فالملحد يمكن علاجه بطريق المعرفة الفطرية، وربطة بما يعتقد به من القوة العقلية وذلك بطرق من أهمها:

---

(١) يُنظر: الشيخ حيدر السندي الإحسائي، مصدر سابق،١٨.

(٢) جان جاك روسو: فرنسي الأصل ولد في جنيف عام ١٧١٢م، وهو احد كتاب عصر التنوير، ويعد رائد الرومانسية الحديثة، له عدة مؤلفات منها: العقد الاجتماعي، ودين الفطرة، توفى عام ١٧٨٨م (يُنظر: مجموعة مؤلفين، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ١٠/٢).

(٣) يُنظر: جان جاك روسو، دين الفطرة، ص٨٩.

أولا ً: الاستفادة من دور العقل واللجوء إليه

من بين أبرز المعالجات لظاهرة الإلحاد المعاصر، هو الإستفادة من القوة العقلية وبما أنَّ الملحد يؤمن بما هو محسوس ومدرك بالعقل، فينبغي الاستدلال له بالقوة العقلية لتقوية الفطرة الموجودة في داخله ، فالسبب الرئيسي والأساسي للإلحاد هو مخالفة الفطرة السليمة، الذي يؤدي إلى عدم استعمال العقل في النظر الذي يوصلهم إلى الإيمان بالله تعالى ، فكل من العقل والفطرة في توافق تام بينهما ، فلا العقل يخالف الفطرة ولا الفطرة تخالف العقل، وقد أمتدح الله سبحانه من يحسنون أستعمال عقولهم عند لإشكاليات فقال: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ {سورة البقرة:١٦٤} ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ {سورة النحل:١٢} والاستفاقة الفطرية لا يمكن أن تتم إلا من خلال إعمال الحواس والنظر، الذي يوقظ في أعماق الإنسان إحساس ديني يتغلغل في وجدان الشخص، هو الذي يحركه للبحث في قضايا الإيمان ، ببرهان العقل ، فكل الموجودات ومظاهرها مرتهنة بوجود الخالق تعالى [1].

فمن المعالجات التي يذكرها القرآن الكريم المؤيدة بحكم العقل التي تدحض إشكاليات الملحدين ، وتبين وهن الأفكار الإلحادية فقد ابرز القرآن الكريم لنا مثالاً في غاية الدقة والروعة وهوحجاج إبراهيم (عليه السلام) مع النمرود بن كنعان قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ {سورة البقرة:٢٥٨}.

---

(١) يُنظر: عبد الحسين دستغيب، التفكر، ٨٠-٨١.

فالآية الكريمة تثبت بدلالة قطعية أنَّ هناك أقواماً في الأمم السابقة والسالفة، أنكروا وجود الله تعالى وقدرته، فهي تصف لنا أسلوب المناظرة والأدوات العقلية التي استند إليها في دحر مفهوم الإلحاد، ما جرى بين الطغاة والمتجبرين من جانب وبين من يحمل لواء التوحيد من جانب آخر، فكانت نتيجة ذلك هو بطلان مدعى الربوبية والإلحاد [١].

وهذا الحوار يذكّر الله به نبيه محمد (ﷺ) والناس كافة مصير من أنكر وجود الله ، وجادل أنبياء الله بغير علم ولا كتاب منير، واتخذ من الأصنام الصماء التي لا تسمع ولا تبصر على الإيمان بالله تعالى ، وامتثال دينه الحق، فعارضوه فكان من نتاج هذه المعارضة والجدال أدى إلى بطلان أراء النمرود في الأحياء والإماتة ، فافحم إبراهيم (عليه السلام) خصمة بدليل التفكر بالعقل عدم مشروعية آرائه واستدلالاته السقيمة [٢].

ومن السنة ما يعاضد ما ذهب إليه القرآن الكريم من علاج هذه الظاهرة ودحضها، روى الشيخ الصدوق عن الحسين بن نعيم الصحاف عن أبي عبد الله (عليه السلام) : "... قلت فيكون الرجل كافراً قد ثبت له الكفر عند الله فينقله الله بعد ذلك من الكفر إلى الايمان ؟ قال : إنَّ الله عز وجل خلق الناس على الفطرة التي فطرهم الله عليها لا يعرفون أيمانا بشريعة، ولا كفرا بجحود ثم ابتعث الله الرسل إليهم يدعونهم إلى الإيمان بالله حجة الله عليهم فمنهم من هداه الله ومنهم من لم يهده " [٣].

ويبدو من خلال هذه الرواية أنَّ المعرفة بالله تعالى والإيمان به، مركوزة في العقول، فما كان من إرساله للرسل إلا لأجل التأكيد على ما كان مركوزاً في العقول، وهذه الفطرة هي ما أشار إليها الحديث النبوي الشريف عن النبي الأكرم قال: " كل مولود يولد على الفطرة" [٤].

---

(١) يُنظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن،٣١٦/٢.
(٢) يُنظر: محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف،٤٠٣/١.
(٣) الصدوق: علل الشرائع، ١٢١/١.
(٤)ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة،١١٤/٤.

ثانياً: الأستفادة من المصائب والابتلاءات والمحن

تعدُّ الابتلاءات والمصائب والمحن التي يقع فيها الإنسان في حياته، بمثابة منبه وإنذار يمكن من خلالها أنْ يتنبه لما يحيط به، وذلك يساعد على إيقاظ الفطرة في داخل الشخص الملحد، فعندما تشتد المصائب والآلام التي لا تخلو منها حياة الإنسان يخالط نفسه وقلبه وأنَّ قوة عظمى وحدها تستطيع انتشاله من هذه المصائب، وخصوصاً عند الشدائد والكرب قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ {سورة العنكبوت:٦٥}. ففي هذه الآية الكريمة يتضح أنَّ المعالجة القرآنية تكمن في أنَّ هناك قوة عظيمة تتمسك بها النفس عند الشدة والكرب، وهي تستغيث بمخلصها وخالقها، وأنَّ الخلق جبلوا على ذلك في الرجوع إلى الله عند الشدائد والمحن، ومما يؤيد ذلك قول الإمام الصادق (عليه السلام):" قال رجل للصادق (عليه السلام) :" يا بن رسول الله ، دلني على الله ما هو ، فقد أكثر علي المجادلون وحيروني ؟ فقال له: يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟ قال: نعم. فقال: هل كسرت بك، حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم. قال الصادق (عليه السلام): فهل تعلق قلبك هنالك أنَّ شيئا ًمن الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: نعم. قال الصادق (عليه السلام) : فذلك الشيء هو الله ، القادر على الإنجاء حيث لا منجي ، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث" [١] .

وهذه الرواية منبه وجداني، فالنفس قنطرة لمعرفة الله تعالى، وهو ما يعبر عنه بالمعرفة الفطرية التي حاصلها أنَّ الإنسان بمجرد أن يلتفت إلى نفسه، يعلم أنَّ لها صانعاً حكيماً، فهو القادر على الإنجاء عند المصائب والشدائد، ويستعين به الإنسان عند المكاره. وهذا علاج لظاهرة الإلحاد التي هي مرض عارض على الحياة البشرية، فيمكن أنْ يزال هذا العارض عن طريق تفعيل دور الفطرة، التي أشبه بجرس الإنذار لهذه الفطرة عند الخمود بسبب التأثيرات الخارجية، لتحيا النفس الإنسانية بالرجوع إلى الله تعالى [٢].

---

(١) هاشم البحراني: البرهان في تفسير القرآن، ١٠٣/١.
(٢) يُنظر: فؤاد محسن الراوي، الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي، ص٢٠٨-٢١١.

المقصد الثاني: الاستعانة بالعلم والمعرفة

إحدى أبرز المعالجات المتعلقة بظاهرة الإلحاد هو الاستعانة بسلاح العلم والمعرفة، إذ يمكن لهذا السلاح من شأنه أن يقلّص من هذه الظاهرة التي تستهدف المجتمع الإسلامي إذ لم يقضِ عليها، والمراد بالمعرفة العلمية أو ما يسمى بعلم الأنثروبولوجيا، هو العلم الذي يعنى بدراسة وتحليل واقع كل مجتمع، لاسيما ما يتعلق بالقيم الثقافية والدينية وسائر الأصول التي يعتمد عليها(١). فالمفاهيم العقلية التي يخزنها الإنسان في عقله تسهم وعلى نحو كبير، في تعطيل الفكر الإلحادي الذي يدب إلى قلب الإنسان، فمع تعطيل دور العقل وتغييب الشخصية العلمية لدى الفرد، فهنا يظهر المكافح لتلك الشبهات والإشكاليات، التي يمكن علاجها بالعلم والمعرفة، فإنَّ التسلح بهذين الركنين يحصنان الإنسان من الوقوع في تلك الإشكاليات لاسيما العقائدية، من حيث العلاقة وطيدة بينهما، وأنَّ العلوم الدينية تسهم في بيان واضفاء روح العلاقة (٢)

فتكون هذه الاستعانة هي العلاج الشافي والوافي من الحيرة والشك، التي تختلج في الصدور وهو ما حدا بجاستن باريت بالقول:" إنَّ ما يكتشف علم الدين المعرفي قد يدعم في الواقع بعض المعتقدات الإيمانية...فإنَّ هذه المعتقدات الدينية هي نتيجة المنظومات المعرفية التي نعتبرها قابلة للاعتماد" (٣).

ويبدو أنَّ هذا القول يرسخ ظاهره الإيمان في القلب، وينقي النفس من الوساوس، ويبعد عنها هاجس الخوف والاضطراب الذي من شأنه أنْ يقوي العزيمة، ومن ثم يدحض شبهات الملحدين وأدوات تضليلهم واغوائهم، ولذلك فإنَّ التسلح بالأدلة العقائدية والإلمام بها التي هي من ضروب العلم والمعرفة، تؤدي في النهاية إلى صيانة الإنسان من الظواهر المنحرفة كالإلحاد.

---

(١) يُنظر: د. محمد صادق زاهدي، دور العلوم المعرفية في دراسة الدين، ص٥٣.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه، ص٤٩.

(٣) يُنظر: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية في العتبة العباسية، اللاهوت المعاصر دراسات نقدية، ص١٠٢.

وهذه المعرفة العلمية والخزين المعرفي الذي يمتلكه الإنسان هو السد المنيع تجاه تلك الظواهر، ويمكن معالجة ذلك بالطرائق التالية:

أولاً: التدبر في خلق الله والتفكر به

إنَّ العلة الأساسية التي يعتمد عليها الإلحاد هو أنكار وجود الله تعالى، وأنَّ العالم نشأ بمحض الصدفة، والسؤال المحوري الذي يتعكزون عليه في إنكار وجود الخالق هو عدم رؤيتهم له؟ وهذه الدعوة لا دليل عليها من حيث أنَّ العقل يحكم بأنَّ لهذا الخلق العظيم خالق عظيم، ومن تأمل في الكون الفسيح أو في النفس الإنسانية يظهر له جلية هذا الأمر قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد ﴾ {سورة فصلت: ٥٣}.

وغلبت الصفة التفسيرية لهذه الآية الكريمة في بيان مراد المولى عزل وجل في إثبات وجوده ووحدانيته، بالتأمل في الآيات الآفاقية والأنفسية التي تدلل على جامعية القرآن الكريم للإنسان والعالم، قال أحد المفسرين: سنتمم لكم بعين البصيرة وبنور العناية والهداية من خلال مطالعتكم آياتنا الآفاقية والأنفسية بالمشاهدة العيّانية أنه لا يوجد غير الله خالقاً وواجداً، وغير اسمائه وصفاته وافعاله تدل عليه، فليس في الوجود سوى الله تعالى (١).

ويبدو أنَّ المعالجة القرآنية لفكرة إثبات واجب الوجود عن طريق الأدلة والبراهين العقلية التي تثبت وجوده سبحانه وتعالى، تعدُّ من أنجع الطرق وأفضلها؛ لأنها تتناغم مع العقل الذي يقر ويذعن به الملحد، من حيث أنَّ ذلك محاكٍ لوجدان العقل، وإنَّ كل الأشياء في الكون لم تأتِ من فراغ، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ {سورة الدخان:٣٨} .

---

(١) يُنظر: حيدر آملي، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم،٥٢٢/٢.

ثانياً: المجادلة بالحسنى مع الملحدين

قد يكون العلاج النافذ إلى القلب هو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ {سورة النحل:١٢٥}.

فالموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى تعد من السبل التي يتم بها معالجة أفكار الإلحاد، ؛لانَّ الشبهات العالقة في ذهن الملحد حول وجود الله وعدمه إذا لم تعالج بالرفق واللين ، فإنه سوف يؤدي في الآخر إلى استفحال هذا المرض، وعند أستقراء بعض الآيات القرآنية كما هو مزبور في قصة موسى وهارون (عليهما السلام) نلاحظ أنَّ الأسلوب القرآني تميز باللين حتى مع عدو الله تعالى المتمثل بفرعون، وقد صوّر لنا القرآن الكريم هذا الجدال في أروع تصوير قال تعالى: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ۞ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ { سورة طه:٤٣-٤٤}، فرغم طغيان فرعون وتجبره ، بل وادعاؤه الربوبية ، إلا أنَّ الله تعالى أمر نبيه موسى ووصيه هارون (عليهما السلام) بأن لا ينطقا في الدعوة إلى الله إلا بالقول اللين، وهذا ما أشار إليه الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: بينت الآية الكريمة طريقة التعامل مع فرعون، من أجل التأثير عليه بالكلام اللطيف والرقيق الملائم حتى تدخل دعوتكما إلى قلبه، لعله يؤمن بالله تعالى بالأدلة المنطقية والعقلية، أو أن يخاف الله تعالى وعقابه في الدنيا والآخرة، بعد زوال ملكه فيذعن ويؤمن [١].

فللكلمة وقع في النفس خصوصاً إذا كانت تدمل جرحاً، وما نرى إلا أنَّ الملحد اعتنق وتراجع عن تلك الأفكار الهدامة نتيجة للوعظ من الآخرين، بل ينبغي أن نناقش أفكارهم ودحض الشبهات غير المنطقية العالقة في عقولهم؛ نتيجة تأثيرات داخلية وخارجية، فلا ينبغي أن نتهمهم بالزندقة والكفر، وخير شاهد على ذلك الحوار الذي أداره الدكتور عمرو شريف مع أحد الملاحدة الذي عجز عن الرد، فكان ذلك سبباً في رجوع بعض الملحدين إلى الله تعالى[٢].

(١) يُنظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،٦/١٠.
(٢) يُنظر: عمرو شريف ويحيى هاشم، الإلحاد بين المغالطات وتطويع الأوهام، ص٦٤.

وتأسيا ًبالمنهج القرآني الذي حاول التعامل مع ما يجول في خواطر وأذهان بني أدم، نراه عرض مثالاً لا يقل أهمية عن النموذج الأول في الرد على الأفكار المقلقة بأفصح الردود وأبلغها، وخصوصا ًالتي تتعلق بالقضايا العقدية، قال تعالى على لسان أبي الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى ﴾ {سورة البقرة:٢٦٠}. فإذا كان إبراهيم (عليه السلام) مع جلالة قدره، وقربه من الله تعالى فهو من أنبياء أولي العزم، وخليل الرحمن وإمام المؤمنين في وقته، قبل الله تعالى منه السؤال وضمن من خالقه الإجابة على ذلك، فما بالنا لا نقتدى به (عليه السلام) ونقبل ذلك من الملحدين، ونناقشهم في أفكارهم كما فعل الله تعالى مع خليله (عليه السلام) ؟[1].

وفي سياق تفسير آية إحياء الموتى قال الدكتور وهبه الزحيلي: " واذكر أيها النبي حين قال إبراهيم الخليل (عليه السلام) : رب أرني رؤية عين ، لا رؤية قلب ، ليطمئن قلبي ، كيف تعيد الموتى أحياء ، فقال الله له : أولم تصدق بقدرتي على الإحياء حتى ترى ؟ قال : بلى يا رب ، علمت وآمنت بقدرتك ، ولكن سألت ذلك ليزداد يقيني باجتماع المعاينة إلى الاستدلال على الإيمان" [2].

ومن خلال ما تقدم يتضح أنَّ الأساليب القرآنية مع تنوعها وتعددها، إلا أنها لا تهمل التعامل مع الملحدين في بيان عقائدهم ودحضها بأسلوب المجادلة بالحسنى، والرفق واللين وإزاحة وإزالة ما علق من إشكاليات وشبه تطرقت إلى قلوب الملحدين، فهذا الأسلوب الذي طبقه الأنبياء(عليه السلام) وهو سنة حسنة وطريقة محمودة متبعة. وينبغي أيضاً أن تمتد حرية الحوار إلى كل المجتمع، فلا يقارع الفكر إلا بالفكر والحجة والبرهان قال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ {سورة البقرة:١١١} وهذا هو منهج القرآن الذي وجهنا الله عز وجل إليه.

---

(١) يُنظر: الكاشاني، التفسير الصافي،٢٩٣/١.

(٢) الدكتور: وهبة الزحيلي: التفسير الوسيط،١٥١/١.

ثالثاً: الإنتفاع من البراهين والأدلة العقلية المنبثقة من القرآن الكريم في مواجهة الفكر الإلحادي

إنَّ الطرائق إلى معرفة الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق، وهذا ما يراه الحكماء والفلاسفة، من بين ذلك الاستفادة من الأدلة العقلية القرآنية المتمثلة ببرهان النظم، وبرهان الإمكان والوجوب. فلم تهمل المنظومة القرآنية هذا الأمر، بل نراها تؤكد على استثمار تلك الوسائل في الوصول إلى وحدانية الله تعالى، فحيث يأتي العلاج للإنسان الملحد بصورة مباشرة عن طريق التأمل والتفكر الذي يقوده إلى معرفة الله تعالى من خلال:

١- **برهان النظم :** المراد ببرهان النظم: هو البرهان الذي يثبت وجود خالق للكون من خلال عدة مقدمات وهي:

المقدمة الأولى: إنَّ عالم الطبيعة خاضع لنظم دقيقة من أصغر ذراته إلى أعظم مجراته، لقوانين في غاية الدقة وتضبط كل حركاته وتحولاته، مع مراعاة الروابط بين أجزائه.

المقدمة الثانية: أصل العلية، ومعناة يحكم العقل والوجدان باستحالة تحقق الشيء بلا علة، الأثر بلا مؤثر.

المقدمة الثالثة: خصوصيات الأثر تحكي خصوصيات المؤثر.

وإنَّ العقل الإنساني عندما يطالع عالم الطبيعة الخاضع للدقة والنظام في الصنع والتدبير، وما في هذا الوجود من كائنات يثبت أن له علة موجدة، فهذا النظم العظيم له خالقٌ عظيم قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ۞ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۞ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ۞ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ {سورة الغاشية:١٧-٢٠} . قال السيد محمد الحسيني الشيرازي في تفسير هذه الآية ودلالتها على وجود الله تعالى: "والمراد أفلا يتفكرون في هذه المخلوقات حتى يستدلوا بها على وجوده سبحانه وسائر صفاته ؟ والاستفهام للتوبيخ والتقريع" [١].

(١)يُنظر: محمد الحسيني الشيرازي، تقريب القرآن إلى الأذهان،٦٦٧/٥.

وهذا له دلالتين هما:

الأول: أنَّ هذا الكون البديع أوجدته المادة نفسها وتفاعل وتكاثر بفضل قوة مادية ذاتية، رأي باطل، لأنَّ خصوصيات الكون تكشف أن صانعة عالم وقادر وحكيم.

الثاني: أنَّ تكون العلة الخالقة لهذا الكون على درجة كبيرة من الشعور والكمال والبهاء وهو المتعين [١].

والرائد العقلي يثبت أنَّ هذا التناسق العظيم في الصنع والإبداع لم يوجد بمحض الصدفة، وإنما لهذا النظام وطبيعته، بحكم العقل البشري يؤكد وجود فاعل مؤثر، ومدبر صنع هذا العالم وإلى برهان النظم أشار تعالى في سورة البقرة بقوله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ { سورة البقرة:١٦٤}

فالعلاج القرآني له دلالة واضحة في التفكر والتأمل في خلق الموجودات كالأرض والسماء، والدواب والرياح وغيرها فيها دلالات عقلية قاطعة تثبت وجود خالق للكون ومنشئ ومصور له، فهذا الانسجام والائتلاف بين أجزاء هذا الكون ودقة نظمه الذي يتعين على جميع الخلق النظر إليه لاسيما الملحدين ، وهو ما أشار إليه سيد قطب بقوله: وهذه المشاهد كلها لو أعاد الإنسان النظر والتأمل فيها بعين مفتوحة وقلب واعٍ، في تلك الحياة والأرض وما فيها من مخلوقات، تدلان لهذا الكون العظيم ومخلوقاته خالق عظيم، فلو ألقى الملحد التعصب والعناد وحكم عقله في النظر في مشاهد الكون العجيب، بحس متجدد ورؤية ثاقبة وإدراك متأمل لثبت له أن ذلك من صنع الله تعالى[٢]. ومن خلال هذا البرهان يتضح أن للكون بكل موجوداته خالقا ًعظيما ًقادرا ً وعالماً، فأخرجه من العدم إلى الوجود بقدرته.

---

(١) يُنظر: حسن مكي العاملي، بداية المعرفة، ص٧٩-٨٠.

(٢) يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن،١٥٣/١.

٢-برهان الإمكان والوجوب

وهذا من البراهين والأدلة العقلية التي تثبت وجود الله تعالى، وقد ذكر في القرآن الكريم في عدد من آياته قال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ {سورة يس:٨١} وغيرها من الآيات الدالة على وجود الخالق.

ومن غريب القول ما ذهب إليه ستيفن هوكينج : وقد يزعم البعض أنَّ هناك إلهاً اختار هذا الكون بهذه الصيغة والكيفية، ومن هنا ينبغي أن نقول ومن أوجد الكون؟ فتكون الإجابة هي الله، وحينها ينبغي السؤال ومن خلق الله؟ ومن خلال ذلك يثبت وجود خلق ليس بحاجة إلى هذا الخالق... ونحن نزعم من خلال العلم أن الكون ليس بالضرورة له خالق [١].

ويعدَّ هذا البرهان من أحكم البراهين الدالة على وجوده تعالى، واستغنائه عن جميع خلقه، ومجمل هذا البرهان هو: أنّ هذا العالم الذي نعيش فيه حادث؛ لأنّه في تغيّر دائم، فكل ما هو متغير يعد من الحوادث، وكل من يتصف بالحادث، محال أن يكون قديماً أو أزلياً[٢]. بيد أنَّ محورية هذا النظام تعتمد على الواقع الخارجي كالسماء والأرض والنجوم والمجرات وغيرها، وليس في الكون ما هو وهم أو خيال، بل هو واقع معاش ومحسوس، وهذه الموجودات إمّا مستقلة أو غير مستقلة فهي أما أنْ تحتاج إلى من يوجدها أو المستقلة فلا تحتاج إلى من يوجدها.

ويبدو أنّ قول هوكينج في خلق الكون ودلالته، يستلزم التسلسل والدور، وبذلك يثبت بطلان ما ذهب إليه وفق قانون العلة والمعلول، وحيث أن وجود العلة تستلزم وجود معلولٍ لها، وبما أنَّ محورية الكون تحتاج إلى فاعل يتناسب من حيث الكمال والصفات منزهاً من أي نقص، فيكون هذا الفاعل هو الله تعالى كما قال تعالى:﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ {سورة طه:٥٠} أي ليعلم أن الدليل على أثبات الله تعالى متعلق بخلقه وافعاله [١].

---

(١) يُنظر: ستيفن هوكينج، التصميم العظيم، ص٢٠٦.
(٢) يُنظر: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،١٨٦/١٧.

المقصد الثالث: الرد على الإشكاليات والدعاوى التي يطرحها الملاحدة

إنَّ الرد والتصدي للإشكاليات التي يطرحها الملاحدة والمشككين، هو من أهم العلاجات التي تسهم في الحد من ظاهرة الالحاد وانتشارها، وقد حرص أهل البيت (عليهم السلام) في الرد على تلك الإشكاليات، ومن ذلك حين انتشر في زمن الإمام الصادق (عليه السلام) الملاحدة وأخذوا يطرحون أفكارهم المسمومة في جسد الأمة الإسلامية، وهذا ما صرح به المفضل بن عمر[٢] في توحيده ، كان للإمام الصادق(عليه السلام) صولات وجولات هو وأصحابه في الرد على هؤلاء بسلاح العقل. وفي الوقت الحاضر ظهرت دعوات للملاحدة الذين جعلوا من النظريات العلمية وسيلة؛ للإنكار وجود الله منها:

أولا: نظرية النشوء والتطوّر

وتسمى أيضاً بالنظرية الدارونية [٣] نسبة إلى مكتشفها، وهذه النظرية تنكر وجود الله سبحانه وتعالى، وأنَّ المخلوقات في بدايتها نشأت من خلية واحدة (الأميبا) وإنها تكونت في الحساء العضوي، نتيجة لتجمع مجموعة من جزئيات البروتينات وبينها عناصر أخرى بمساعدة عوامل بيئية ومناخية مثل: الحرارة والأمطار والرعد والصواعق، ثم انقسمت هذه الخلية إلى مخلوقات ذات خليتين ثم خلايا متعددة حتى ظهرت الحشرات والحيوانات والطيور والإنسان الذي تطوّر أكثر من القرد[٤].

وما يهمنا في هذا المضمار هو أنَّ الملحدين يتعكزون على هذه النظرية في إنكار وجود الله تعالى، ويزعمون أنَّ الاعتقاد بوجود خالق غير ضروري، بل المادة

---

(١)يُنظر: القشيري، لطائف الإشارات، ٤٦٢/٢.

(٢) المفضل بن عمر: هو المفضل بن عمر الجعفي الكوفي من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) ، واحد تلامذته روى عنه وله كتاب أسمه توحيد المفضل، وهو من أجل الكتب التي تتحدث عن توحيد الله عز وجل من خلال مخلوقاته(يُنظر: توحيد المفضل، ص٥).

(٣) نظرية التطور: وهي النظرية التي أكتشفها العالم الإنكليزي تشارلز دارون عام ١٨٨٢م ، والتي مفادها أنَّ كل الأنواع الحية من النباتات والحيوانات تطورت بشكل تدريجي من أصول مشتركة عبر ملايين السنين، فليس بالضرورة أن يكون لهذه الخلوقات إله أوجدها (يُنظر: مجموعة من المؤلفين ،الموسوعة العربية العالمية ٢٢٧/١٠،.

(٤) يُنظر: يحيى هارون، هدم نظرية التطوّر، ١-١٧.

والطبيعة هي من أعطت مقومات الحياة لهذا الكون. وفي حين نجد المعالجة القرآنية واضحة في بيان خلق الإنسان وتكذب المزاعم التي تؤدي إلى بيان أصل

الأنواع، وقد تعرّض القرآن الكريم في كثير من آياته لمسألة خلق الإنسان، ومن ذلك قال تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾ {سورة السجدة:٧} وهذه الآية الكريمة في مقام ذكر العنصر التي تكوّن منه الإنسان هو آدم وذريته هو من طين ، وكيفية خلقه بالطريقة المثلى، ونبه الله جل وعلا على أنه جعله أنسانا من ذلك العنصر وهو الطين (١).

وتوسع الله في ذكر التفصيلات الدقيقة ومراتب خلقه للإنسان وهذا ما أكده قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾{سورة المؤمنون:١٤}.

فيعد ذلك من تجليات الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه في عصر العلم ، وهو وصف لأدق الكائنات الوجودية بأدق تفاصيلها، وهذا ما اشار إليه الماتريدي (ت:٣٣٣هـ) بالقول: أخبر الله تعالى عن علمه وقدرته وسلطانه، ليعلم الخلق أنَّ من خلق الإنسان وفصل فيه من النطفة ثم العلقة من النطفة، لو اجتمعت الخلائق كلها على أن تخلق مثلها لم ولن ولا يستطيعون ذلك، ثم بين الله التسلسل التفصيلي من النطفة والعلقة والمضغة ...دل ذلك على أنه قادر، فمن قدر على أنشائهم من الأصل قادر على أحياء الإنسان عند الموت، وذلك من إعجاز الله تعالى في خلق المخلوقات (٢).

وهذه الآية الكريمة قادرة على دحض نظرية النشوء والتطوّر وإثبات وجود الله تعالى، فليس لهذا الكون بكل مخلوقاته الدقيقة وحدوده الأنيقة من خالق سواه، وقوة عظمى تدير دفة المخلوقات المشتملة على هذه الدقائق العجيبة في الصنع والإبداع.

---

(١) يُنظر: الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن،٢٩٧/٨.

(٢) يُنظر: تأويلات أهل السنة،٤٥٤/٧.

وهذا ما نلاحظه من نظرة الدين القويم التي جاءت منسجمة مع ما ظهر في العلم الحديث كما أكده بعض المتخصصين أمثال الدكتور (Keith Moore) وهو من

أشهر علماء التشريح وعلم الأجنة في العالم ورئيس هذا القسم في جامعة تورنتو بكندا والذي كان أحد الباحثين المشاركين في المؤتمر المذكور في محاضرته قائلاً: " إنني أشهد بإعجاز الله في خلق كل طور من أطوار القرآن الكريم، ولست أعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم أو أي شخص آخر يستطيع معرفة ما يحدث في تطور الجنين، لأنَّ هذه التطورات لم تكتشف إلا في الجزء الأخير من القرن العشرين، وأريد أن أؤكد على أنَّ كل شيء قرأته في القرآن الكريم عن نشأة الجنين وتطوره في داخل الرحم ينطبق على كل ما أعرفه كعالم من علماء الأجنة البارزين " (١).

ومن خلال المعطيات القرآنية الحاضة على خلق الإنسان، ومراحل نشأتها وتطورها التي ذكرها القرآن الكريم هي دليل نقد هذه النظرية، التي لا تنسجم مع الآيات القرآنية وبذلك يكون القرآن الكريم دحر هذه النظرية قبل العلم بعدة قرون.

ثانياً: نظرية الانفجار الكوني

وهي النظرية السائدة عن نشأة الكون تُقدم هذه النظرية شرحا ًوافيا ًلمجموعة واسعة من الظواهر الطبيعية المرئية، بما في ذلك وفرة من العناصر الخفيفة والخلقية والإشعاعية للكون والمرئية الضخمة للكون، وهذه النظرية الفيزيائية تبتني على قواعد فيزيائية معينة، وهو ما دعا ستيفن هوكينج إلى نفي وجود خالق لهذا الكون وربط ذلك من خلال نظريته حيث قال: ولأجل وجود عنصر الجاذبية سيبقى الكون قادراً على خلق ذاته من العدم، وأنَّ الخلق التلقائي هو سبب وجود الكون، ومن ثم لا حاجة إلى وجود خالق للكون ، فلو عرفنا قوانين الكون المحكمة فلسنا بحاجة إلى أن نفرض وجود للكون خالقاً(٢).

---

(١) عبد الرحمن محمود، رحلة إيمانية مع رجال أسلموا ، ص٢٠٠.

(٢) يُنظر: ستيفن هوكينج، التصميم العظيم، ص ١٣٠وما بعدها.

ويقول أحد الباحثين المتأخرين: أنَّ كيفية ذلك الانفجار لم تتضح معالم نشوئه من الناحية العلمية، وهذا ما قاله كارلز تاونز: ولحد الآن لا توجد إجابة علمية تفسر

كيف نشأ الانفجار الكوني، وما دمنا لا نملك الإجابة العلمية على ذلك، فإننا نرجع إلى التفسيرات الدينية الغيبية، ومن ثم فأنا أؤمن بالإله الخالق لهذا الكون الذي بقدرته تم هذا الانفجار(١).

والسؤال المهم الذي ينبغي أن يجيب عليه أصحاب هذه النظرية والمؤيدين لها، هل هذا الانفجار أستدعى تدخل عامل خارجي أو لا؟

وللإجابة على هذا السؤال في حال عدم إثبات الفاعلية لهذا الكون، هو نفي لقانون السببية، وإذا رفضنا ذلك تنكر كل القوانين الذكية، لأنَّ أنتاجها مبني على السببية مثل: غليان الماء وضغط البخار، وغيرها فكل ذلك حدث بسبب موجد لها ولم تنشأ بطريق الصدفة(٢). وعند النظر والتأمل في القرآن الكريم واستنطاق آياته نجد أنه لم يهمل ذلك وهذا ما قرره الله تعالى بقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ {سورة المؤمنون:٣٠} وبين في آية أخرى كما في قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه :﴿ ثم اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ {سورة فصلت:١١} فكان الكون بمجموعه عبارة عن كتلة واحدة، ثم تفتت إلى عدة ذرات تسبح في هذا الفضاء الواسع، فالشمس والقمر والأرض والزهرة والمجرات وغيرها من الكواكب هي ذرة من هذه الذرات، وهذه الحقيقة قد أعلنها القرآن الكريم قبل ١٤ قرناً قبل أن يصل إليها العلم الحديث منذ وقت قريب، والحقيقة الثانية التي اكتشفها العلم أن لا حياة من دون ماء، حيث يزداد القرآن وضوحاً مع تقدم العلم إلى الأمام(٣).

---

(١) يُنظر: منير الخباز، الشبهات المعاصرة الألحاد وسبل التصدي لها، ص٤٢.

(٢) يُنظر: جعفر إدريس، الفيزياء ووجود الخالق، ص١٠٠-١٠٦.

(٣) يُنظر: مغنية، التفسير المبين، ص٤٢٣.

ويعدُّ السبق القرآني للظاهرة حقيقة تقدمت العلوم الحديثة، وكان العلاج القرآني في إثبات وجود الله من خلال الموجودات والبراهين في عالم الوجود؛ لأنه لم يختص

بعصر دون العصور، بل له محتوى عميق في كل زمان ومكان، وهذا ما أقره أحد المفسرين في تفسير الآية: المراد برتق السماء والأرض إشارة إلى بداية الخلق، أنّ هذا العالم هو كتلة كبيرة من البخار المحترق، ثم تجزأ تدريجياً، نتيجة للانفجارات الداخلية والحركة مما ولد الكواكب والنجوم والمنظومة الشمسية والكرة الأرضية، ولا يزال العالم في توسع أكبر(١) .

ومجمل الكلام: إنَّ نظرية الانفجار الكوني قد سبق القرآن الكريم إليها وفصل القول فيها، قبل أن يكتشفها العلم الحديث بأكثر من أربعة عشر قرناً، وهذا ما دعا البعض من الغربيين إلى أن يعتنقوا الإسلام بسبب تلك الحقائق العلمية.

ومن خلال ما تقدم فإن ظاهرة الإلحاد وشيوعها في العصر الحاضر، يعزى إلى الانبهار بالحضارة الغربية والاكتشافات العلمية التي ساعدت في نماء هذه الظاهرة، والغاية من ذلك هو التخلص من القيود الدينية التي تفرضها الأديان، الذي بدوره يؤدي إلى أنخفاض مستوى التدين بسبب الحصانة الدينية التي يمتلكها الفرد، فكان العلاج القرآني للحد من هذه الظاهرة عن طريق تفعيل دور العقل والفطرة، والتأمل في الآيات الآفاقية والأنفسية، التي تهدف إلى بيان قدرة الله وعظمته كما جاء في الحديث القدسي: " خلقت الخلق لكي أُعرف" (٢).

---

(١) يُنظر: ناصر مكارم الشيرازي، مصدر سابق، ١٥٥/١٠.

(٢) مغنية، في ظلال نهج البلاغة،١٣٤/٢.

المبحث الثاني: إشكالية إتهام النبي (ﷺ) بمخالفة التشريع

من بين الإشكاليات العقدية التي حاول البعض إثارتها للنيل من شخص النبي هي مخالفته للتشريع الإلهي، كما هو الحال في مسألة التبني، فيصورون النبي (ﷺ) يحب النساء والجنس فتحركه شهوته وفي هذا المبحث نرد على هذه المزاعم الواهية.

المطلب الأول: إشكالية حب النبي (ﷺ) للنساء

درج بعض أعداء الإسلام إلى إلصاق التهم بالنبي الأكرم(ﷺ) منذ القدم في التشكيك به، والطعن في رسالته الخاتمة، وانسحب ذلك إلى العصر الحاضر، ولكن هذه المرة على يد المستشرقين حيث قالوا: أن النبي (ﷺ) رجل يحب النساء والشهوات فلم يكفيه النساء التي تحته بل يشتهي حتى نساء أصحابه، وهذا ما حصل عندما رأى زينب بنت جحش عارية وهي جميلة فوقع في قلبه شيء لجمالها [١] . وقد قدم القرآن الكريم صورة واضحة ذلك فيما يتعلق بالتبني والمراد به: "هو اتخاذ رجل ما طفلاً أو صبياً غريباً ابناً له"[٢]. وأشار القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ {سورة الأحزاب:٣٧}

وفي سبب نزول هذه الآيات: إنها نزلت في زيد بن ثابت وزوجته زينب بنت جحش، حيث أراد زيد أن يطلقها ولكن النبي (ﷺ) نهاه عن ذلك وأمره بالإبقاء على زوجته وعدم مفارقتها، ولكن النبي(ﷺ) يخفي نفسه ذلك، وفي حال طلاقها فإنه سوف يتزوجها ولكن خشي من الناس من زواجه من أدعيائه ، والغرض من ذلك كله هو لإبطال عادة جاهلية كانت متأصلة عند العرب [٣].

---

(١) يُنظر: غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ١١٦. و مونتجمري وات، محمد في مكة، ص ٤٤٣.

(٢) محمد دروزة، التفسيرالحديث،٣٥١/٧.

(٣) ينظر: الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القران،٣٤٤/٨.

واستدل بعض المستشرقين على هذه الإشكالية بما ورد في تفسير الطبري حتى جعلوها أداة نبز بالنبي الأكرم (ﷺ) من تصويره بأنه رجل يحب الشهوة والجنس ، ولم يكن حاله حال الأنبياء المبعوثين من الله تعالى لهداية البشر، فقال الطبري: إنَّ زينب بنت جحش رآها النبي (ﷺ) فأعجبته وهي في حبال مولاه زيد ، فكرهها زيد لما علم بأنَّ النبي (ﷺ) أحبها وشغف قلبه بها؛ لأنها كانت جميلة، فأراد أن يطلقها فذكر ذلك للنبي(ﷺ) قال :﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وهو يحب أن يطلقها زيد لينكحها النبي، فقال له: فاتق الله في زوجك :﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ ، فهو يخفي محبته لها في نفسه من ذلك :﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ فتخاف من النّاس أن يقولوا عنك أمر بطلاق امرأة زيد ونكحها حين طلقها والله هو أحق أن تخافه وتخشاه [1].

فهذه الإشكاليات التي تطرح من هؤلاء هدفها هو الحط من شأن النبي الخاتم وقدسيته في قلوب المسلمين قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَاللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ {سورة التوبة:٣٢-٣٣}. فلا غرابة أن نسمع مثل هذه الإشكاليات، وهذا البهتان والتضليل الذي يطال نبي الرحمة وخاتمها وأفضل من وطئ الأرض، فهي سنة من كان قبلهم قال تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ {سورة فاطر:٤٣} وصدق الله قوله عندما قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ {سورة الفرقان:٣١} وهذه الآيات الكريمة تكشف مدى حقد الكفّار ومن سار على نهجهم في هذا العصر من مستشرقين ومن تأثر بهم، في الانتقاص من شأن الرسول الخاتم (ﷺ) من خلال طرح تلك الإشكاليات المستهجنة.

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٧٣/٢٠.

وأنَّ الدواعي والأسباب لطرح مثل هذه المشكلة تتعلق بضرب صاحب الشريعة، من اتهامه بمخالفة التشريع الإلهي الذي كان من المقرر أن يلتزم به، كما هو الحال مع جميع الأنبياء السابقين ويطلقوا العنان لخيالهم لتصوير النبي (ﷺ) عندما رآها عارية أو شبه عارية، ورأى انسدال شعرها على جسمها الذي يجلب الهوى والشغف فيها، ولم يكتفوا بذلك، بل يصورون أن النبي(ﷺ) رآها ممتدة على سريرها والهواء يلعب بأستار غرفتها ، وهذا المنظر حرك قلب النبي (ﷺ) للإعجاب والشغف بها، ولكنه كتم ذلك في قلبه [1].

هذا التصوير الشهواني للنبي (ﷺ) من قبل المستشرقين لا صحة له وخصوصا أنَّ النبي(ﷺ) وصفه الله بأجمل الأوصاف واعلاها منزلة كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾{سورة القلم:٢} وقال تعالى في محكم كتابه وعظيم خطابه :﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ { سورة الأحزاب:٤٥-٤٦} فكيف يكون شهوانيا ًوفي قبال ذلك وصف بأنه سراج ومنير وشاهد ومبشر ونذير، وصاحب خلق رفيع عظيم ؟ فما نسب إليه من نعوت المستشرقين وغيرهم، هي أوهن من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون.

---

(١) يُنظر: هيكل، حياة محمد، ٣٠٦.

المطلب الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية حب النبي (ﷺ) للنساء

ومن خلال الرصد القرآني لبعض الآيات التي تشير إلى علاج تلك المشكلة، نجد أنّ الله تعالى نزه النبي (ﷺ) مما نسبه له حثالة القوم ومن بين تلك المعالجات هي:

أولا: القضاء على العادات الجاهلية

من أبرز العادات السيئة التي يتميز بها المجتمع الجاهلي، هي عدم نكاح الرجل لزوجة أبنه بالتبني، حيث أنهم يستهجنون ذلك الفعل، فلما جاء الإسلام أقتلع تلك العادات من جذورها، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ {سورة الأحزاب:٣٧} أي لما لم تكن لزيد حاجة فيها وطلقها وانقضت عدتها أمرناك بالتزوج منها لمصلحة عامة، غايتها القضاء على الضيق والأثم الذي يزعمه الناس من نكاح زوجات الأدعياء ، وانهاء هذه العادة السلبية في داخل المجتمع الإسلامي [١] .

ومن هنا تبرز الشخصية النبوية في معالجة واطفاء بعض المشكلات المجتمعية، واتخاذ الإجراء الأصلح لاحتواء هذه المشكلة القبيحة، فكان النبي (ﷺ) المطبق الحقيقي لتلك المعالجة، حتى لا يكون هناك أثم وحرج من هذا الزواج وتداعياته على المؤمنين في المستقبل، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ { سورة الحشر:٧}.

وعلل الكاشاني اختصاص الحكم بالعموم للمؤمنين، وإن كان وارداً في سبب خاص وفق قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فقال: وإنما فعلنا ذلك للتوسعة على المؤمنين حتى لا يكون حرج وإثم في زواج أدعيائهم، فبين الله تعالى الحكمة من ذلك بأن المتبني لا تحرم عليه امرأة المُتبنى إذا فارقها وطلقها، على النقيض من الأبن الحقيقي من النسب والرضاع [٢].

---

(١) يُنظر: الطبرسي، جوامع الجامع في تفسير القرآن المجيد، ٦٤/٣.

(٢) يُنظر: فتح الله الكاشاني، زبدة التفاسر،٣٨٠/٥.

وفي رد إشكالية شهوانية النبي(ﷺ) قال محمد هادي معرفة: فالحقيقة تشهد بوضوح أن محمداً (ﷺ) لم يكن رجلاً شهوانياً كما يصوره البعض ويأخذ الهوى بعقله فمن تزوجها من نساءه ليس بدافع الشهوة الفائضة والغرام العارم كما يقول المستشرقون الذين يحاولون قلب الحقيقة ناصعة البياض إلى ظاهرة مشينة قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ { سورة الصف:٨} فما كان من ذلك كله إلا لأجل إبطال عادة التبني التي كانت تسود المجتمع الجاهلي إبطالاً عملياً، والذي يترشح لهذه المهمة هو نفس النبي(ﷺ) فلم يكن من العرب من يتصدى لهذه التضحية الكبيرة، وينقض بها التقاليد الجاهلية السائدة سوى النبي محمد (ﷺ) نفسه [1].

ويبدو أنَّ ضراوة فعل إبطال عادة التبني يتطلب شخصية ذات مستوى عالٍ من المقبولية بين أفراد المجتمع، للقيام بهذه المهمة الكبيرة مثل النبي(ﷺ)، وبذلك يتطلب منه تضحيتين الأولى : بزيد المتبنى الذي عاش في كنفه ورعاه منذ نعومة أظفاره سنين طوال، وذلك بإرجاعه إلى أصله النسبي الحقيقي كما صوره القرآن الكريم بقوله : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ { سورة الأحزاب:٤٠}. والثانية: التداعيات التي ستؤول إليها الأمور بعد ارتباطه بزوجة زيد، نتيجة لوجود المنافقين والمشركين وماكناتهم الإعلامية في تشويه صوّر الحقيقة، فالعبء ثقيل في تحريم تلك العادة الجاهلية السائدة في المجتمع الجاهلي من نكاح زوجة الابن المتبنى حال طلاقه منها، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ { الأحزاب:٣٩}.

---

(١) يُنظر: محمد هادي معرفة، شبهات وردود حول القرآن الكريم، ١٦٩/١-١٧٣.

ثانياً: إباحة التعددية الزوجية

إنَّ التشريع الإسلامي خالٍ من العيوب والأخطاء ومن بين كمالية هذا التشريع إقراره تعدد الزوجات ، وقد صوّر القرآن الكريم هذه التعددية في بعض آياته الكريمة فقال: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ﴾ { سورة النساء: ٣} ، حيث يجعله الآخرون أمتهاناً لكرامة المرأة وتقليلاً من قيمتها ، في حين أن فوائده لا تحصى فمنها تقوية العلاقات الإجتماعية بين الأفراد، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ {سورة الحجرات:١٣} أي ليتعارفوا في النسب ولا يكون ذلك الا من خلال الزواج والتعددية لكي تتقوى روابط المصاهرة ، وتحد من رواسب الجاهلية وتفاخر كل قبيلة على غيرها(١).

وحيث أمر الله النبي (ﷺ) أمره الله بالتعددية، وهو تشريع عام له ولأمته فلماذا يشنع عليه بالتزوج من نساء بأكثر من أربع ؟ ثم أن هذا النظام يرتقي بالمستوى الأخلاقي في الأمم التي تؤمن به، ويزيد الأسرة احتراماً وانسجاماً يقول المستشرق المنصف وول ديورانت على ما نقله عواضه: يعتقد البعض أنَّ محمداً (ﷺ) أبتكر نظام تعدد الزوجات ولم يسبق إليه أحد، ولكنه نظام سابق للإسلام بسنين طوال ، فإنَّ هذا التعدد كان موجوداً في الأديان السابقة لاسيما المسيحية واليهودية التي أباحت التعددية الزوجية، حيث قام بعض المعمدانيين في مونشير إنه من حق المسيحي أن يتزوج بأكثر من امرأة فهذا نظام الإلهي مقدس وينبغي العمل به(٢). وهذه سنة الله في الأمم السالفة وهذا ما يفهم من سياق النص القرآني، ولم يقتصر على النبي (ﷺ) وأمته كما في قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ {سورة الأحزاب:٦٢}. أي أن هذا الحكم هو سنة متبعة كسنة الانبياء الماضين من كثرة التعدد في الأزواج (٣).

---

(١) يُنظر: ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مصدر سابق ، ٥٦٠/١٦.
(٢) يُنظر: رضا ديب عواضة، لطائف النساء، ٢٩٠-٢٩١.
(٣) يُنظر: مير علي الطهراني، مقتنيات الدرر،٣٠٩/٨.

ثالثاً: بطلان الأحاديث التي أستدل بها المستشرقون

كان جل اعتماد المستشرقين في إلصاق تهمتهم بالنبي (ﷺ) هو برواية الطبري سالفة الذكر، وقد غمز فيها كثير من العلماء والمفسرين وردوها من حيث لا تقبل الشك، أنها تخالف مبدأ العصمة الذي عصم الله بها نبيه (ﷺ) من الخطأ والنسيان قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ {سورة النجم:٣-٤} فهو معصوم في القول والفعل وهذا لا غبار عليه.

ولكن الاستدلالات التي تعكّز عليها المستشرقون واهية وضعيفة ومردودة من كل الوجوه ، وهذا ما قاله السيد المرتضى في الرد على هذه الرواية : إنَّ رواية إعجاب النبي (ﷺ) بزينب عندما رآها ، وهي من الروايات المنكرة ولا يعتمد عليها؛ لأنَّ عشق الأنبياء (عليهم السلام) لمن لا يحل لهم من النساء منفر، ويحط من مكانتهم ومنزلتهم ويخدش في عصمتهم [١] ومما يعاضد ذلك قول ابن حجر العسقلاني بعدما ضعف هذه الرواية فقال: ووردت أثار عن الطبري وابن أبي حاتم ونقلها الكثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها، كما هو الحال في رواية زواج النبي(ﷺ) من زينب بنت جحش الأسدية ، هو لأجل إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية ، وإنه وقع منهم التخبط والتأويل الذي لا يمكن التعويل عليه [٢].

وعدها آخرون من الإسرائيليات في التفسير، وأنَّها من دس يوحنا الدمشقي[٣] في عصر بني أمية، فقال: وهذه الرواية من الأباطيل التي يرويها ابن جرير الطبري في تفسيره، وهي من المدسوسات التي دسها أعداء الإسلام عن طريق يوحنا الدمشقي في عصر بني آمية، حيث كثر فيه التزييف والتحريف [٤] .

---

(١) يُنظر: الشريف المرتضى، تنزيه الأنبياء،١٥٥.

(٢) يُنظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري،٥٣٤/٨.

(٣) يوحنا الدمشقي: هو راهب ظهر في القرن الثاني الهجري في ايام الدولة الأموية له كتاب اسماه حياة محمد والآخر(حوار بين مسلم ومسيحي، وهو أول من وضع علم الجدل مع المسلمين(يُنظر: محمد عمر الحاجي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ٦٨٧/٢)

(٤) يُنظر: محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، ١٠٣.

رابعاً: صيانة المجتمع من الفساد

إنّ التشريع الإسلامي الوارد في تعدد الزوجات كما هو الحال من فعل النبي (ﷺ) ، هو إجابة الإنسان لواقعه الخارجي، وغايته هو صيانة المجتمع من الفساد وقد ذم الله تعالى الفساد في كثير من آياته منها: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ { سورة الاعراف:٥٦} ، قال مير علي الطهراني: أي لا تعلما شيئا من المفاسد شيئاً كالقتل والغصب والقتل والزنا في الأنساب وافساد العقول بالمسكرات ، وغيرها من وجوه الفساد المختلفة [١] . فالتعدد من شأنه أن يقي المجتمع الوقوع في الفساد ومن ثم يصل به إلى مصافي التكامل الخلقي والأخلاقي، وعلى وجه الخصوص تزايد أعداد النساء في العالم ومنها الأمراض والأوبئة والحروب والعقم ، وغيرها من الأمراض التي تدعو الزوج إلى اللجوء إلى الزواج المتعدد ؛ لغرض إطفاء الغريزة الجنسية العارمة لدى الإنسان ، وحب الأولاد وغيرها ، أفليس الإسلام محقاً في التعددية الزوجية ؟ [٢].

وهذا ما حدا بسيد قطب إلى بيان الحكمة من التعددية الزوجية فقال: إنَّ الحكمة من تشريع نظام تعدد الزوجات؛ لكي يحمي المجتمع من الجنوح تحت ضغط الشهوات الواقعية المتنوعة التي تؤدي إلى الانحلال، فإنَّ التعدد مطلوب لذاته مستحب بلا مبرر من ضرورة فطرية واجتماعية [٣] . ومن النماذج التطبيقية التي ذكرها هوفمان[٤] في شأن التعددية الزوجية فقال: إنّ رجل أعمال مصري يعيش في حي سويسي بالرباط متزوج من أربعة زوجات جميعهن من الجنسية الألمانية، اللواتي اعتنقن الإسلام، حيث يبدو عليهن السعادة في أوج قوتها، ، وبذلك فإنَّ تعدد الزوجات الذي أقره الإسلام لا يمثل مشكلة[٥].

---

(١) يُنظر: مير علي الطهراني، مقتنيات الدرر،٣٤٢/٤.
(٢) يُنظر: عرفة محمد ميرغني، دراسة تفسيرية لمفهوم العدالة في تعدد الزوجات، ٥٧.
(٣) يُنظر: سيد قطب، تفسير في ظلال القرآن،٥٨١/١-٥٨٢.
(٤) هوفمان: هو مستشرق الماني الجنسية أعتنق الإسلام عام ١٩٨٠م، في الجزائر أبان الحرب الجزائرية، وكتب كتاباً أسماه رحلة إلى مكة، وكتاب الإسلام كبديل، (يُنظر: هوفمان ،الإسلام كبديل ،ص٢٥٨).
(٥) المصدر نفسه.

المطلب الثالث: إشكالية تحريم ما أحل الله للنبي (ﷺ) له

بعدما عجز المستشرقون في إثبات مثلبة على النبي (ﷺ)حاولوا بطريق آخر مفاده طرح إشكالية تحريم ما أحل الله له ، وهدفهم من ذلك هو زعزعة ثقة المسلم في دينه وعقيدته، ويهزوا ثقتهم في القرآن الكريم ، الذي أعجز مصاقع العقول عن مجاراته ، وبمجرد سماعهم آياته الكريمة أذعنوا لها إذعاناً ، ولكن المستشرقين جهدوا أنفسهم في تصويب سهامهم نحو شخصية النبي (ﷺ)والطعن فيها فصوروه بمنظر الخاضع لهواه ، ويقوم بالتحليل والتحريم دون الرجوع إلى الوحي ، وعمدة ما استدلوا به في أشكالهم قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ { سورة التحريم:١} .

وفي بيان سبب نزول هذه الآية قال القمي (ت:٣٢٩هـ) : إنَّ النبي (ﷺ) كان في بيوتات أحد أزواجه ومعه مارية القبطية تخدمه، وكان في أحد الأيام في بيت حفصة فذهبت حفصة في حاجة معينة فتناول رسول الله (ﷺ) مارية، فعلمت حفصة بذلك فغضبت غضباً شديداً فأقبلت على النبي (ﷺ) وقالت: يا رسول الله هذا في يومي وفي فراشي وفي داري فأستحى رسول الله منها ، فقال : كفى لقد حَرمتُ مارية على نفسي ولا أطأها بعد هذا اليوم أبداً [١].

وهذه الرواية وإن كان في ظاهرها حسن نية من بعض المفسرين في تصوير النبي (ﷺ) أنه عظيمٌ في كل شيء ، إلا أنها في الوقت نفسه تخدش في عدالته في العدل بين أزواجه ، وإظهاره بوجه عدم الاستقامة مع أزواجه في فراش الزوجية ، بل ولا يعلم أن هذا اليوم مخصص لزوجته حفصة ، وهذا كان سبب غضبها من رسول الله(ﷺ)، مما دعاه في حال غضبه أن يقسم بعدم وطئ ماريا مرة أخرى .

---

(١) يُنظر: تفسير القمي، ٣٧٦/٢. الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن،٥٦/١٠

وفي حين يرى بعض المفسرين أنَّ التحريم في هذه الآية بمعنى **المنع** كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ { سورة القصص:١٢} ، أي منعنا عليه أن يرضع غير أمه، وقد وجه الاسكندري المالكي بالقول في تنزيه النبي من هذه المثلبة فقال : هو افتراء على النبي(ﷺ) وهو منه براء من القول من أنه خلا بمارية في يوم عائشة فَحرّم مارية عليه، فما فعله النبي في بيت عائشة هو فعل مباح وحلال صرف فلا يستحق عليه تطليق مارية[١]. ومنهم من يرى أنَّ النبي (ﷺ) شرب عسلاً فجاء إلى بيت أحدى نسائه فقالت له أحداهن: إني اشمُ فيك رائحة معافير، قال : شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود إليه فنزلت هذه الآية[٢] .

ويبدو أنَّ هذا الرأي لا يصمد أمام النقد حيث أنَّ العلم الحديث أثبت أنَّ العسل، هو مطهر للفم من الروائح والأمراض التي تصيب الفم، وهذا ما أشار إليه الدكتور (حسان شمسي باشا) فقال: إنَّ التأثيرات العلاجية للعسل في أمراض تجويف الفم، كان من أهم العلاجات التي تستعمل قديماً؛ لأنه يحتوي على الخمائر والأملاح المعدنية والحموض العضوية والفيتامينات وغيرها التي تعتبر مضاداً للالتهابات ومضاداً للجرائيم والفطريات [٣]. ومما يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ {النحل :٦٩}.

ومن خلال اختلاف الروايات المروية عن النبي(ﷺ) والصحابة في نوع المُحرّم ما بين شرب العسل ، أو نكاح مارية في بيت حفصة أو عائشة أو غيرهما، يتضح أنه لا يوجب التحريم في الحكم فكلاهما مباحان ، ولا يستحقان الحرمة وإنما المراد من التحريم هو المنع كما أشرنا ، فينبغي الجمع بينهما أولى وهذا ما اختاره الكاشاني بالقول: العسل أو ما ملكت يمينك وهي مارية [٤] .

---

(١) يُنظر: أحمد الاسكندري المالكي، الإنصاف فيما تضمنه الكشاف،١٢٥/٤.

(٢) يُنظر: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري،١٥٦/٦ح٤٩١٢.

(٣) يُنظر: حسان شمسي باشا، معجزة الأستشفاء بالعسل والغذاء الملكي حقائق وبراهين، ص١٨٩ .

(٤) يُنظر: فتح الله الكاشاني، زبدة التفاسير، ١٨٠/٧.

فإشكالية مخالفة النبي(ﷺ)للتشريع الإلهي حسب مزاعم المستشرقين، مبتنية على الرواية التي نقلها الفريقان كما أسلفنا في سبب النزول ، حيث كان ذلك بوابة الولوج إلى شخصية النبي(ﷺ)والطعن فيه، وإدانته وادعائهم بأنه يحرّم ما أحله الله له، ومن ثم يحاولون قطع سلسلة الوحي وارتباطه بالسماء. فبعد أنْ فرض الإسلام نفسه بوصفه ديناً عالمياً كان من الطبيعي أنْ يكون هناك أنداد له يهاجمونه، ويصوبون أسلحتهم نحو شخصية صاحب الدين فكان من نتاج إشكاليات المستشرقين كما يقول مارسيل بوازار[1]: سبق وأن كتب كل شيء عن حياة نبي الإسلام محمد (ﷺ) فنحن نعرفها في أدق تفاصيلها ، فالصورة التي خلفها محمد(ﷺ) حتى وإن عمد البعض من الغربيين إلى تشويهها في حدود معينة تكشف عن إدراك عظمته الحقيقية... فهو يتمتع بنفس العظمة التي يتمتع بها المسيح(عليه السلام)عند المسيحية [2].

والحق أنَّ مقياس بوازار في تقييم النبي (ﷺ) ومساواته بعيسى (عليه السلام) تنقصه الدقة والإمعان، فعظمة النبي(ﷺ) ومنزلته فاقت جميع الأنبياء لاسيما أولو العزم(ﷺ)ومنهم عيسى (عليه السلام) ، وإن اتفقوا في وحدة الهدف وهي الدعوة إلى الله تعالى ، ولكن سمة التفاضل بينهم موجودة كما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ { سورة البقرة:٢٥٣}، وصاحب الدرجات الرفيعة هو النبي(ﷺ) ولا يصل إلى منزلته ملك مقرب ولا نبي مرسل، ومما يعاضد ذلك ما رواه الشيخ الصدوق عن عبد السلام بن صالح الهروي عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: " ...ثم قال : لي تقدم يا محمد فقلت له : جبرئيل أتقدم عليك ؟ قال : نعم لأنَّ الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه على ملائكته أجمعين وفضلك خاصه قال : فتقدمت فصليت بهم ولا فخر" [3].

---

(١) مارسيل بوزار: مستشرق فرنسي ولد في باريس عام ١٧٧٦م ، اشترك في الحملة الفرنسية على مصر، كتب في جريدة الأنباء السياسية وله كتاب : انسانية الإسلام ، توفى ١٨٥٤م(يُنظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين ، ص٥٢٨).

(٢) يُنظر: مارسيل بوازار، إنسانية الإسلام،٤٠-٤١.

(٣) الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا،٢٣٧/١.

المطلب الرابع: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية تحريم النبي ما أحل الله له

المتأمل بالقرآن الكريم يجد أنه فند هذه الافتراءات التي تطال شخص النبي (ﷺ)، والقول بتحريمه ما أحله الله، وإن كان مسندهم ظاهراً في سياق الآيات القرآنية كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ { سورة التحريم:١} ، فمرادهم في ذلك أنَّ النبي يخالف التشريع الإلهي في قلب الحلية إلى الحرمة وبالعكس.

ولكن القرآن الكريم والسنة المطهرة عالجت ما ذهبوا إليه فترى الله ينزه النبي (ﷺ) في كثير من آياته ويدحض شبهاتهم الواهية ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۞ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ {سورةالنجم:١-٤} والملاحظ من تفسير هذه الآيات يقول محمد جواد مغنية(ت:١٤٠٠هـ) : إنّ الله تعالى أقسم بالنبي أنَّ من ينكر نبوته سيلقي جزاءه يوم القيامة، وأنه لا ينطق ولا يفعل إلا بوحي من الله تعالى ، وهذا لا شك فيه ، فلم يغويه غاوٍ ولا بدوافع من ميوله وأهوائه، فكيف من ينطق بالهوى من جاء ليصلح ويقضي على الفساد والأهواء؟ (١).

ومن ذلك نستشف مقام العصمة للنبي (ﷺ) وأن قوله وفعله هو قول الله وفعله، من دون زيادة ونقصان، بل لا يوجد في قاموسه الغواية والميول والأهواء الشخصية التي يتميز بها بعض البشر، فلو اتصف – والعياذ بالله- بذلك لانتفى الغرض من البعث لهداية البشر وإصلاحهم ؟ وبذلك لا يكون شاهداً عليهم ومبشراً لهم وهادياً قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ { الأحزاب:٤٥-٤٦}. فكانت هذه الآيات من جملة المعالجات القرآنية في رد الإشكاليات الموهونة التي تحاول النيل من قداسة الرسول (ﷺ).

---

(١) يُنظر: محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف،١٧٣/٧.

ومما يساند ذلك ويعاضده هو ما ذكره السيد الطباطبائي(ت:١٤٠٢هـ) في تفسيره من القول: بأنّ هذه الآيات جاءت رداً على المشركين من اتهام النبي(ﷺ) بأنه كاذب ومتقوّل ومفترٍ على الله تعالى، حيث نزهه الله تعالى مما نسب إليه بأن نفى الهوى عنه مطلقاً في القول والفعل، فكل ما تكلم به كان وحياً من الله تعالى وليس من هوى نفسه [١].

فالله تعالى تكفّل برد هذه الإشكاليات التي طالت شخصية الرسول الخاتم (ﷺ) ، ونفي كل ما نسب إليه، وما أورده الطاعنون فيه من مخالفته للتشريع الإلهي ، فلو دقق أحد في هذه الدعوى لأكتشف بطلانها بأبسط نظر وتأمل قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ { سورة غافر: ٥١}.

ثم أنَّ الله حدد عاقبتهم الوخيمة جزاء استهزائهم بالرسل والأنبياء، وإطلاقهم التهم والافتراءات عليهم؛ لأن قولهم الكذب وما تصفه ألسنتهم عارٍ عن الحقيقة ، فيما ادعوا به أنَّ النبي (ﷺ) يخالف التشريعات الإلهية ويحرم ما أحله الله تعالى، وقد أشار الله تعالى إلى عاقبة هؤلاء بقوله : ﴿ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آَيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ {سورة الكهف: ١٠٦} ، فهذه الآية لها دلالة واضحة أنها تعم هؤلاء المستشرقين جزاء فعلهم الشنيع في ضرب شخص النبي (ﷺ) وضلال سعيهم في هذه الدنيا لتشويه سمعته الطاهرة .

ومن خلال ما سبق تكون المعالجة القرآنية لإشكالية التحريم بالشكل التالي:

---

(١) يُنظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن،٢٧/١٩.

أولا: العصمة الإلهية للنبي (ﷺ)

لا يشك أحد بأنَّ من يريد هداية الخلق ينبغي أنْ يكون أفضل منهم خُلقاً وأخلاقاً ومنطقاً، وهذه الصفات لا تنطبق إلا على النبي وعترته (عليهم السلام) ومن ثم فهم معصومون من الذنوب صغائرها وكبائرها، وهم للخلق أدلاء والمراد من العصمة: " المصونية عن الخطأ والعصيان مع قطع النظر عمن يتصف بها " [١].

وقد ورد في الذكر الحكيم آيات عصمة النبي (ﷺ) وأهل بيته كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكّيهِمْ وَيُعَلّمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبينٍ﴾ { سورة آل عمران:١٦٤} ، وهذا المعيار الإلهي يوضح براءة النبي (ﷺ) مما ينسب إليه بحيث أن البعث له غايته هو تطهيرهم فلا يكون من يقوم بذلك الفعل الإ أن يكون معصوماً ومطهراً من الذنوب صغائرها وكبائرها، فمن يريد هداية الخلق ويرشدهم إلى صلاحهم الدنيوي والآخروي ينبغي أن يتسم بسمة العصمة وهذا متحقق في النبي (ﷺ) وبعد كل ذلك كيف يمكن أن ينسب إلى النبي (ﷺ) مخالفته للتشريع في التحريم والتحليل؟ [٢].

وإنَّ رسالات الأنبياء لا سيما خاتمهم (ﷺ) ليست من تلقاء أنفسهم، بل هي نتاج وحي إلهي من الله تعالى قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۞ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ {سورة الحاقة:٤٤-٤٧}، وإلى هذا الصدد أشار أحد المفسرين بالقول: ولو أنَّ محمداً (ﷺ) أفترى علينا ببعض الأقوال، ونسبها إلينا ولم نقلها، أو لم نأذن له بالقول فيها ، ولو أنه فعل على سبيل الفرض، لأخذنا باليد اليمنى وهي كناية عن إذلاله وأهانته، ومن ثم لقطعنا وتينه ، عرق يتصل بقلبه حتى يموت صاحبه ، وفي ذلك إشارة إلى أنه لم يفعل كل ذلك بل هو تنزيهاً له من كل الأفعال التي تخالف العصمة [٣].

---

(١) جعفر السبحاني، عصمة الأنبياء في القرآن الكريم، ص ١٠.

(٢) يُنظر: مير سيد علي الطهراني، مقتنيات الدرر، ١/٣.

(٣) يُنظر: سيد محمد الطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٨٥/١٥.

وبالمجمل: فليس من المنطق أن يرسل الله تعالى الحكيم الخبير، من ينطق باسمه كاذباً وواهماً هادياً للخلق ومرشداً لهم، وإنما يظهر بأنّ الله تعالى لم يرسل من يخالف تشريعاته ويبدلها، بل من يحافظ عليها ويدعو إلى تطبيقها، فمن كانت هذه صفته فهو يتسم بالعصمة؟ أضف إلى ذلك فإن الله قد تكفّل بحفظ القرآن وصيانته من التحريف ولم يدخل إليه ما دخل الكتب السالفة قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ {سورة الحجر: ٩} ، فهو معصوم ، فمن كان معصوماً ينبغي أنْ يكون المرسل إليه معصوماً أيضاً كما ورد في حديث الثقلين المشهور عند الفريقين، روى الصدوق عن علي (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : " إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض " [١] فكلاهما معصومان من الخطأ والزلل والانحراف .

ثانياً: أسلوب المعاتبة في القرآن الكريم

ومن جملة ما يمكن به نقض الشبهات والإشكاليات حول شخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وعلى وجه الخصوص التحريم في هذه الآية هو أنَّ الخطاب القرآني جاء بأسلوب العتاب ، ولم يكن المراد من التحريم هو الحرمة الشرعية ، وإنما عدم الاقتراب من ذلك الفعل مرة أخرى ، وهذا ما يفهم من سياق الآية القرآنية الكريمة ، وما حرمه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) هو الامتناع وعدم الأقتراب منه وهذا لا يكون فيه مخالفة للتشريعات الإلهية، بل هو من القضايا المتعلقة بشخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهذا ما أشار إليه السيد الطباطبائي(ت:١٤٠٢هـ): فالخطاب متعلق بالنبي دون الرسول ؛ لأنها من مختصات نفسه دون غيره لكي يلائم وصف الرسالة، وبذلك يومي هذا التحريم بأنه كان من الأعمال المحللة التي كان يفعلها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحرمه على نفسه وقرر عدم العودة إليه، وليس المراد بالتحريم تشريعه (صلى الله عليه وآله وسلم) على نفسه الحرمة فيما شرع الله له فيه الحلية [٢].

---

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ٦٨/٢.

(٢) يُنظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣٣٠/١٩.

ومن أمثلة آيات العتاب التي وردت في القرآن الكريم للنبي (ﷺ) كثيرة ، ولا يمكن حصرها، ولكن نقتصر على بعضٍ منها تتميماً لرد الإشكاليات التي طالت الشخصية الهادية المقدسة ، كما قال تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ { سورة التوبة :٤٣} ، ففي هذه الآية بُعد عتابي للنبي (ﷺ) في إيذانه للبعض في التأخر في الخروج معه ، فأخبره الله تعالى على أنه لا ينبغي إعطاؤهم الأذن في التأخر والبقاء لمعرفة المنافقين في هذا الاختبار، في أثناء خروجه إلى معركة تبوك فكان من الطبيعي عدم الإذن لهم حتى يعلم من هو صادق ومن هو منافق [١].

فهذا الأسلوب العتابي في القرآن الكريم لم يصدر من النبي (ﷺ) عن ذنب حتى يلزم منه الحرمة، كما في آية التحريم التي ظاهرها هو عتاب للنبي (ﷺ) ، بل كان المخاطب فيه على وجه العموم هم جميع المسلمين، وهذا ما تؤيده بعض الروايات التي تنزه النبي (ﷺ) من هذه الافتراءات ، روى الشيخ الصدوق عن الإمام الرضا (ﷺ) عندما سأله المأمون العباسي ، عن قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ ﴾ { سورة التحريم:١} وقوله تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ { الزمر:٦٥} وقوله عز وجل :﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ { الاسراء:٧٤} ، قال (عليه السلام) : هذا نزل بأسلوب إياكِ أعني واسمعي يا جاره، وخاطب به نبيه(ﷺ) وعاتبه وأراد بذلك أمته [٢].

وهذه المعالجة جاءت بأسلوب ينبئ بتنزيه النبي (ﷺ)، وبيان أسلوب القرآن الكريم في رد هذه الإشكاليات التي تطال شخصية النبي (ﷺ)، فهي لا تقتصر على زمن النزول وإنما تتعداه للأزمان اللاحقة، فلا يبقى مجالٌ لهؤلاء المستشرقين وغيرهم من تثبيت إشكالياتهم المسمومة تجاه النبي (ﷺ).

---

(١) يُنظر: الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٢٢٧/٥.

(٢) يُنظر: الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ١٨٠/١.

المبحث الثالث: إشكاليات معتقد المعاد وعلاجه في القرآن الكريم

الاعتقاد بالمعاد أصل أساسي في الشريعة الإسلامية والشرائع الأخرى، ويحتل مكانة مهمة ومميزة من حيث التأثير والأصالة، بل وهو من أصول الدين التي يجب الاعتقاد والإيمان به، وقد أكد القرآن الكريم على هذا المبدأ في كثير من آياته الكريمة التي تربو على ثمانين آية تلميحاً وتصريحاً، ولكن هذا المعتقد طرأت عليه إشكاليات متعددة سنتطرق لها ونعالجها على وفق الرؤية القرآنية.

المطلب الأول: إشكالية أنكار الماديين للمعاد الجسماني العنصري

مما لا ريب فيه أن الإنسان متكون من بعدين هما: البعد المعنوي وهو الروح والبعد المادي: وهو الجسم، وفي خضم هذا التناغم بين القوتين تتكون الحقيقة الإنسانية، ولكن بعض الماديين ينكرون حقيقة المعاد الجسماني ورجوعه بعد الموت والفناء والمراد به: "حضور الإنسان يوم القيامة بروحه وبجسمه نفسهما، وبعد الحساب يكون مصيره أما الجنة أو النار" (١).

ولأنّ ذلك من وجهة نظرهم لا يقبله العقل، وكل ما ينكره العقل فهو أشبه بالأسطورة قال محمد حسن قراملكي: " بعض الناس يرى أنَّ حصول المعاد أمر مستبعد، بل وغير ممكن فمنكرو المعاد في زمن الأنبياء كانوا يطرحون هذا السؤال أو الشبهة: هل يعقل أن تعود الحياة للعظام بعد تفسخها؟ وواجهوا الأنبياء ورأوا أنَّ الحديث عن القيامة حديث عن أسطورة وشيء عجيب" (٢).

فهذه الإشكالية مبتنية على عدم قدرة الله تعالى في عودة الجسد الرفيت إلى سابق عهده، والتصاقه بالروح مجدداً في تكوين البنية البشرية، وهذا ما صوّره القرآن الكريم حكاية عن لسان الكافرين قال تعالى : ﴿ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ { سورة ق:٣} وقال تعالى ايضاً: ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ { سورة الإسراء:٤٩} وعززوا رأيهم في هذا الإنكار أن نسبوا كل ذلك إلى

---

(١) مظاهري: المعاد في القرآن، ص٣٥.

(٢) محمد حسن قراملكي: المعاد وأجوبة الشبهات ٤٤/٥.

الخرافات والأساطير التي لا حقيقة لها قال تعالى: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ { سورة النمل: ٦٨} وغيرها من الآيات الكريمة .

قال القمي(ت:٣٢٩هـ) في تفسيره قوله تعالى : ﴿ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ إنها نزلت في أبي بن خلف ؛ لأنّه قال لأبي جهل تعال معي لكي نعجز محمد (ﷺ) فأخذ معه عظماً ففته إلى أجزاء صغيره جداً وقال: يزعم محمد أنّ الله يحيي هذا العظم ، فنزلت هذه الآية [١].

ومن خلال ذلك يظهر أنَّ كلمة الكفّار مطبقة على إنكار المعاد الجسماني، والرجوع إلى الحياة ليست في قدرة أحد على فعل ذلك؛ لأنّه من المستحيلات التي لا يمكن أنْ يتقبل العقل وقوعها، وهذا ما قاله فتح الله الكاشاني(ت:٩٨٨هـ) في تفسيره: وهذا الرد من الكافرين هو أنكار البعث واستبعاد القدرة الإلهية على تحقق ذلك؛ لأنَّ فعل الإحياء من جديد فكرة بعيدة عن العقل، من حيث أن تأكل أجسام موتاهم مستبعد أن يرجع إلى ما كان عليه [٢].

بينما تراهم يتمادون في غيهم وإنكارهم لهذا المبدأ، حتى وصلوا إلى نفي المعاد بالقسم على أنفسهم بعدم قدرة الله تعالى في إرجاع البدن المتفسخ العظام المفتتة إلى الحياة مرة ثانية. وقد نقل الله هذا الموقف حكاية عنهم قال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾ {سورة النحل: ٣٨} ، وفي هذه الآية دلالة واضحهم على نفي هذا المبدأ ، فالبعث من الموت شيء عجيب لا يمكن أن يتحقق؛ لأنه خارج نطاق العقل البشري، وهذا ما أشار إليه الطبري(ت:٣١٠هـ) في تفسير هذه الآية الكريمة فقال: وحلف هؤلاء المشركون من قريش بالله تعالى جهد أيمانهم أنَّ الله لا يبعث من يموت بعد الموت ، وكذبوا الحياة الأخرى والنشأة بعد الموت ، ولكن الله تعالى رد قولهم ودحض حججهم الواهية، بأنه سيبعث من يموت ويحاسبه يوم القيامة على جميع أعماله [٣].

---

(١) يُنظر: تفسير القمي، ٣٢٣/٢.الحويزي، نور الثقلين،٣٩٥/٤.
(٢) يُنظر: فتح الله الكاشاني، زبدة التفاسير، ٤٤٣/٦.
(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٠٣/١٧.

فمنذ نزول هذه الآيات وغيرها التي قرأها الرسول (ﷺ) على المسلمين ظهرت حالة إجماع إسلامية، بأنَّ الإيمان بهذا المبدأ من الضرورات القطعية وأنَّ القيامة وما يتعلق بها من مستلزمات منها إعادة أجساد كل المسلمين الميتين، والكفّار كذلك أصل من أصول الإسلام ... ولكن احتكاك المسلمون بالحضارة اليونانية وفلسفتها، وبأثرها بدأت الشكوك تحوم حول عدم صحة هذا المبدأ؛ لأن عقول من درسوا تلك الضرورة لم تقتنع بها، بسبب قاعدة استحالة المعدوم [١]عندهم [٢].

وقد أختلف الفلاسفة إلا المسلمين منهم في أنكار المعاد الجسماني من حيث البعث أهو جسدي أم روحي، فذهب المسلمون إلى عدم وجود دليل على إثباته، ولكنه ثبت بما ذكره الصادق الأمين النبي الأكرم (ﷺ)، وأخبر به وفي وقوعه، فعلى المسلمين التعبد به والاعتقاد به [٣].

وتعد هذه الإشكالية من أقوى الإشكاليات المطروحة في العقيدة الإسلامية في العصور المنصرمة وهذا العصر؛ بسبب وجود نظرة مادية تسود العقل البشري إلا النادر الأندر منها، فمحورية هذه الإشكالية تحوم حول الفكرة التي مفادها عدم التعرف على الأجزاء المتناثرة في الأرض للجسد البشري، قال الشيخ السبحاني: " إنَّ الأجزاء المبعثرة في أكناف الأرض لا يمكن التعرف عليها حتى تعود أجزاء بدن كل إنسان إليه، وإن شئت قلت: لا يمكن التعرف على الأجزاء البالية من بدن كل إنسان المتفرقة في أنحاء الأرض" [٤].

---

(١) قاعدة استحالة إعادة المعدوم: هي من النظريات التي يؤمن بها بعض الفلاسفة والمتكلمون التي تذهب إلى أن أعادة المعدوم بعينه ممتنعة على الله تعالى ؛ لان رجوع الأجزاء إلى البدن مستحيلة من وجهة نظرهم (يُنظر: الطباطبائي ، بداية الحكمة، ٢٤/١).

(٢) يُنظر: علي نقي الإحسائي، المعاد الجسماني عند الشيخ أحمد الإحسائي، ص٦.

(٣) يُنظر: مظاهري ، المعاد في القرآن، ص٣٥.

(٤) جعفر السبحاني: شبهات وردود، ص٢٨.

المطلب الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية إنكار المعاد الجسماني

لا يخامر الإنسان أدنى شك أن المعالجات القرآنية للمشكلات تتسم بالواقعية، فالمعاد الجسماني حقيقة واقعية ينبغي الاعتقاد بها وإنْ كانت خارج نطاق العقل الحسي، ومن هذا المنظار نجد أنَّ الأدلة إلى إثبات حقيقة هذا المبدأ كثيرة ومتعددةً منها:

أولاً: إثبات النشأة الأولى

من بين العلاج القرآني الذي يثبت فكرة المعاد الجسماني، هي النشأة الأولى التي ذكرها القرآن الكريم في بعض آياته قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ {سورة الواقعة:٦٢} ذهب الطبري(ت:٣١٠هـ) في تفسير هذه الآية الكريمة : المراد بالنشأة الأولى هي المرة الأولى في أبتداء الخلق ، حين خلقكم الله تعالى أيها الناس، وقيل: المراد بها هي خلق آدم (عليه السلام) من طين [١]. وهذا الاحتجاج على المشركين في إثبات النشأة الأولى هو بسبب أنكارهم النشأة الأخرى، فإذا كان الخلاف في ذلك موجود فلا معنى لذلك، وهذا يدل على أن الله قادر على أن ينشئهم ويعيدهم على الهيئة الأولى [٢].

ويبدو أنَّ المراد بالنشأة الأولى هي نشأة العالم بأجمعه، وليست هي خلق آدم من طين على ما ذكره البعض، فإن الخطاب القرآني في هذه الآية ينفي القول بالتناسخ، فلو كان نشأتهم للكافرين فقط لكان الخطاب ولقد علمتم نشأتكم الأولى؛ لأن الله تعالى قد كثر الناس بعدها [٣]. وكذا القول في خلق آدم فإنه مردود أيضاً فقد أشارت الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام) إلى أنَّ هناك أكثر من خلق قبل آدم (عليه السلام) روى الصدوق عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر الباقر(عليه السلام) قال : **"لعلك ترى أن الله إنما** خلق هذا العالم الواحد، وترى أنَّ الله لم يخلق بشراً غيركم، بلى والله لقد خلق الله ألف ألف عالم، وألف ألف آدم، أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين" [٤].

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ٣٤٧/٢٢.
(٢) يُنظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة،٥٤١/٨.
(٣) يُنظر: ابن شهر آشوب، متشابه القرآن ومختلفه،٩٨/٢.
(٤) الصدوق: التوحيد، ص٢٧٧.

ومن خلال ما تقدم يتضح أنَّ النشأة الأولى للعالم بأجمعه تدحض المزاعم الذاهبة إلى إنكار المعاد الجسماني، فالله قادر على ذلك لكن العقول القاصرة والأهواء المضلة عاجزة عن أدراك هذا المبدأ قال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ { سورة الأنبياء:١٠٤} في هذا الصدد قال عبد الكريم الخطيب: وهذا التحول في العوالم المختلفة السفلية والعلوية ، وتصوير حال الإنسان بعد انتقاله من دار الدنيا إلى دار الآخرة ، يشهد وجوداً خلاف ما يحدث لحواسه وإدراكاته عندما كان في هذه الدنيا ، فبمجرد مغادرة هذا الجسد يعود الإنسان إلى عالم الروح، فيخرج من مأسورات هذا الجسد المحدود ويسبح في علم وراء المادة حيث هناك تتبدل السموات والأرض غير ذلك(١).

ثانياً: العدالة الإلهية تنفي إنكار المعاد

أهتم الدين الإسلامي بالعدالة الإلهية اهتماماً كبيراً، فلو لم يكن هذا المبدأ موجوداً لأضحى خلق الله للموجودات جميعها عبثاً وحاشا لله العبث في أفعاله، وحيث أنَّ العدالة الإلهية ضرورة في بيان الاعتقاد بيوم القيامة ودورها في تهديب النفس الإنسانية ؛ لأنَّ الله تعالى يحاسب الإنسان على أفعاله وأقواله فنفي المعاد لا ينسجم مع العدالة الإلهية قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۞ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ { سورة الزلزلة:٦-٨} قال الشيخ المفيد في تفسير هذه الآية: أي يحاسب الله الإنسان على ثمرة اعماله على اليقين الذي لا يشك فيه احد ، فكل هذه الأعمال منوطة بالعدالة الإلهية وجزاءه على أعمال الناس جميعاً (٢). وأنَّ العدالة الإلهية بمقتضاها المرسوم أن يعاقب المسيء على إساءته، ويجازى المحسن على إحسانه، ففي هذه الحياة الدنيا نرى أنّ هناك أناساً مظلومين وآخرين ظالمين، ولم يأخذ المظلومون حقوقهم في هذه الدنيا، فالعدالة الإلهية سبيلها أن يقتص الله للمظلوم من الظالم بمحاسبته محاسبة عادلة، وهذا لا يتحقق

(١) يُنظر: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٩٥٨/٩.
(٢) يُنظر: المفيد ، تفسير القرآن المجيد ،ص٥٦٣.

بالدنيا، لأنهم يموتون دون تحقيق ذلك الغرض، فلابد من أن يوجد يوم يحاسبون فيه وتؤخذ حقوق المظلومين من الظالمين وهذه هي عدالة الله في خلقه [١]. فالعدالة الإلهية تتحقق عندما يثبت المعاد الجسماني سواء للمؤمن وللكافر، فلكل منهما جزاؤه ونتاج أعماله إن كان من أهل الخير والصلاح وعمل صالحاً فإن الله يثيبه بالجنة، والحال نفسه مع الكافر الذي يعمل الموبقات والجرائر فجزاء أعماله هو النار قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۞ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۞ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۞ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۞ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۞ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۞ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۞ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾ { سورة المدثر:٣٨-٤٦} ، وهذا ما قاله الثعلبي(ت:٤٢٧هـ) في تفسيره: " ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً ولا شراً في الدنيا والآخرة إلّا أراه الله إياه، أما المؤمن فيرى حسناته وسيّئاته، فيغفر له سيئاته ويثيبه لحسناته، وأما الكافر فترد حسناته ويعذبه بسيّئاته" [٢].

وإنكار المعاد الجسماني يقتضي إنكار العدالة الإلهية ومن ثم الشك فيها، فتخيم العبثية على الأفعال وهذا لا يتلاءم مع إرادة الله في الخلق، فكل ذلك وجد لغاية ومصلحة قد يدركها البشري وقد لا يدركها قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ {سورة المؤمنون: ١١٥} فالرجوع إلى الله غرضه الهدفية من الخلق، والله الحكيم لا يصدر منه أي فعل دون هدف، ومن ثم فسيكون جريان المعاد والإيمان به ضرورة حتمية، قال هاشم البحراني(ت:١١٠٧هـ) في تفسير هذه الآية: إنّ الله جل وعلا لم يخلق الخلق على وجه العبث ، ولا أهملهم وتركهم سدى ، وليس من حكمته اللعب ، فكل ذلك الله تعالى منزه عنه ، فمناط الخلق هو لغاية وعلة وهي الرجوع إليه ليحاسبهم على أعمالهم ، وهذه هي العدالة الإلهية [٣].

---

(١) يُنظر: صفية الرفاعي، إثبات المعاد وبيان حقيقته، بحث منشور على المجلة الالكترونية الشاملة، العدد/٢٣، ٢٠٢٠م ، ص٧.

(٢) الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ٢٦٣/١٠.

(٣) يُنظر: هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن،٢٨٠/٢.

ومن خلال ما تقدم فإنَّ إشكالية المعاد الجسماني ورجوعه إلى الحياة، يمكن أن تبطل بالعدالة الإلهية، فليس من الإنصاف أن يخلق الله الخلق ويتركهم دون حساب وعقاب، بل إنه خلقهم لغاية ومصلحة وهي عبادة الله تعالى وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ {سورة الذاريات:٥٦} ، فلا تتم العبادة إلا بالإيمان بالمعاد الذي هو أصل الشريعة وعمادها.

ثالثاً: قانون التكامل في المسير الإنساني يُثبت وجود المعاد

من بين المعالجات الكثيرة التي تبطل المزاعم الداعية إلى إنكار المعاد الجسماني، هو قانون التكامل في المسير الإنساني وصورته، أنَّ الإنسان الذي لا يؤمن بالحياة الخالدة يعجز عن الوصول إلى الدرجة الرفيعة السامية والمطلوبة مهما كان يتصف بالنزاهة والعدالة، بل سيبقى يعاني من نقص في شخصيته، فما يملكه من فضائل تبقى في نطاق محدود في الحياة الدنيوية فقط، فكل الفضائل لا معنى لها دون اعتقاد الإنسان بالحياة بعد الموت (١).

وقد رد الفرقان المحمدي على هذه الإشكالية بأوضح بيان وأجلى برهان لهذا القانون الذي يبدأ من خلق الإنسان من تراب ثم نطفة وبعدها علقة ومن ثم الهرم والموت... وبعد الموت هناك تكامل آخر، فمسير الإنسان لا يتوقف عند محطة الموت كما يراه البعض، وإنما يستمر وقد ذكر الله تعالى هذا السير المعادي بالبرهان الباهر قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ { سورة الحج:٥} قال فتح الله الكاشاني في تفسير هذه الآية: " بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا ، وأنَّ ما قبل التغيّر والفساد والتكوّن مرّة قبلها أخرى . وأنّ من قدر على خلق البشر من تراب أوّلا، ثمّ من نطفة ثانياً، ولا تناسب بين الماء والتراب، وقدر على أن يجعل النطفة علقة، وبينهما تباين ظاهر، ثمّ يجعل العلقة مضغة، والمضغة عظاماً مع عدم التناسب

(١) يُنظر: عبد الحسين خسروبناه، الكلام الإسلامي المعاصر، ص٢٥٨.

بين كلّ منهما ، قدر على إعادة ما أبدأه ، بل هذا ادخل في القدرة من تلك ، وأهون في القياس " [١] .هذا التصوير العجيب في الخلق والمراتبية في النشأة وجدت لهدف وغاية وهو تذكير من أنكرالمعاد الجسماني، الذي يكون منسجماً مع الفطرة التي وضعها الله تعالى للإنسان للوصول إلى الهدف من الخلقة، وهذا ما أشار إليه محمد باقر الحكيم: والهدف من خلق الإنسان ألا يجعل الحياة المادية العابرة الفانية هدفه الأسمى والأوحد، والمقصد النهائي من الخلقة، بل الابتعاد عن الحياة المادية وجعلها وسيلة للوصول إلى التكامل الإنساني الذي هو من ضروريات الشريعة الإسلامية [٢].

رابعاً: إحياء الله الأرض بعد موتها

من الدلائل على قدرة الله تعالى في رد المزاعم الداعية إلى إنكار المعاد الجسماني الأرض الميتة التي لا نبات فيها ، فالله تعالى قادر على إحيائها وإرجاعها عن طريق إنزال المطر عليها ، فيخرج منها النباتات المختلفة والمتنوعة ، كذا الحال قدرة الله تعالى على بعث الإنسان بالصورة الجسمانية السابقة نفسها ، وإرجاع الأجزاء المتناثرة إلى الحياة، وقد رد الله على هذه الإشكالية في كتابه الكريم قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾ { سورة فاطر:٩} وقوله تعالى أيضاً: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ { سورة فصلت:٣٩} . فهذه المشاهد القرآنية ظاهرة للعيان تبين قدرة الله تعالى على إحياء المخلوقات، فكما أنَّ الذي يقدر على إعاشة الأرض بالماء المنهمر من السماء قادر على إعادة الجسد كما كان، ويبعثه من قبره، قال أبو حيان الأندلسي في تفسير الآية الثانية: فبعد أنْ ذكر الله تعالى الدلائل العلوية الدالة على قدرته، ذكر الدلائل السفلية على من أنكر البعث الجسماني فشبه رجوع الإنسان مثله مثل الأرض الميتة الغبراء التي أعتلاها القحط وعدم الإنبات، ولا حياة للنبات فيها، يُنزّل عليها

---

(١)فتح الله الكاشاني: زبدة التفاسير، ٣٧٠/٤.

(٢) يُنظر: محمد باقر الحكيم، تفسير سورة الحمد، ص٣٥.

الماء فتكون معشبة وتنمو فيها اشجار مثمرة ومزهرة، وبذلك تعاد لها الحياة بعد الموت بقدرة الله تعالى، قادر على أن يرد الأرواح إلى الأجساد بعد فنائها لا يعجز عنه شيء تعلقت به أرادته تعالى [١].

ويبدو أنَّ العلاج القرآني ينسجم دائماً مع العقلية التي يمتلكها المنكر وعلى وجه الخصوص منكرو المعاد الجسماني، بتقديم أدلة واقعية تدحض الإشكاليات والمتعلقات الذهنية الفاسدة عندهم ، فنرى الصور الحسية توائم عقل المنكر لهذا المبدأ ، ولذلك فأسلوب الخطاب القرآني عبارة عن تنبيه وإيقاظ للفكر الجحودي ؛وذلك لإيمانه بالمحسوسات التي تساوق العقل، فما كان من القرآن الكريم بأسلوبه الفريد إلاَّ مناغمة طريقة التفكير لديهم ، وهذا ما أكده قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۞ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۞ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ {سورة ق:٩-١١} وقال الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ)في تفسيره هذه الآية : لما حكى الله جل جلاله عن الكفّار وتكذيبهم للحق وهو القرآن الكريم وجحودهم بالبعث والخروج لله تعالى ذكر لهم كيفية إنزال المطر من السماء الذي يحيي الأرض الموات لتخرج منها الحب والنخل وما فيها ثمار ، فتعجبوا من ذلك فنبههم الله تعالى وبين لهم الطريق الذي إذا نظروا فيه علموا صحته ، وكذب معتقدهم في إنكار البعث [٢].

ومجمل القول: إنَّ إشكالية إنكار المعاد الجسماني وعدم رجوع أجزائه المتناثرة إلى الحياة تُبطل بدليل إعادة الأرض الميتة إلى الحياة، فكذلك قدرة الله تعالى في بعث الجسد وأن كان رفاتاً فلا يعجز عليه شيء، ومن السنة الشريفة ما يدحض ذلك روى الكليني(ت:٣٢٩هـ) عن عمار بن موسى عن الصادق (عليه السلام) قال: "سئل عن الميت يبلى جسده؟ قال: نعم حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلا طيْنته التي خلق منها، فإنَّها لا تُبلى تبقى في القبر مستديرة حتى يُخلق منها كما خُلِقَ أول مرّة " [٣].

---

(١) يُنظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط ،٤٧٨/٧.
(٢) يُنظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٣٥٩/٩.
(٣) الكليني: الكافي،٢٥١/٣.

خامساً: النماذج التطبيقية لأصل المعاد في القرآن الكريم

ورد في القرآن الكريم نماذج إنسانية وغيرها كوجوه تطبيقية تدل على حقيقة وقوع المعاد الجسماني وعودته إلى الحياة، فقد صوّر القرآن الكريم نماذج منها:

النموذج الأول: قصة نبي الله عزير (عليه السلام) ورجوعه بعد مائة عام كما صورها المشهد القرآني قال تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ { سورة البقرة: ٢٥٩} فهذه الحقيقة من شأنها أيضاً أن تبطل إشكالية المعاد الجسماني من خلال التطبيق العملي لعملية الإحياء قال عبد الله شبر في تفسيره : الله تعالى ذكر أحد الأنبياء وهو نبي الله أرميا أو عزير ، مر على قرية ساقطة حيطانها على سقوفها فتساءل كيف يحيى الله هذه القرية بعد الموت ، وهذا القول لما رأى موتاهم تأكلهم السباع ، فاعترف بالعجز عن معرفة كيفية المعاد الجسماني وعودته إلى الحياة من جديد ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه ليريه قدرته على إحياء هذه الأموات ، وصوّر الله له طريق الأحياء عملياً فقال له: أنظر إلى طعامك وحمارك كيف تفرقت عظامه وتفتت بعضها بعضاً ، ثم كساها الله اللحم وأحياها بكمال قدرته فهو قادر على إحياء غيرها (١).

ويبدو أنَّ عملية الإحياء بالممارسة العملية وكيفية نشوز العظام وكسوها باللحم، أصدق دليل على قدرة الله تعالى على إحياء الجسد البالي ذي العظام المتفتتة ، وهذا التصوير العجيب لعملية الإحياء تدحض مزاعم بعض الجهال في قدرة الله تعالى على إعادة المعدوم إلى سابق صورته التي خلق منها أول مرة ، فليس بخافٍ عليه تعالى إرجاع أجزاء الجسد البالي فأمره كن فيكون قال تعالى: ﴿ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ { سورة آل عمران:٤٧} أي إذا أراد شيئاً أوجده (٢).

---

(١) يُنظر: عبد الله شبر، تفسير القرآن العظيم، ص٨٠.
(٢) ينظر: فتح الله الكاشاني، زبدة التفاسير،١٧٨/٤.

النموذج الثاني: قصة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) مع الطيور

وفي نسق مشابه ومماثل نجد أن الرصد القرآني في بعض آياته يحاول معالجة الأمور المتعلقة بمبدأ المعاد، على وفق سياق قرآني مختلف لغرض إيصال الفكرة بطرائق متعددة ومتنوعة ، كما هو الحال في قصة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) مع الطيور التي مثلها القرآن الكريم بأسلوب منقطع النظير، حيث قدم وصفاً دقيقاً لما جرى من عملية إحياء الطيور، على وفق منظور عملي يتناغم مع حال المنكرين، والرد على إشكالهم في القدرة الإلهية في الإحياء، ولكن هذا النموذج للإحياء يقتصر على الحيوان كما قال تعالى في محكم كتابه وعظيم خطابه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ { سورة البقرة:٢٦٠} ، فكان ذلك سؤال الذين ينكرون البعث الجسماني في زمن خليل الله إبراهيم (عليه السلام) ، فكانت الإجابة وافية بالمقصود.

يقول الواحدي(ت:٤٦٨هـ) في تفسير هذه الآية : رأى إبراهيم (عليه السلام) بساحل البحر جيفة تأكلها السباع والطيور ودواب البحر، فتأمل في كيفية جمع وبعث ما تفرق منها ، فتشوق في نفسه كيفية إحياء الله تعالى للموتى ، فكان إبراهيم من الموقنين في قدرة الله تعالى على ذلك ، ولكن ذكر ذلك للعظة والعبرة ، فأمره الله تعالى بجمع أربعة طيوّر مختلفة فقطعها إلى أربعة أجزاء وضع على كل جبل منها جزءاً ، ففعل (عليه السلام) ما طُلب منه ، فأمره الله تعالى بدعوتهن إليه ليأتينه سعياً كما كانت أول مرة ، وهذا دليل على أنّ المعاد الجسماني غير ممتنع على الله تعالى ، فهو حكيم فيما يريد ويفعل[١].وقال أحد المفسرين:" فسؤاله (عليه السلام) بقوله له كيف تحيى الموتى، فليس ذلك شك والعياذ بالله في قدرة الله عن الإحياء، ولكنّه سؤال عن كيفية الإحياء، ولا يشترط في الإيمان الإحاطة بصورتها فإنما هي طلب علم مالا يتوقف الإيمان على علمه [٢].

---

(١) يُنظر: الواحدي، التفسير الوسيط ،٢٦٦/١-٢٦٧.

(٢) يُنظر: أحمد الاسكندري، الإنصاف فيما تضمنه الكشاف،٣٩١/١.

النموذج الثالث: قصة إحياء قوم موسى (عليه السلام)

من بين النماذج المتعلقة بإحياء الموتى التي ذكرها القرآن الكريم هي قصة قوم موسى (عليه السلام) مع الذين جادلوا نبيهم في رؤية الله جهرة كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ { سورة البقرة: ٥٥-٥٦} فهاتان الآيتان وردتا في مقام الرد على سؤال قوم موسى(عليه السلام) ؛ وذلك نتيجة لغلظتهم وجفائهم في طلب رؤية الله وهذا ما قاله الطنطاوي في تفسيره: " لن نؤمن لك ، ولن نقر بما جئتنا به ، حتى نرى اللَّه عياناً وعلانية ، فيأمرنا بالإيمان بك ، وبما جئت به ، فأخذتكم العقوبة التي صعقتكم - بسبب جهلكم وتطاولكم - وأنتم تشاهدونها بعيونكم ، ثم مننا عليكم بلطفنا ورحمتنا فأحييناكم من بعد أن أخذتكم الصاعقة ، لكي تشكروا اللَّه على نعمه التي من جملتها إعادتكم إلى الحياة من بعد موتكم " [١] .

وهذا الطلب العجيب من هؤلاء القوم وما نزل عليهم من عقاب هو نتيجة جهلهم بقدرة الله تعالى، فكان شرط الإيمان منوط بالرؤية البصرية لديهم ، وبذلك شملهم عذاب الله تعالى ، ولكن موسى (عليه السلام) اغتم فدعا الله جل جلاله على إحياء هؤلاء القوم لأنَّ هلاك سبعين نفراً من كبار بني إسرائيل ، قد يقدّم الفرصة للمغامرين من أبناء القوم أن يُثيروا ضجة بوجه موسى (عليه السلام) . لذلك تضرع إلى الله لكي يعيدهم إلى الحياة من جديد، فقبل طلبه وعادوا إلى الحياة: ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرونه [٢].

ويبدو أنَّ هذا المشهد القرآني في الإحياء يدل وعلى نحوٍ لا يقبل الشك بقدرة الله تعالى على إعادة الأجساد إلى الأرواح، وفيه أشارة إلى الرجعة أي الرجوع إلى هذه الحياة الدنيا بعد الموت؛ لأنَّ وقوعها في مورد يدل أيضاً على إمكان حصولها في موارد أخرى[٣].

---

(١) الطنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم،١٣٥/١.

(٢) يُنظر: مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،٢٢٩/١-٢٣٠.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه.

ومجمل القول: إنَّ من خلال النظر والتأمل لجزئيات النصوص القرآنية نجد أنَّ وقوع المعاد الجسماني من الحتميات الواقعية التي لا غبار عليها، وقد أكدها الله تعالى في آياته الكريمة مؤيدة بالنماذج التطبيقية الواقعية التي تثبت صحة هذا المعتقد ،فالقدرة الإلهية هي العلاج الأمثل لدحض هذه الإشكالية التي أثارها الفلاسفة وبعض المتكلمين نتيجة إعمال العقل، وفق قاعدة استحالة إعادة المعدوم التي يؤمنون بها ، ولكن هذه الادعاءات تبقى في فضاء التنظير ، وليس لها وجود واقعي حقيقي ، واما المعاد الجسماني ثابت بالأدلة التطبيقية من النصوص القرآنية والروائية ، فلا يبقى مجالٌ لإنكار هذا المعتقد.

المطلب الثالث: إشكالية تكلم أعضاء البدن وشهادتها

من الإشكاليات التي طالت مبدأ المعاد ومتعلقاته هي إشكالية تكلم أعضاء البدن بالشهادة يوم القيامة، حيث جعلها البعض من الأمور المستحيلة في الوقوع في الدنيا ، ولكن المنظار الإلهي يختلف عما ذهب إليه المنكرون، فقد ذكر الله تعالى في بعض آياته شهادة أعضاء البدن كالأيدي والألسن والأرجل وغيرها من الأعضاء يوم القيامة، وهذا ما نتناوله في المطلب الآتي.

المقصد الأول: بيان إشكالية تكلم أعضاء بدن الإنسان يوم القيامة

من الإشكاليات التي اعتمد عليها الكفار في إنكار المعاد يوم القيامة هي ما ذكر من تكلم أعضاء البدن يوم القيامة، وقد صّور القرآن الكريم هذا النموذج خير تصوير قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ { سورة يس:٦٥} ، فهؤلاء ينكرون أعمالهم السيئة يوم القيامة ، فتكون الشهادة عليهم من أنفسهم [١].

واختلف في كيفية الشهادة على الجوارح على وجوه أحدها: فالله تعالى يخلقها على نحو تتكلم وتعترف بخطاياهم وما اقترفوه من سائر الأعمال السيئة، والثاني. وضع الله تعالى فيها كلاماً، ولكن الكلام منسوب إلى تلك الجوارح؛ لأنه لا يظهر إلا من جانبها، وثالثاً: معنى شهادتها وكلماتها التي وضعها الله تعالى فيها آيات تدل على عصيان أصحابها الله سبحانه وتعالى، فسمّى الله تلك الشهادة منها [٢].

وظاهر الخطاب القرآني في هذه الآية الكريمة إنَّ الكفّار هم المعنيون بذلك دون غيرهم، وذلك لإنكار ما عملوا في هذه الدنيا، فيشهد الملائكة عليهم، ولكنهم يقولون لله تعالى: إنَّ الملائكة هم عبادك فيشهدون لك علينا، ثم يحلفون لله أنهم لم يفعلوا شيئاً فيختم الله على السنتهم وتنطق جوارحهم عليهم[٣].

---

(١) قراملكي، المعاد وأجوبة الشبهات ، ٥/ ٤٤. يُنظر: عبد الله شبر، تسلية الفؤاد في بيان الموت والمعاد، ص١٨٧.

(٢) يُنظر: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٢٨٥/٧.

(٣) يُنظر: القمي، تفسير القمي،٤٠٨/١.

المقصد الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية تكلم أعضاء البدن يوم القيامة

من المتسالم عليه أنَّ العلاج القرآني لأي إشكالية يأخذ منعطف يلائم تخوم المشكلة، ولذلك نرى أنَّ القرآن الكريم أضفى هذه الدلالة في الخطاب، لا سيما ما يتعلق بإشكالية نطق أعضاء جسم الإنسان يوم القيامة، ورب سائل يسأل لماذا يسأل الكفار جلودهم عند الشهادة عليهم ؟ لأنَّ الجلود هي أقرب شيء إلى عالم المادة فنرى أنَّ النطق حاصل منها، وأما السمع والبصر فهي أقرب إلى الأدراك والفهم ولذا كانت شهادة الجلود أكثر موعظة واعتباراً ودحضاً لافتراءات هؤلاء الكفار لاتصالها بالعالم المادي (١). ومن ذلك فالعلاج القرآني يمكن بيانه من خلال الآتي:

أولاً: اختلاف قوانين النشأتين

من المعالجات التي تفند إنكار إشكالية تكلم أعضاء البدن يوم القيامة ، هي اختلاف القوانين وانعكاساتها ، حيث أنَّ الثابت في الأذهان والذي ينسجم مع العقل أنَّ تلك القوانين تتغيير وتتبدل، كما أشار القرآن الكريم إلى تلك الحقيقة بقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ { سورة إبراهيم: ٤٨} ، ففي يوم القيامة تتبدل الأرض على غير صورتها المعروفة الآن والسموات كذلك ، فلا يبقى شيء إلا وقد أظهر الله فيه المعجزات ودلائل حقانية الله تعالى لا سيما في هذا التبديل، قال الفخر الرازي في تفسيره : إنَّ تبديل الأرض والسموات يحتمل وجهين :

أحدهما: بقاء الذات وتبدل صفتها إلى صفة أخرى.

الثاني: فناء الذات الأولى وحلول ذات أخرى محلها. فالقول الأول: إنَّ صفة تلك الأرض تتغير، كما هو الحال من تيسير الأرض جبالها وتفجر بحارها، فلا يبقى فيها عوج ولا أمت. وأما القول الثاني: إنَّ تبدل الذات كما هو الحال في تبدل الأرض لتصبح بيضاء نقية لم يسفك عليها دم، ولم تفعل عليها خطيئة ومعصية وفاحشة (٢).

---

(١) يُنظر: الطباطبائي، حياة ما بعد الموت، ص٨٧.

(٢) يُنظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب،١١٢/١٩.

ويبدو أنَّ القول الأول هو الراجح؛ لأنَّه يتناسب مع سياق الآية الكريمة فحيث أن ذكر لفظ التبدل للأرض والسموات بالصفة لا بالذات، وذلك لجواز تغيير الصفة كما يقال: بدلت الحلقة خاتماً أي أذبتها وسويتها من شكل إلى شكل آخر، ومما يؤيد ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ {سورة الفرقان:٧٠} أي يغيرها وهو ما يعبر عنه بالانقلاب الواقعي، ومنه يقال: بدلت قميصي جبة: أي نقلت العين من صفة إلى أخرى (١) .

وهذا التبدل والتغيّر في الأرض والسماء بالصفة لا بالذات، يدحض مزاعم الكفّار في عدم قدرة الله تعالى على إنطاق الأعضاء يوم القيامة، والختم على بعضها التي تسالم على النطق بها؛ وذلك بسبب أختلاف قوانين النشأتين فإنَّ في الحساب يقف المرء على حقيقة أعماله وهذا ما يؤكده قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ {سورة الزلزلة: ٦} فمناط البعث هو لغرض الحساب .

وقد أشار الشيخ فاضل الصفار إلى هذا الاختلاف في النشأتين فحيث أنَّ الموازين التي تحكم عالم الحشر تختلف عن الموازين التي تحكم عالم الدنيا، فلا يمكن تطبيق أحدهما على الآخر، أو المقارنة بينهما، فما لا تدركه العقول في هذه الدنيا نجده واقعاً في عالم الآخرة، فليس من المنطق ولا من مقتضيات العلم أنْ ينكر الماديين وغيرهم ما يحكم عالم الآخرة، وقياسها على القوانين الدنيوية، فما لا يمكن تصوره في عالم الدنيا، لا يعني أنه مستحيل التحقق في عالم الآخرة كما هو الحال في إشكالية تكلم أعضاء البدن يوم القيامة وغيرها (٢).

والمتحصل مما سبق: أنَّ أختلاف قانون النشأتين يبطل المزاعم الذاهبة إلى عدم قدرة أعضاء البدن من الشهادة على الإنسان يوم القيامة فما كان مستحيلاً يصبح ممكن التحقق في الآخرة.

---

(١) يُنظر: المصدر نفسه.

(٢) يُنظر: الصفّار، الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية ،٣٩٥/٧.

ثانياً: الشعوّر والإدراك في بعض الجمادات

ومن المعالجات التي تزيل إشكالية تكلم أعضاء البدن يوم القيامة والشهادة عليه هي خصوصية الشعور والإدراك في بعض الموجودات، ففي عالم الآخرة فيه كل شيء حي مدرك وعاقل وناظر ومتكلم حتى الأرض فهي تسمع وتنظر وتتكلم ، فهي وإن كانت في عالم الدنيا هامدة جامدة وصامتة ، لكنها تتبدل في عالم الآخرة وتنقلب فيها الخصوصية من الجمود إلى النطق والشهادة ، ومما يؤكد قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ { سورة الزلزلة:٤-٥} ، فالأرض في ذلك المقام تتكلم وتتحدث بإذن الله تعالى وتشهد على أفعال الإنسان سواء كانت خيراً أو شراً، فهي تشهد بأمانة وصدق، قال السيد الطباطبائي في تفسيره: إنَّ ربك أوحى للأرض فتشهد على أعمال بني آدم كما تشهد عليهم أعضاؤهم والملائكة وغيرهم ، فالله يوحي إليها أن تنطق فهي شاعرة ومدركة بما يقع عليها من أعمال سواء كانت خيراً ، متحملة بالإيذان لها يوم القيامة فتتحدث أخبارها كما شاهدت وتحملت (١).

ومن الروايات المعتبرة الدالة التي تؤيد وتعزز ذلك ما رواه الحر العاملي عن أبي ذر عن النبي (ﷺ) في وصية له: " يا أبا ذر: ما من رجل يجعل جبهته في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له بها يوم القيامة" (٢).

فلو لم تكن تلك الأرض تتكلم بأمر الله تعالى على ما فعله الإنسان من خير أو شر ، ولها إدراك وشعور يوم القيامة لتكون حجة بالغة على إنكار هؤلاء سيئات أعمالهم، فيلهمها الله النطق والشهادة كما هو الحال من اعطاء الله الأرض الفهم واللسان والإدراك كما أعطى للإنسان ذلك قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ {سورة الإسراء:٤٤} ، فكل ذلك له شعور وإدراك خاص بالتسبيح والنطق من الله تعالى.

---

(١) يُنظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن،٣٤٢/٢٠.

(٢) يُنظر: العاملي، وسائل الشيعة، ١٨٨/٥.

ثالثاً: عدم إستقلالية الموجودات عن الله تعالى

إنَّ كلام الأعضاء الإنسانية يوم القيامة بالشهادة على أصحابها، هو بأمر الله تعالى وهذا أنجع علاج للمنكرين قال تعالى :﴿ قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ {سورة فصلت:٢١} ، أي أنّ النطق كان بأمر الله تعالى، وهذا ما أكده القشيري(ت:٤٦٥هـ) في تفسير هذه الآية: " شهدت عليهم أجزاؤهم، ولم يكن في حسابهم أن الله سينطقها وهو الذي أنطق كلّ شيء، ولم يدر بخلدهم ما استقبلهم من المصير الأليم" (١).

فالله ينطق له كل شيء، فلا ينبغي بعد ذلك لوم الجوارح على ذلك، فهي لم يكن لها وجودٌ مستقلٌ له حرية التصرف ، بل أنها تنطق عن الله تعالى وإرادته ، فإخفاء أمرٍ مثل هذا لا يتم كشفه إلا بأمر الله وهذا ما نصت الآية المباركة عليه بالقول: ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ { سورة فصلت:٢٢} ، أي لم تستطيعوا إخفاء أعمالكم التي اكتسبتموها في هذه الدنيا بجوارحكم، فلم تتوقعوا أنَّ الموازين في الآخرة تتغير، فتشهد عليكم أعضاؤكم ، فباعتقادكم الخاطئ أنَّ هذه الموجودات مستقلة عن الله تعالى ، وأنه غير مطلع عليها فكانت هذه الجوارح هي بمثابة الرقيب على أعمالكم ويشهد عليكم يوم القيامة عند أنكاركم عند المحاكمة العادلة .

روى أبن أبي حاتم(ت:٣٢٧هـ) في تفسيره عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: لِابْنِ الْأَزْرَقِ:" إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ مِنْهُ حِينَ لَا يَنْطِقُونَ وَلا يَعْتَذِرُونَ وَلا يَتَكَلَّمُونَ حَتَّى يُؤْذَنَ لَهُمْ فَيَخْتَصِمُونَ، فَيَجْحَدُ الْجَاحِدُ بِشِرْكِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حِينَ يَجْحَدُونَ شُهُودًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ جُلُودَهُمْ، وَأَبْصَارَهُمْ، وَأَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَيَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، ثُمَّ تُفْتَحُ الْأَفْوَاهُ فَتُخَاصِمُ الْجَوَارِحُ فَتَقُولُ: أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ" (٢).

---

(١) القشيري، لطائف الإشارات، ٣٢٤/٣.

(٢) أبن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ٣٢٧١/١٠.

ويبدو ظاهر الأمر أنَّ كل السبل الاستنطاقية تنفذ يوم الحساب التي تشهد على هؤلاء من سوء العمل، ومع كل ذلك يُصرون على إنكارهم بعدم فعل الموبقات من الجرائر، فهنا يأتي دور نطق الأعضاء؛ لأنها كانت شاهد عيان على ما فعلوا من حقيقة أعمالهم، بل ولإتمام الحجة بأن تتم الشهادة عليهم من اعضاء الإنسان الحسية نفسها، وهنا من الصعب عليهم الإنكار فتدحض حجتهم وأباطيلهم، وإلى مثل هذه الحقيقة أشار الشيخ الصفار بالقول: والحكمة العظيمة والغاية الكبيرة من إظهار الحساب بهذا النحو والطريقة والكيفية؛ ليظهر فضل الله سبحانه وتعالى في العفو عن بعض ذنوب العباد ، كما يظهر عدله في عقابهم ، فكل ذلك لابد من وجود أركان المحاكمة الإلهية العادلة من خلال وجود المدعي والمدعى عليه والشهود والصحف والحاكم العادل [1].

ويتحصل مما تقدم: إنَّ إشكالية تكلم أعضاء البدن يوم القيامة والشهادة عليهم ، مما هو واقع لا محالة وذلك لاختلاف النشأتين ، فما استحال عدم تحققه في عالم الدنيا يمكن أن يكون متحققاً في عالم الآخرة، لاسيما ما يتعلق بتكلم أعضاء البدن غير المعتادة على النطق ، وإحلال محلها غيرها كالأيدي والجلود وغيرهما ، وهذا ينسف ادعاءات هؤلاء الكفار المنكرين، في أن الجمادات تتغير حالة الإدراك فيها فتصبح ناطقة بعدما كانت صامتة هامدة بقدرة الله تعالى ، فهي غير مستقلة عن إرادة الله تعالى بل هي بمثابة رقيب إلهي وضعه الله تعالى لمن أنكر أعماله السيئة وهي طوع أمر مولاها.

---

(١) يُنظر: فاضل الصفّار، الحقائق والدقائق، ١٢/٧.

المطلب الرابع: إشكالية الرجعة وسبل علاجها في القرآن الكريم

المقصد الأول: بيان معنى الإشكالية ومصدرها

من الإشكاليات التي تتعلق بعقيدة المعاد هي إشكالية الرجعة التي يؤمن بها الإمامية والمقصود بالرجعة: هي رجوع بعض الناس ممن تقدم موته من شيعة أهل البيت وأئمتهم (عليهم السلام)[١] وعرفها محمد عبد المنعم: " تعني الرجوع إلى الدنيا" [٢]. فحيث أنَّ هذا المعتقد لا شبهة من ذي عقل في وقوعه وفي مقدور الله تعالى القيام بذلك، فهو ليس من المستحيلات على الله جل ثناؤه، ولكن هناك من خدش بمعتقد الرجوع بعد الموت، وعدها من المستحيلات التي لا يقبلها عقل ولا نقل، وحيث أنَّ ذلك منافٍ لأصول التكليف، ومن يعاد إلى الحياة فهو باطل.

ولكن لم يقتصر الإنكار في أصل القضية على هذا الحد، بل أنَّ بعض المستشرقين أخذ منحى آخر، فحيث عدها من تأثير الديانات اليهودية والنصرانية على الفكر الشيعي، فقال جولدتسيهر:" وفكرة الرجعة ذاتها ليست من وضع الشيعة أو من عقائدهم التي اختصوا بها، ويحتمل أن تكون قد تسربت إلى الإسلام عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية [٣].

وأيد هذا المستشرق فكرته من خلال سوق دليل أوهن من بيت العنكبوت حيث يرى أنَّ هذه العقيدة جاءت من الديانتين اليهودية والمسيحية، وأن النبي إيليا يعود إلى الأرض في آخر الزمان فقال:" فعند اليهود والنصارى أنَّ النبي إيليا(عليه السلام) قد رفع إلى السماء، وأنه لابد من رجوعه إلى الأرض في آخر الزمان؛ لإقامة دعائم الحق والعدل، ولا شك أنَّ إيليا هو النموذج الأول لأئمة الشيعة المختفين الغائبين يحبون أن لا يراهم أحد، والذين سيعودون يوماً كمهديين منقذين للعالم " [٤]. وفي هذا المطلب نبين عقيدة الرجعة وسبل علاج هذه الإشكالية على وفق المنظور القرآني.

---

(١) يُنظر: المرتضى، رسائل الشريف المرتضى، ١٢٥/١.
(٢) محمود عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية،١٢٨/٢.
(٣) جولتسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، ص٢٨١.
(٤) المصدر نفسه، ص٢٨٢.

المقصد الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية الرجعة

أولاً: وراثة المستضعفين للأرض

من الحقائق الثابتة التي لا يمكن الشك فيها أنَّ الأرض تصبح تحت وطأة المستضعفين في الحكم يوماً ما ، وقد أكد القرآن الكريم في كثير من آياته هذه الوراثة قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ { سورة القصص:٥} وأنَّ هذه الوراثة وعد من الله تعالى للذين آمنوا قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ { سورة النور:٥٥} وغيرها من الآيات التي تدل على وراثة المستضعفين الأرض.

ولكن هذه الوراثة لا يمكن أن تتحقق في زمن هؤلاء المستضعفين؛ وذلك لخروجهم عن دنيا التكليف، فكان من عدل الله رجوع هؤلاء للدنيا لكي يقتصوا ممن ظلمهم فيبعثهم الله ويحييهم بقدرته، قال الطهراني في تفسير آية القصص: فإنَّ المراد من الذين آمنوا هم الأئمة (عليهم السلام) وأن أستخلافهم في الأرض يكون في الرجعة ، وهذا وعد من الله تعالى والله جل ثناؤه لا يخلف وعده [١].

واستدل الفيض الكاشاني والمشهدي على صحة الرجعة، وأنَّ كل ذلك يتحقق فيها، فلا تكون الوراثة واستخلاف الأرض إلا في الرجعة [٢].

ويبدو إنَّ القول بالرجعة أكثر مواءمة وانسجاماً مع السياق القرآني للآيات التي تتحدث عن خلافة المستضعفين للأرض، ووعد الله لهم بالتمكين والنصر والخلافة والسيادة على الأرض قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ {سورة الأنبياء:١٠٥} قال القمي(ت:٣٢٩هـ) : نزلت هذه الآية في القائم من آل محمد (عليهم السلام) وما وعده من النصر في يوم الرجعة[٣].

---

(١) يُنظر: هاشم البحراني: البرهان في تفسير القرآن ،٩٥/٤.

(٢) يُنظر: الفيض الكاشاني، التفسير الصافي،٦٧/٤. المشهدي، كنز الحقائق وبحر الغرائب،١٠٨/١٠.

(٣) يُنظر: تفسير القمي،١٤/١.

ثانياً : إخبار القرآن الكريم بالرجعة

أخبر القرآن الكريم بمبدأ الرجعة وقوله الحق وإنَّ من أنكرها ينبغي أن يتدبر بالقرآن الكريم، وقد أستدل الإمامية على الرجعة من القرآن الكريم والسنة المطهرة عن أهل البيت (عليهم السلام) وهذا ما أكده قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ { سورة النمل:٨٣} ، فذهب العامة أن الحشر في يوم القيامة حيث يجمع الله الناس في ذلك اليوم (١).

ولكن الإمامية أنكروا هذا القول، وقالوا إنها مختصة بالرجعة لا يوم الحشر وهذا ما أشار إليه البحراني والحويزي والكاشاني وغيرهم تبعاً لأخبار الأئمة (عليهم السلام) ، روى البحراني عن حماد ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) ، قال : " ما يقول الناس في هذه الآية : ﴿ويَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً ﴾. قلت: يقولون: إنها في القيامة . قال: " ليس كما يقولون ، إن ذلك في الرجعة ، أيحشر الله في القيامة من كل أمة فوجاً ويدع الباقين ؟ ! إنما آية يوم القيامة قوله : ﴿وحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ (٢) .

ويبدو أنَّ الخلاف في ذلك مبتنى على المفهوم اللغوي للفظ (من) في هذه الآية الكريمة، فمن يرى أنَّ (من) توجب التبعيض فالحشر يكون لفئة معينة دون كل الناس، وهذا ما ذهب إليه الإمامية، ومنهم من يرى أنها للتبيين، فتكون هذه الآية مختصة بيوم القيامة.

وبذلك يظهر أن ما استدل به الإمامية في هذه الآية هو الراجح، لأنَّ دلالة (من) في قوله : ﴿ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾ للتبعيض ومن ثمَّ فإنَّ اليوم المشار إليه هو يوم الرجعة لا يوم القيامة، وهذا ما قاله الطبرسي (ت:٥٤٨هـ): وأستدل الإمامية بهذه الآية على صحة الرجعة، وذلك بأن دخول (من) في الكلام يقتضي التبعيض دون غيره ، فدل ذلك على أنَّ اليوم الذي يشار إليه هو يوم الرجعة ففيه يحشر قوم دون قوم، وهذا ليس صفة يوم القيامة الذي يقول فيه تعالى: ﴿وحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ (٣).

---

(١) يُنظر: الثعلبي ، الكشف والبيان في تفسير القرآن، ٢٦٦/٧.

(٢) هاشم البحراني: البرهان في تفسير القرن،٩٠/١. الحويزي: نور الثقلين، ٢٦٦/٣.

(٣) يُنظر: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن،٤٠٥/٧.

ومن عجيب القول بعض أقلام المفسرين الذاهبة إلى تفسير هذه الآية وفق الإيديولوجيات المذهبية لهم، حيث أنَّ المراد من الفوج في هذه الآية هم الشيعة، روى الطبري(ت:٣١٠هـ) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ: " {وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ} {سورة النمل: ٨٣} يَعْنِي: "الشِّيعَةَ عِنْدَ الْحَشْرِ " [١].

وهذا التفسير مردود من حيث أنَّ مفسري العامة يذهبون إلى أنَّ الحشر يوم القيامة، فإنَّ الشيعة جزء من المسلمين لا كل المسلمين، فهم يخالفون جل مفسريهم في ذلك وبذلك ينتقض مدعاهم، أضف إلى ذلك أنَّ السياق حاكم في ذلك فالمصداق لا ينطبق على الشيعة إطلاقاً إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

ومجمل الكلام: إنَّ القول بالرجعة مما ذكره الإمامية لم يكن بدعاً من الدين، بل هو من صلب الفكر الإمامي، ولا يكفّر منكره، ولكن الله جل وعلا ذكر في كتابه الكريم بعض الآيات الدالة على الرجعة كما ذكرناه آنفاً، ومن العامة من شاطرهم الرأي بذلك كما روى الطبري والثعلبي عن جابر الجعفي قال سألت أبا جعفر عن الرجعة فقرأ هذه الآية : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ {سورة الأنبياء:٩٥} [٢].

ومما يؤيد ذلك ما قاله القمي(ت:٣٢٩هـ) في تفسيره: "فهذه الآية من أعظم الأدلة على الرجعة؛ لأنَّ أحداً من أهل الإسلام لا ينكر أنَّ الناس كلهم يرجعون يوم القيامة من هلك ومن لم يهلك، فقوله :﴿ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عُني في الرجعة[٣].

---

(١) الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن،١٢٩/١٨.

(٢) المصدر نفسه، ١١٤/١٧. الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن،٣٠٧/٦.

(٣) تفسير القمي،٧٦/٢. الحويزي: نور الثقلين،٤٥٨/٣، المشهدي: كنز الحقائق وبحر الغرائب،٤٧١/٨.

ثالثاً: وقوع الرجعة في الأمم السالفة

ومن الصوّر العلاجية للقرآن الكريم لإشكالية الرجعة تتمثل في بيان الدور التطبيقي التاريخي لبعض الأمم السابقة التي حصلت فيها الرجعة، وعند التمعن في النصوص القرآنية بنظرة فاحصة نجد أنها ذكرت ذلك، وازاح القرآن الكريم الستار عن بعض العقائد منها ما يتعلق بالرجعة وعودة بعض البشر إلى الحياة مرة أخرى.

وقد شهد القرآن الكريم لهذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ {سورة البقرة: ٢٤٣} وهذه الآية تدحض دعوى المنكرين للرجعة، قال الشيخ الطوسي(ت:٤٦٠هـ) في تفسيره: ألم تعلم يا أيها الرسول عن أحوال بعض من سبقك من الأمم فقد خرجوا من ديارهم خوفاً من الموت ، فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم مرة أخرى ، وهذا فضل من الله على الناس ، وفي هذه الآية دليل على من أنكر الرجعة وعذاب القبر؛ لأن الإحياء في الرجعة وفي القبر مثل إحياء هؤلاء القوم الذين أحياهم لغرض العظة والعبرة[١].وسار السمعاني(ت:٤٨٩هـ) على منواله في تفسير هذه الآية في إثبات الرجعة ضمنياً في قوله: إنَّ الله أمات قوم من بني إسرائيل هربوا من مرض الطاعون الذي تفشى في بلدهم ، وبقوا سبعة أيام ثم أرسل الله تعالى نبي الله حزقيل فدعا الله تعالى فأحياهم ليستوفوا آجالهم [٢].

واختلف في إحياء بني إسرائيل في هذه الآية، حيث ذهب المعتزلة بعدم جواز الإحياء إلا في زمان الأنبياء، وأما الإمامية فيجوزون ذلك؛ لأنَّ المعجزة لا تقتصر على الأنبياء فقط، بل تشمل الأئمة والأولياء أيضاً، وهذا ما ذكره ابن شهر آشوب في كتابه[٣].

---

(١) يُنظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن ،٢٨٣/٢.

(٢) يُنظر: السمعاني ، تفسير القرآن،٢٤٥/١.

(٣) يُنظر: أبن شهر آشوب ، متشابه القرآن ومختلفه ،٩٧/٢.

ويبدو أنَّ ما ذكره الشيخ الطوسي هو أصح الأقوال وأكثرها انسجاماً مع المفهوم القرآني في إثبات الرجعة، ودحض أراء منكريها، وقد أشارت السنة الشريفة إلى حصول بعض ما حصل في الأمم السابقة ، ويحصل في الأمة الإسلامية مثلها روى المجلسي(ت:١١١١هـ) عن الحسن بن الجهم قال: سأل المأمون العباسي الرضا (عليه السلام) : يا أبا الحسن فما تقول في الرجعة؟ فقال الرضا (عليه السلام) : إنَّها لحق قد كانت في الأمم السالفة ونطق به القرآن وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة " [١].

وخلاصة القول: إنَّ الرجعة ثابتة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، كما هو الحال في رجعة بني إسرائيل التي صورها القرآن الكريم عن طريق الإماتة والإحياء لهم مرة أخرى، فكما حصل في الأمم السالفة يحصل في آخرها، وهذا ما أكده ناصر مكارم الشيرازي بالقول: وهذه الآية تشير بشكل ضمني إلى إمكان حدوث الرجعة إلى الحياة بعد الموت؛ لأنَّ وقوعها في مورد يدل على إمكان وقوعها في موارد آخرى غيرها في مختلف الأزمان [٢].

رابعاً: إحياء قتيل بني إسرائيل

بعد أن بين الله قدرته في الرجعة في إحياء جمع من بني إسرائيل كما تحدث عنها القرآن الكريم، نلاحظ أنه يضيق شقة الدليل في شأن إحياء فرد من بني إسرائيل اختلف في مقتله كما أكد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۞ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ ﴾ {سورة البقرة:٧٢-٧٣} ، فذهب المفسر القنوجي(ت:١٣٠٧هـ) في تفسيره لهذه الآية الكريمة : هذا الخطاب لليهود المعاصرين للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي يذكرهم الله فيه بقتل نفس، واختلفتم في قاتله وأنَّ إحياءه يتطلب ضرب القتيل ببعض من البقرة فأحياه الله تعالى [٣].

---

(١)المجلسي: بحار الأنوار،١٣٥/٢٥.
(٢) يُنظر: مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٣٠/١.
(٣) يُنظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، ١٩٩/١-٢٠٠.

وهذا الإحياء الفردي للقتيل يُفحم المزاعم الذاهبة إلى عدم قدرة الله تعالى في إحياء بعض ممن اتصف بالإيمان وممن اتصف بالكفر أيضاً، والى هذا المعنى أشار المشهدي بالقول: " (فَقُلْنا اضْرِبُوه) أي اضربوا القتيل (بِبَعْضِها) أي ببعض البقرة المذبوحة التي أمروا بذبحها (كَذلِكَ) أي مثل هذا الإحياء (يُحْيِ اللَّه الْمَوْتى) في يوم القيامة ، فإنَّ القتيل لما ضرب بالبقرة قام حياً وأوداجه تشخب دماً ، وأخبر بسبب قتله ، وبالذي قتله " (١).

وهنا يرد استفهام ما لهدف من ذكر هذه النماذج الإحيائية في القرآن الكريم؟ يمكن الإجابة على ذلك هو لغرض تهيئة الأنفس إلى تقبل بعض العقائد التي في نظر البعض أنها قابلة للتحقق ومن ذلك الرجعة، حيث المتعلق في الأذهان عدم رجوع بعض الناس إلى الحياة بعد الموت قبل يوم القيامة، وينبغي على المسلم الإيمان بها وهذا ما قاله ناصر مكارم الشيرازي: وعلى أية حال كيف لمن يؤمن بالقرآن الكريم كتاب سماوي إلهي نزل من عند الله تعالى ، ينكر هذه الآيات الواضحة في الرجعة ، وهل هذه الرجعة إلا نموذجاً مصغراً من يوم القيامة في هذه الدنيا، فكيف لمن يؤمن بيوم القيامة والحساب أن يعترض على الرجعة ويسخر منها وينعتها بأنها من مدخلات الديانة اليهودية وغيرها (٢).

فيتحصّل: إنَّ الرجعة من الحقائق التي أسسها القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمة، وأخبر عن وقوعها في الأمم السالفة، واسفرت السنّة الشريفة عن أسرارها، فهي مثل الإيمان بالحقائق الغيبية التي ذكرها القرآن الكريم كالبرزخ والميزان والصراط وغيرها، فينبغي عدم إنكارها والتصديق والإذعان بها، فمنكرها نتيجة لمتوهمات قاصرة في عقله وتكهنات ظنية لا تغني عن الحق شيئاً.

---

(١) محمد الشيرازي، تقريب القرآن إلى الأذهان،١٤٣/١.

(٢) يُنظر: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،١٤٤/١٢.

وخلاصة القول : إنَّ الإشكاليات المتعلقة بمبدأ المعاد ومتعلقاته ، كإشكالية استحالة المعاد الجسماني التي طرحها الماديين وغيرهم هي نتاج لتلك الإشكاليات التي طرحها الكفار في زمن النص ، ومثله تكلم أعضاء البدن وشهادتها على الإنسان بسوء أعماله فهي الأخرى لا يمكن أن تصمد لضعفها ، وقد رد القرآن الكريم بأدلة مساوقة للعقول في كيفية إحياء الأرض وغيرها كنماذج تدحض هذه الإشكاليات وتنسفها من جذورها فلم يبق شيء يتشبث به هؤلاء المنكرون سوى أوهام سقيمة لا صحة لها .

الفصل الثاني- إشكاليات المعاصرة المتعلقة بالقرآن الكريم وعلاجها في القرآن الكريم

المبحث الأول- إشكالية بشرية القرآن الكريم والرد عليها

المبحث الثاني- إشكالية تحريف القرآن عند المستشرقين وطرق علاجها في القرآن الكريم

المبحث الثالث- إشكالية التأثر بالكتب السماوية السابقة

الفصل الثاني: بعض الإشكاليات المتعلقة بالقرآن الكريم وسبل علاجها

من البديهي أنَّ هؤلاء المستشرقين في طرح إشكالياتهم قد وجهوا سهام النقد إلى القرآن الكريم؛ لأَّنه معجزة الإسلام الخالدة، ومن خلال ضربهم هذا الكتاب، يكونون بذلك قد قضوا – حسب مزاعمهم-على الدين الإسلامي برمته، ولذلك ركّزوا في جهودهم على البحوث القرآنية الخاصة بمصدرية القرآن الكريم وذلك من خلال التشكيك بوحيانيته، التي تؤدي في نهاية المطاف إلى القول بأنه من صنع البشر، وبذلك يصلون بحسب زعمهم إلى إبطال أصل الدين الإسلامي.

ونجد أنَّ هذا الأسلوب في طرح الإشكاليات لم يقف عند هذا الحد، بل نراهم عمدوا إلى القول بتأثر القرآن الكريم بالكتب السماوية والأخذ منها، وأنَّ النبي (ﷺ) التقى ببعض أصحاب الديانات الأخرى، فكان من نتاج اختلاطه بهم، هو ابتداع هذا القرآن، فيكون القرآن بذلك انعكاساً للكتب السماوية السالفة عليه.

لم تستكن محاولاتهم عند هذا الأمر، حتى برزت مكنوناتهم الشيطانية ذات الغاية والمقاصد الواضحة، من خلال القول بتحريف القرآن الكريم، وخلق فجوة بينه وبين النبي (ﷺ)، فمرادهم الضرب بنفس المعول الذي ذكره القرآن الكريم، في بيان تحريف الكتب السماوية السابقة عليه.

وكل هذه الإشكاليات التي ابتغى لها هؤلاء المستشرقون وقصدوا بها طمس نور الإسلام من خلال مرجعتيه الإلهية الحقة بجزأيها (الوحياني والنبوي) ، وبعد كل هذه المحاولات ، نرى أنَّ القرآن الكريم يعالج مثل هذه الإشكاليات واحدة تلو الأخرى ، وبيان القرآن الكريم هو وحي من الله تعالى ، وليس للنبي وغيره تبديل كلمة واحدة فيه ، وهذا ما نحاول بيانه في هذا الفصل.

المبحث الأول: إشكالية بشرية القرآن الكريم والرد عليها

من الإشكاليات التي حامت حول القرآن الكريم هي إشكالية بشرية القرآن، وفي هذا المبحث نحاول بيان هذه الإشكالية وسبل علاجها على وفق المنظور القرآني:

المطلب الأول: بيان معنى إشكالية بشرية القرآن الكريم ومصدرها

عرض المستشرقون جملة من الإشكاليات التي تتناول الوحي الإلهي، وهدفهم من ذلك إثبات بشرية القرآن الكريم، وأنه من صنع محمد (ﷺ) نفسه – والعياذ بالله- وليس من الله تعالى وهذا ما أقره المستشرق مونتغمري وات[١] فقال: إن محمداً لا يؤمن بالوحي الإلهي ، ولم يتلقى تعاليمه من الله ، وإنما ألف الآيات عند قصد ثم أعلنها بصورة جديدة خدع بها العوام من الناس وجعلهم يتبعونه، ونؤمن في الوقت نفسه أنَّه كان مخطئاً [٢] وسار إلى منهجه المستشرق ويلز[٣] في إثبات تلك الفكرة بالقول: إنَّ القرآن كان من صنع محمد (ﷺ) [٤] .

وتتراوح كلمات المستشرقين وغيرهم في الأغلب بين إنكار الصلة بين النبي محمد (ﷺ) وبين السماء، التي من خلالها يتم ضرب القرآن الكريم وقدسيته في نفوس المسلمين ، وفي الوقت ذاته يتهم بالخداع والكذب والمكر تجاه شخصية الصادق الأمين (ﷺ) واتهامه بأنه جاء بالقرآن الكريم من عند نفسه ، ونسبه إلى الله تعالى. ومن خلال ذلك يتبين أنّ الذكاء الذي يتميز به النبي محمد (ﷺ) هو السبب الرئيس في أختلاف القرآن الكريم، فهو لم يكن مرسلاً من الله تعالى، بل انتحل صفة الرسالة

---

(١) وليم مونتغمري وات: هو مستشرق بريطاني، عمل أستاذاً وعميد قسم الدراسات في جامعة أدمبرة في أسكتلندا، ومن أشهر كتبه محمد في المدينة الذي طبع عام ١٩٥٦م (يُنظر: نجيب عقيقي، المستشرقون، ١٣٣/٢)

(٢) يُنظر: مونتغمري وات، محمد في المدينة ،ص٤٩٦.

(٣) هربرت جورج ويلز [١٨٦٦-١٩٤٦] : الكاتب والأديب البريطاني المعروف، تولى التدريس بضع سنين ثم انصرف للتأليف، أشتهر بقصصه التى تعتمد الخيال العلمي، من مؤلفاته " معالم تاريخ الإنسانية " وغيرها من الكتب. (يُنظر: عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام: ١٤٤)

(٤) يُنظر: ويلز، معالم تاريخ الإنسانية ،٦٢٦/٢.

والرسول من خلال عمل بعض الأعمال الإنسانية، وهذا ما أشار إليه المستشرق جولد تسيهر[١] بالقول: إنَّ حياة محمد (ﷺ) وعلى وجه التحديد في النصف الأول منها، ونتيجة مشاغله اضطرته إلى الاتصال بأوساط معينة يستقي منها بعض الأفكار التي أجترها في قرارة نفسه عندما كان منطوٍ في تأملاته وعزلته [٢].

ورغم أنه لم يبين طريقة الاتصال بتلك الأوساط ونمطه إلا أنَّه ركز على بشرية القرآن الكريم، وعده من نتاج محمد (ﷺ) وغير مرتبط بالسماء، وإنما كان مجموعة أفكار وتأملات صاغها عند عزلته عن قومه، فكان ذكاؤه هو من مكنه أن يضع القرآن الكريم بهذه الهيئة والصيغة.

إنَّ هدف المنظور الاستشرافي من طرح هذه الإشكالية، هو تفتيت العلاقة بين القرآن الكريم والرسول محمد (ﷺ) رويداً رويداً من أجل نفي الصبغة الإلهية عن القرآن الكريم، ومن ثم التشكيك في كونه وحياً من الله تعالى، وهذه النظرة في مصدرية القرآن ليست بجديدة فهي من الإشكاليات التي طرحها العرب في عهد النبوة، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ {سورة النحل:١٠١} أي متقوّل على الله تعالى ، ولكن بعض المستشرقين صاغ هذه الإشكالية بأسلوب جديد أكثر ضراوة حسب هواه من أجل إثبات بشرية القرآن ونسبته إلى الرسول محمد (ﷺ).

وتلقف بعض الحداثيين هذه الفكرة نتيجة لانبهارهم بما توصل إليه الغرب من نزع قداسة الكتب السماوية، وأخضعوها للنقد حالها حال أي كتب أخرى اعتماداً على أدوات معينة، فحاولوا تطبيق مناهجهم على القرآن الكريم أيضاً أمثال نصر حامد

---

(١) جولد تسيهر: هو مستشرق يهودي من المجر عاش فترة (١٨٥٠م- ١٩٢١) ، وكان يعمل أستاذاً في جامعة بودابست ، وهو أول مستشرق كتب في الحديث النبوي ، وله مؤلفات أبرزها : مذاهب التفسير الإسلامي ، والعقيدة والشريعة في الإسلام وغيرها (يُنظر: حسين محمد نصار، الموسوعة العربية الميسرة ، ١٢٠٠/١).

(٢) يُنظر: العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ١٣.

أبو زيد ومحمد أركون وعبد المجيد الشرفي وعلي حرب وغيرهم قال علي حرب: ينبغي نزع القداسة عن الوحي عن طريق تعرية آليات الآسطرة والتعالي والفوقية التي يمارسها الخطاب في تعامله مع الوقائع والأحداث التاريخية، أو مع التجارب والممارسات الإنسانية [١].فكانت العقائد وتأثيرات العقيدة واضحة عند بعض المستشرقين وهذا ما نلاحظه من مبتنيات أفكارهم المعدة مسبقاً ، فمثلاً نجد أنَّ عقيدة جولد تسيهر اليهودية المعادية للإسلام ألقت بظلالها على كتاباته وأفكاره، وهذا ما اشار إليه محمود علي سرائب بالقول: إنَّ أفكار جولد تسيهر في اعتبار أنَّ القرآن الكريم مضطرب ولا ثبات فيه، وأنَّه مزيج من ثقافات معينة ومتعددة فهو ليس من الله تعالى، وهو بذلك لم يخرج من تأثيرات عقيدته اليهودية، وبذلك يحاول إضفاء صفة التغيّر والتبدل الذي حصل في الكتب الأخرى ، فصوّر الاضطراب في مصدرية القرآن للتشكيك به [٢].

فمنهجم الإسقاطي التشكيكي الذي يحاول طمس مقوله الوحي وعلاقتها بالقرآن الكريم غايته هي إثبات بشريته، وأنه من صنع النبي (ﷺ) قد سعت مجهودات الاستشراقين إلى ذلك بكل ما يملكون من قوة ، ولكن القرآن الكريم أعجز من كان قبلهم ويعجزهم بالتحدي وتفنيد آرائهم ويقرر حقانية الرسول (ﷺ) وأن القرآن الكريم وحي من الله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ {سورة البقرة:٢٣} وهذا التحدي ساري المفعول إلى يوم القيامة ولا يقتصر بزمن النص وحده، وهذا ما أشار إليه محمد جواد البلاغي : أي إن شككتم بأن هذا القرآن الكريم ووحيه من عند غير الله تعالى، وجوزتم أن يأتي به بشر من عند نفسه دون الوحي السماوي ، فأتوا بمثل هذا القرآن حسب قدرتكم البشرية وبما تملكون من أدوات والعلم [٣].

---

(١) يُنظر: علي حرب، نقد النص، ص ٢٠٣.
(٢) يُنظر: محمود علي سرائب، القرآن الكريم في الدراسات الاستشرافية، ص٢٢١.
(٣) يُنظر: آلاء الرحمن في تفسير القرآن ،٧٦/١.

ورب سائل يسأل ما الأسباب التي سوغت للمستشرقين وغيرهم إنكار الوحي الإلهي؟ والإجابة على ذلك: إن الاختلاف الماهوي بين العالم العلوي والعالم السفلي؛ لأنَّ الأول: مشعشع روحي لطيف، والثاني: متكدّر مادي كثيف، ولا توجد واسطة بين العالمين، ولا توجد روابط تربط بينهما. وهذا الكلام مردود من حيث أن الإنسان لم يكن وجوداً مادياً محضاً حتى يقال عنه ذلك، بل هو متكون من برزخ بين المادة والروح، وقد أثبت علماء الاختصاص في الغرب أنَّ للإنسان شخصية باطنية معقدة وأخرى عادية فلا يبقى بعد ذلك مجالاً لإنكار الوحي [1].

المطلب الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية بشرية القرآن الكريم

أسلفنا فيما تقدم إنَّ أغلب الإشكاليات التي أثارها المستشرقون هي إشكاليات قديمة صيغت بقوالب جديدة موافقة لمقتضيات العصر الحاضر، وما إشكالية بشرية القرآن وأنه من صنع محمد (ﷺ) إلا نتاج تلك الفكرة ، وقد ردَّ القرآن الكريم على تلك المزاعم في كثير من آياته الكريمة ونفى كل ما يجول في خاطرهم من إشكاليات كالسحر وأنَّه من افتراء محمد نفسه قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ {سورة الأنبياء:٥} فمحور الآية الكريمة يدور حول إشكالية الافتراء على الله تعالى ، أو هو أضغاث أحلام أو هو صنع ساحر، بهدف إثبات بشرية القرآن.

أولا: أمية النبي (ﷺ) تكذّب مزاعم المستشرقين

القرآن الكريم أجاب عن هذه الإشكاليات وأبان نسبة الوحي إلى الله تعالى دون النبي (ﷺ) قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ {العنكبوت :٤٨} ، قال السمعاني(ت:٤٨٩هـ) في تفسير هذه الآية : أي يا محمد لم يكن لك كتاب تتلوه قبل بعثتنا إليك، وإنزال القرآن عليك ، ولم تكن تقرأ وتكتب حتى تخط الكتاب بيمينك ، ولو كنت تعرف القراءة والكتابة قبل ذلك لارتاب

(١) يُنظر: حسن علي الهاشمي، قراءة نقدية في تاريخ القرآن للمستشرق ثيودور نولدكة، ص١٤٥.

وشك الكافرون بأن ذلك القرآن من صنع يدك [١].

فالأمية وحدها كفيلة في رد مزاعم المستشرقين ومن لف لفهم، والإفصاح بأنَّ القرآن الكريم لم يتصف بالصفة البشرية، وإنما هو من الله تعالى، والرسول (ﷺ) هو الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه، يوضح لهم معالم دينهم الذي ارتضاه لهم قال تعالى : ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ { سورة العنكبوت:١٨} وقال تعالى: ﴿ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ { سورة الشورى:٤٨} فوظيفة الرسول هي تبليغ رسالة الله إلى الخلق ، فيكون بذلك الكتاب الذي أنزل على الرسول (ﷺ) هو معجزة لأنَّ من جاء به لا يجيد القراءة والكتابة.

واستفهم أحد المفسرين في هذه الآية وعدها من أفضل الأساليب في البحث والجدال، ورد الإشكاليات التي تثار حول شخصية النبي (ﷺ) ومحتوى القرآن الكريم حيث قال: كيف يمكن التصديق بأنَّ من لا يجيد القراءة والكتابة ولم يرَ أستاذاً تتلمذ على يديه، ولا مدرسة أن يأتي بكتاب يتحدى به جميع البشر أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فيعجز الجميع عن الإتيان بآية واحدة منه ؟ [٢]. ومن السنة الشريفة ما يؤيد ذلك في أنّ القرآن الكريم لم يصل إليه كلام الإنس والجن لشدة بلاغته فهو أعجز فحول العرب من مجاراته، كما أشار إليه الطبرسي في تفسيره، عن الوليد بن المغيرة عندما سمع الرسول (ﷺ) قال: "والله لقد سمعت من محمد آنفا ًكلاماً، ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، وإنَّ له لحلاوةٍ، وإنَّ عليه لطلاوةَ، وإن أعلاه لمثمرٌ، وإن أسفله لمغدقٌ، وإنه ليعلو وما يعلى" [٣]. وإن دل هذا على شيء إنما يدل على أنَّ القرآن الكريم، فوق كلام الإنس والجن لما له من فصاحة وبلاغة ونظم، فقد أعيا مصاقع العرب وفحول الشعر والنثر فكيف يكون ذلك من صنع البشر؟ ما هذا إلا هو وحي يوحى نزل به الروح الأمين على قلب النبي (ﷺ).

---

(١) يُنظر: السمعاني، ١٤٨/٤.

(٢) يُنظر: الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،٤١٨/١٢.

(٣)الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ١٧٨/١٠.

ثانياً: الانفصال التام بين الذات المُلقية والذات المُتلقية

إنَّ أفضل الشواهد التي يمكن إزالة إشكاليات المستشرقين بها في بطلان نظرية بشرية القرآن الكريم، هو موقف النبي الأكرم (ﷺ) من الظاهرة القرآنية، فقد كان (ﷺ) يدرك على نحو لا يقبل الريب الانفصال التام بين الذات العلوية المُلقية المتمثلة بالله تعالى المسماة بظاهرة الوحي، وبين الذات المُتلقية وهو النبي محمد (ﷺ) المتمثلة بالنبوة، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في كتابه الكريم قال تعالى: ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۞ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ {سورة يونس:١-٢} ، فهاتان الآيتان تبينان الانفصال التام بين ذات الله الملقية التي أنزلت القرآن الكريم ، وبين ذات النبي المتلقية التي وظيفتها الإنذار والتبشير، وحيث أنَّ القرآن الكريم يوضح بجلاء من تصوير النبي (ﷺ) ذلك الإنسان المطيع لله تعالى الذي لا يملك لنفسه شيئاً ، ويخاف ربه إن عصاه ، فيلتزم بحدوده التي وضعها الله له دون إفراط أو تفريط، ويرجو رحمة الله تعالى ، فهو في مقام العجز المطلق تجاه الذات الإلهية الملقية، فهو قاصرعن تبديل أو تغيير حرف واحد في القرآن الكريم(١) ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ ﴾{ سورة يونس:١٥-١٦} . فكان الجواب واضحاً وجلياً بأَن إبدال هذا القرآن بغيره؛ لأنّه مشتمل على معائب آلهة المشركين، لم يكن بمقدور النبي (ﷺ)، بل هو من مختصات الله تعالى، وليس للنبي اليد في تبديله، ولعل التبديل حسب زعمهم يسعفهم في إلزام النبي واتهامه بأن القرآن الكريم، لم يكن من الله تعالى وحياً، بل هو من صنع محمد (ﷺ) (٢).

---

(١) يُنظر: محمد باقر الحكيم، علوم القرآن ،١٥٩.

(٢) يُنظر: فتح الله الكاشاني، زبدة التفاسير،١٩٥/٣-١٩٦.

وقال الدكتور مصطفى محمود في رد افتراء المشركين والمستشرقين وزعمهم بالقول: لو كان النبي محمد (ﷺ) مؤلفاً كما يزعمون لألف كتاباً ولكنه لم يكن سوى مستمع أمين، كما يسمع أحدنا تلك الكلمات ذات الموسيقى العلوية بنقاء وصفاء، فذهل كما تذهل وصعقت حواسه الشريفة أمام هذا التركيب الفريد المضيء(١).

ولكن أنىَّ لهم ذلك فقد اتفقت كلمة جميع المسلمين على صيانة القرآن من كل أشكال العبثية والتزييف؛ لأنَّ الذات الإلهية الملقية قد تكفلت بحفظه قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ { سورة الحجر:٩} ، والذات المُتلقية المعصومة بلّغت ما أوحي إليها على أكمل وجه.

وبالمجمل: فإنَّ هذه الإشكالية دحضت من الله تعالى في كتابه الكريم، فلم يتبق بضاعة عند هؤلاء المشركين والمستشرقين يتعكزون عليها، وكل ذلك بسبب حنكة الرسول (ﷺ) قال السيد الحكيم: ويبدو أن الوعي الكامل الذي يتميز به النبي (ﷺ) حال للتفريق بين الذات الإلهية الآمرة والذات المأمورة، التي من شأنها التفريق بين الوحي الإلهي وبين الأحاديث الخاصة التي يطلق عليها الإلهام(٢).

---

(١) يُنظر: مصطفى محمود، القرآن محاولة لفهم عصري، ص١٠.

(٢) يُنظر: الحكيم، علوم القرآن، مصدر سابق، ص١٦١.

ثالثاً: شهادة القرآن بأنه موحى من الله تعالى

عند استنطاق القرآن الكريم يشهد بأنه موحى من الله تعالى إلى النبي محمد (ﷺ) شأنه شأن جميع الأنبياء السابقين عليه، وهذا لا غبار عليه قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ۞ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۞ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ { سورة النساء:١٦٣-١٦٦}، ودلالة هذه الآيات أنَّ القرآن الكريم وحي للنبي من الله تعالى ، كما هو الحال في وحي الأنبياء السابقين كنوح وإبراهيم وإسماعيل واسحاق و... (عليهم السلام) وإلى ذلك اشار أحد المفسرين بالقول: إنا قد جعلناك يا محمد (ﷺ) رسولاً بالطريق نفسه الذي جعلنا فيه سائر الأنبياء والرسل وهو الوحي من الله تعالى ، كما هو الحال فيمن سبقك من الأنبياء كنوح وإبراهيم وعيسى موسى (ﷺ) وغيرهم، وسر تقديم الرسول على جميع الأنبياء لفضله وفضيلته ، فهو أفضل الأنبياء مكانة ومنزلة ... (١).

فالقرآن الكريم يشهد بأنَّ الرسول (ﷺ) موحى له من الله تعالى، لغرض الإنذار والآيات بهذا الشأن كثيرة، وتنطق بأن القرآن الكريم موحى به إلى نبي الإسلام كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ { الأنعام:١٩} ، وبعد هذه الشهادة القرآنية لا يمكن القول ببشرية القرآن كما زعمه المستشرقون وغيرهم ، وأنَّه من صنع محمد (ﷺ) ، فهذا شيء غريب يأباه ويرفضه النسيج القرآني (٢) .

---

(١) يُنظر: السمعاني، تفسير القرآن،٥٠٢/١.

(٢) يُنظر: الشيخ محمد هادي معرفة، شبهات وردود حول القرآن الكريم، ١٤.

رابعاً: شهادة المستشرقين المنصفين

ومن المعالجات التي يمكن بها دحض اشكالية بشرية القرآن والاستئناس بها هي، أقوال بعض المنصفين من المستشرقين الذي أزبروا تلك الآراء في كتبهم، فكانت لهم كلمة الحق في زمن عزّ فيه قائله من بني جلدتهم ، فقد رد جملة من المستشرقين المنصفين على نظائرهم الحاقدين على الدين الإسلامي ونبيه وشريعته، تلك الفرية وأثبتوا أنَّ القرآن الكريم هو وحي من الله تعالى ومن هؤلاء المنصفين المستشرق موريس بوكاي [١] : لقد تعرت نوايا المستشرقين وشبهاتهم ، فقد نجزم أنَّ القرآن الكريم لم يكن من صنع البشر، ولم يكن من تأليفك يا محمد (ﷺ) ؛لأنَّه أشار إلى الأنبياء السابقين ، وكيف تعاملت أممهم معهم ، فليس لك ذلك العرض بالغيب إلا أن يكون ذلك وحياً من الله تعالى [٢] .

وكما تصدى غيره للدفاع عن الوحي القرآني ورد الادعاءات المضطربة في حقيقة الوحي وقولهم أنَّ مصدره من غير الله تعالى، وفنّد الأكاذيب التي كانت تشاع حول الوحي القرآني، وهذا ما قاله المستشرق بتنر[٣] : إذا كان التضحية بالمصالح الذاتية عند محمد (ﷺ) والأمانة في المقصد الإيمان الثابت عنده والنظر الثاقب بدقائق الأمور وإزالة الخطيئة والضلال بأحسن الاساليب والوسائط، ذلك من العلامات الظاهرة والدالة على صدق نبوة محمد(ﷺ) وأنه موحى إليه من الله بلا شك [٤].

وغيرهم من المستشرقين المنصفين الذين أنصفوا الدين الإسلامي وسوله الكريم (ﷺ) دافعوا عنه بحيادية، وأثبتوا زيف بعض الدعاوى التي تنتسب إلى القرآن الكريم ونبيه الحق.

---

(١) موريس بوكاي: طبيب فرنسي نشأ على المسيحية الكاثوليكية، ولد في مدينة بوكاي عام١٩٢٠م، واعتنق الأسلام توفي الدكتور ١٩٩٨ وله عدة كتب أبرزها (التوراة والأنجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث). يُنظر موقع ويكبيديا، موريس بوكاي،:https://ar.wikipedia.org/wiki .

(٢) ينظر: موريس بوكاي، التوراة والانجيل واقرآن بمقياس العلم الحديث،ص٢٨٥ -٢٨٦.

(٣) بتنر: مستشرق نمساوي ابدع في الدراسات الفارسية والتركية، ثم أنصرف أخيراً إلى دراسة العربية والمهرية وغيرها ، وفي عام ١٨٩٦ نشر قصيدة للعجاج(يُنظر: عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين، ٧٦) .

(٤) يُنظر: الدكتور محمود ماضي، نقلاً عن كتاب الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، ص١٤٩.

المبحث الثاني: إشكالية تحريف القرآن الكريم وسبل علاجها

لم يكن القرآن الكريم بمعزل عن تلك الإشكاليات التي خيمت على سمائه الصافية، فكانت له حظوة كبيرة من هذه الإشكاليات، فسهام النقاد أصابت قلب الدين الإسلامي نأياً به عن وحيه السماوي، وتسارعت نحو آياته الشريفة محاولة تفكيكها على وفق رؤى مرسومة، ولكن ما جاءوا به من تضليل فإنَّ الله يبطله، وهذا ما نتناوله في هذا المبحث.

المطلب الأول: إشكالية تحريف القرآن الكريم

من أبرز الإشكاليات التي دونتها أقلام أعداء الدين الإسلامي هي إشكالية تحريف القرآن الكريم، من خلال الزيادة والنقصان في آياته الكريمة، وهذا ما قاله جولد تسيهر في إثبات تحريف القرآن الكريم كما هو الحال في الكتب المتقدمة عليه نزولاً لا فضلاً فقال : " فتحريف الوحي القديم وغموضه، اللذين أصبحا مناط شكواه ، صار لهما منذ ذلك الوقت أهمية كبيرة في تكوين رسالته النبوية وما تتطلب من واجبات. ذلك بأنَّ بعض الذين مالوا عن دينهم الأول، والذين كانوا يرغبون في مرضاته، قد قوّوا فيه عقيدة أنَّ أنصار الدين القديم كانوا قد حرّفوا الكتاب، وأنهم أخفوا البشارات التي جاء بها أنبياء التوراة وأنبياء الإنجيل عن ظهوره في المستقبل، وهذه الشكوى نرى جرثومتها في القرآن ومن بعده جاءت الكتب الإسلامية وتوسعت فيها توسعاً كبيراً"(١).

وقال أيضاً في موضع آخر في بيان معتقده بشأن تحريف القرآن الكريم، بل وأنَّ تحريف القرآن الكريم أكبر من التحريفات التي أعترت الكتب السابقة: " وكذلك التقليد القائل بوجود دين قديم نقي كان على النبي تقويمه، وإيضاً الافتراض القائل بتحريف الكتب المقدسة هذان وإن كانا قد طبعا بطابع أقوى في الإسلام ، إلا أنه وجد لهما أصل في بعض الأفكار التي تتصل اتصالاً وثيقاً بتعاليم ...المسيحية" (٢).

---

(١) جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام ص٢٩.

(٢) المصدر نفسه ص٣٧.

وقبل الولوج في تلك الإشكالية ينبغي أن نعرّف التحريف عند أهل اللسان والذي هو: التغيير والتبديل والميلان في كلمات الله تعالى(١).
والتعريف الاصطلاحي متوافق مع ما ذكره اللغويون ولا يبتعد كثيراً عنه وهذا ما قاله الجرجاني (ت:٨١٦هـ) : "التحريف: تغيير اللفظ دون المعنى " (٢).

وهذا التعريف لا يخلو من وجه مناقشة من حيث أنه ذكر نوعاً من أنوع التحريف مع إغفال غيره ، فذكر اللفظ دون المعنى في حين أهمل تغيير المعنى دون اللفظ ، أو كليهما، وقد أشار القرآن الكريم إلى تغيير المعنى دون اللفظ بقوله تعالى في حكاية عن اليهود : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ { البقرة:١٠٤} وهذه اللفظة (راعنا) في اليهودية هي كلمة سب وشتم للنبي الأكرم (ﷺ) فنهى الله المسلمين التفوه بها حتى لا يستعملها اليهود في شتمه (ﷺ) ، بل قولوا (انظرنا) أفضل واعمق دلالة لكي تقطعوا الطريق على هؤلاء اليهود من نزغكم ونزغ نبيكم (٣).

واشكالية التحريف بهذا المضمون لم تكن وليدة العصر، بل هي من مخلفات المشركين والكافرين وأقوالهم في زمن الرسالة المحمدية الخاتمة، كما أكده قوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآَنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ { سورة يونس:١٥} والتغيير والتبديل هما من الوجوه الخاصة بالتحريف، فمرادهم من ذلك هو تغيير هذا القرآن الكريم بما يتناسب مع معتقدات هؤلاء، قال القطان في تفسير هذه الآية: " لا يمكنني أن أُغير أو أبدل من عندي ولا يجوز لي ذلك، وما أنا إلا متَّبعٌ ومبلّغٌ ما يوحي إلي من ربي، إن أخاف إن خالفتُ ربي عذابَ يومٍ عظيمَ الشأن هو يوم القيامة" (٤).

---

(١) يُنظر: الفراهيدي، العين٣/٢١١.
(٢) الجرجاني: التعريفات ١/٥٣.
(٣) يُنظر: الإمام العسكري، تفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري ص٤٧٨.
(٤) إبراهيم القطان: تيسير التفسير ٢/١٨٤.

المطلب الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية التحريف في القرآن الكريم

ما يميز القرآن الكريم أنَّ فيه فوائدٌ جمة وكثيرةٌ أبرزها الرد على إشكاليات المشككين والمستشكلين، وهذا ما نلاحظه في بعض آياته الكريمة، لا سيما ما يتعلق بصيانة القرآن الكريم من التحريف، وقد تكفّل الله جل ثناؤه بهذه المهمة العظيمة، بدليل ما صرحت به الآيات الكريمة التي تعد العلاج الأمثل والأفضل لمثل هذه المشكلات وهذا ما نبينه في هذا المطلب:

أولاً: الصيانة الإلهية للقرآن الكريم من التحريف

تُعد هذه المعالجة من أسمى المعالجات وأفضلها على الإطلاق حيث تتضح فيها العناية الإلهية بهذا الكتاب الكريم، وخلوه من الزيادة والنقصان ، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ {سورة الحجر:٩} فإنَّ الإنزال للقرآن الكريم مؤكد بالحفظ والصيانة الإلهية وهذا ما أطبقت عليه كلمة المفسرين، قال الطبري في تفسيره : والمراد من لفظ الذكر في هذه الآية هو القرآن الكريم ، وإن اختلف البعض في الضمير (له) وعودته إلى النبي محمد (ﷺ) ، ولكن هذا لا يقدح في حفظ الله تعالى له من كيد أعدائه [١].

في حين أنَّ أحد المفسرين لم يرضَ بما ذكره الطبري من تفسير ويطرح تساؤلاً في هذا المضمار، وهو من أي شيء حفظ الله تعالى كتابه الكريم؟ فإنْ كان مراد الحفظ الإلهي خاص بالتحريف كما ذهب إليه أغلب المفسرين، فإنَّ إسرائيل طبعت آلاف النسخ من القرآن الكريم، وقامت بتحريف بعض آياته عن طريق التشكيل كما هو الحال في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ { سورة آل عمران:٨٥} حيث أصبحت هذه الآية (من يبتغ غير الإسلامَ ديناً فلن يقبل منه) فحولت حركة الميم من الكسر إلى الفتح، ولكن المسلمون منتبهون لهذا التحريف فقاموا بإتلاف هذه النسخ ...[٢].

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ١٣/١٤، والرازي، مفاتيح الغيب ١٦٠/١٩.

(٢) يُنظر: محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف،٤٣٤/٤.

فمناط الحفظ في هذه الآية من وجهة نظر أحد المفسرين المعاصرين: هو التكفل بالقرآن الكريم، وحمايته من قبل الله تعالى على النقيض مما دس في الكتب السماوية الأخرى، التي وكلت فيها مهمة الحفظ إلى الربانيين والأحبار، فيكون هذا الكتاب معجزة باقية ما بقي الدهر، فكلماته لم يتلاعب بها إلى يوم القيامة(١).

ومنهم من يرى بأنَّ الحفظ والصيانة والرعاية الإلهية إلى يوم القيامة وفي كل العصور والأزمنة فقال: " متكفل بحفظه إلى آخر الدهر على ما هو عليه، فتنقله الأمة وتحفظه، عصرا بعد عصر، إلى يوم القيامة، لقيام الحجة به على الجماعة من كل من لزمته دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم" (٢).

ومن خلال ما ذكر في أعلاه أنَّ المسلمين بمختلف أيدولوجياتهم المذهبية والعقائدية، أجمعت على صيانة القرآن الكريم من أي تحريف وتزييف وتلاعب في كلماته الكريمة، فقد مضى على القرآن الكريم أربعة عشر قرناً ولم يعتريه التحريف، وهذا يعد أكبر دليل على أنَّه معجزة من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ {سورة الكهف: ٣٧} أي لا تغيير في كلماته في الدنيا والآخرة (٣).

وهذه الأحتراس والحفظ والرعاية السماوية لو كانت من غير الله تعالى لكان فيه اختلاف فادحاً وواضحٌ دون أدنى تأمل وتبصّر ورويّة، وهذا ما صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ { سورة النساء:٨٢} فلم يبقَ مجالاً للقول بتحريف القرآن الكريم كما أشار إليه جولد تسيهر؛ لأنَّ الصيانة والرعاية والحماية والمحافظة من الله تعالى من التحريف والتبديل ومن أصدق من الله قولاً(٤).

---

(١) يُنظر: فتح الله الكاشاني، زبدة التفاسير ٥٠٩/٣.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠٥/٦.

(٣) يُنظر: أبن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم ١٣٧٤/٤.

(٤) يُنظر: الفخر الرازي، مصدر سابق ١٢٦/١٣.

ثانياً: إنتقاء الروايات الضعيفة والشاذة التي تدل على التحريف

منشأ إشكالية التحريف التي يعوّل عليها أعداء الدين هي بعض الروايات الضعيفة والشاذة، التي تدل على التحريف تصريحاً وتلميحاً، فلم تكن لهؤلاء بضاعة غير تلك الروايات التي تناسب أيديولوجياتهم الدينية التي يلجأون إليها في لمز هذا الدين وعماد ما يمكن الاستدلال به في تحريف القرآن الكريم، هو بعض الروايات الضعيفة والشاذة التي دونت في كتب الشيعة والسنة، فمن روايات الإمامية فقد ورد في تفسير العياشي: عن داود بن فرقد عن من أخبره عن أبي عبد الله(عليه السلام)قال : "لو قد قرئ القرآن كما أُنزل لألفيتنا فيه مسمين"(١).

وهذه الرواية لا تخلو من المناقشة من حيث أنَّها مخالفة للنصوص القرآنية الصريحة، كما قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ { سورة المائدة:٣} ، ومن المعلوم أنَّ كل رواية تخالف القرآن ينبغي أن تضرب عرض الجدار كما صرحت به روايات العصمة، روى الكليني عن صفوان الجمال عن الإمام الرضا (عليه السلام) : " فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ(عليه السلام) إِذَا كَانَتِ الرِّوَايَاتُ مُخَالِفَةً لِلْقُرْآنِ كَذَّبْتُهَا " (٢) فلا يبقى مجالاً من إنكار هذه الرواية وإثبات ضعفها.

أضف إلى ذلك أنَّ القرآن الكريم نزل لغرض الإفهام والتفسير، وهذا ما كان عليه دأب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث ورد ت كثير من الآيات مع تفسيرها في نص الآية وهذا يشهد له ما رواه ابن أبي حاتم في تفسيره: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ- فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ- (٣).

ولم يكن ذلك سوى تفسيرٍ للآية وهذا ما اشار إليه البلاغي(ت:١٣٥٢هـ) بالقول: وهذا يدل على ما ذكر فيه اسم أمير المؤمنين علي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذ المقام وغيره كثير ايضاً إنما هو تفسير وبيان للمراد من مفهوم الوحي، وليس هو من القرآن(٤).

ويبدو أن ما ذكره المفسر البلاغي هو عين الصواب؛ لأن ذكره التسمية من باب

---

(١) العياشي: تفسير العياشي ١٣/١.
(٢) الكليني: الكافي ٩٦/١، الشيخ الصدوق، التوحيد ص١١١.
(٣) أبن ابي حاتم، تفسير القرآن العظيم ١١٧٢/٤.
(٤) يُنظر: محمد جواد البلاغي، الآء الرحمن في تفسير القرآن ٧٠/١.

التفسير، فهو ليس من الوحي الإلهي، بل هو تفسيرٍ لبعض ما أبهم على الصحابة فهمه. وعلى الرغم من أن إجماع المسلمين اتفقوا على عدم تحريف القرآن الكريم ، ورفض الروايات التي تصرح وتلمح على ذلك في كتب الحديث عن الفريقين ، أو الحمل على أقل التقادير على التحريف المعنوي دون اللفظي، وغير ذلك من الردود المطولة على نحو التفصيل في الكتب المختلفة، نجد أن بعض المستشرقين امثال جولد تسيهر وما نسبه إلى الشيعة الإمامية الإقرار بالتحريف للقرآن الكريم فقال: " إنه وإن كان الشيعة قد رفضوا الرأي الذي ذهبت إليه طائفة متطرفة منهم، من أن القرآن المأثور لا يمكن الاعتراف به مصدراً للدين، بسبب الشك في صحته وبراءته من المآخذ، فإنهم قد تشككوا على وجه العموم منذ ظهورهم في صياغة صحة النص العثماني، وهم يدعون أنّ هذا النص العثماني بالنسبة إلى القرآن الصحيح الذي جاء به محمد(ﷺ) يشتمل على زيادات وتغييرات هامة" (١).

ثم ذكر نماذج من تلك الإضافات والزيادات حسب زعمه فقال:" وحديثاً وجدت في مكتبة بانكيبور (بالهند) نسخة من القرآن تشتمل على سورة النورين(٤١آية) ، وسورة أخرى شيعية (ذات سبع آيات) وهي سورة الولاية ، أي المولاة لعلي والأئمة، كما تشتمل على تفسيرات مذهبية كثيرة في بقية السور المشتركة" (٢).

ولعمري من أين جاءت هذه النسخة التي عثر عليها هذا المستشرق، التي تحمل سورة " النورين" و" والولاية" ؟ فلا نجد من نبس ببنت شفه بهما لا من المتقدمين ولا من المتأخرين من علماء الإمامية ، فما هاتان السورتان موجودتان إلا في مخيلة " جولد تسيهر" فقط ، إضافة إلى أنَّ هذه النسخة من القرآن فيها تفسيرات مذهبية حسب زعمه ، فأي عاقل يقر بأنَّ القرآن الكريم يحتوي على تفسير الآيات في نفس النسخ نفسها، ثم أنَّ الشيعة الأمامية كتبت المصنفات والكتب في صيانة القرآن من التحريف زيادة ونقصاناً .

---

(١) جولد تسيهر: مذاهب التفسير الإسلامي، ص٢٩٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٩٤.

ومن طريق السنة نجد بعض الروايات التي تدل على التحريف تلميحاً كما روى العسقلاني عَنْ زِرٍّ، قَالَ: "سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، قُلْتُ: يَا أَبَا المُنْذِرِ إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ أُبَيٌّ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي: فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" أشارة إلى أنَّ المعوذتين ليستا من القرآن الكريم [١]، ومن ذلك أخذ المستشرق مونتغمري وات أنَّ عبد الله بن مسعود لم يدون المعوذتين في مصحفه حيث يرى أنهما ليسا من القرآن الكريم [٢].

وهذه الرواية هي الأخرى لا يمكن الركون إليها؛ لأنَّ مسألة مخالفةِ شخصيَّة كبيرة كعبد الله بن مسعود لإدراج المعوذتين فهو كذب وافتراء عليه، وهذا ما قاله النووي : "أجمع المسلمون على أنَّ المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآنٌ، وأنَّ من جحد شيئاً منه كفر وما نُقل عن ابن مسعود في الفاتحة والمعوذتين باطل ليس بصحيحٍ عنه" [٣].

فابن مسعود كان من حفَظة القرآن المشهورين، وعدم كتابة المعوذتين وسورة الحمد في مصحف ابن مسعود لا يُعدُّ دليلاً على إنكاره؛ لأنَّ تدوين القرآن آنذاك كان خوفاً من نقصه أو الخشية من الزيادة فيه، وحيث كان (ابن مسعود) يرى أنّ هاتين السورتين من السوَر المشهورة وأنّها لن تُطوى بالنسيان، بل سوف تبقى في الأذهان، فلذا لم يدوّنها في مصحفه [٤].

فكيف كان فإنَّ هذه الروايات التي جاء هؤلاء المستشرقون، أمثال جولد تسيهر ما هي إلا روايات ساقطة من الاعتبار والوثاقة، وبعضها أخبار آحاد لا توجب علماً ولا عملاً، وقد ردها علماء المسلمين وأبانوا ضعفها وعدم حجيتها، ونظرة المسلمين تجاه مثل هذه الروايات متفقه ومنسجمة وأنَّ القرآن الكريم جازم المصدرية له تعالى، ومتلقيه محمد (ﷺ)ووسيطه جبريل (عليه السلام) لا يمكن أن تمتد له يد التحريف

---

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٧٤٢/٨.

(٢) نقلاً عن كتاب، رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ص٤٠٨.

(٣) النووي: مجموع شرح المهذب ٣٩٦/٣.

(٤) يُنظر: عمر بن ابراهيم رضوان، المصدر السابق ص ٤١٠.

والمخالطة والتغيير قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۞ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ {سورة فصلت:٤١-٤٢} .

وهذا ما أكده بالبينة السيد الطباطبائي(ت:١٤٠٢هـ) في تفسير هذه الآية الكريمة فقال: فذكر الله تعالى أنَّ القرآن كما ذكر لا يربط بالباطل بأي شكل من الأشكال، ولا يدخل فيه الآن ولا في مستقبل الزمان، لا بالبطلان، ولا بالنسخ، ولا بالتعديل أو التحريف، الأمر الذي يقتضي ذلك إزالة ذاكريته منه وكل هذا مستحيل. (١) .

ومثله ما قاله القمي(ت:٣٢٩هـ) في نفي التحريف عن هذا الكتاب ودرئاً للإشكاليات التي طرحت عليه فقال: " والذي يهون الخطب أنَّ التحريف اللازم على قولهم يسير جداً، مخصوص بآيات الولاية فهو غير مغير للأحكام ولا للمفهوم الجامع الذي هو روح القرآن، فهو ليس بتحريف في الحقيقة فلا ينال لغير الشيعة أن يشنع عليهم من هذه الجهة" (٢).

ومن هنا يظهر لنا: أنَّ كل ما ارتكزوا عليه من الروايات وغيرها من القضايا التي تتعلق بالقرآن الكريم، وتناولوها من أجل الطعن بهذا الكتاب العظيم، هدفه هو التشكيك في هذا الذكر الحكيم، بيد أنَّ الواقع يكذّب هذه التخرصات التي دونها المستشرقون وما حملوه من حفيظتهم تجاه هذا الدين القويم وشرعه المستقيم، فكل ذلك نتاج الروايات الشاذة والضعيفة في بطون الكتب الإسلامية.

---

(١) يُنظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ١٠٦/١٢.
(٢) القمي، تفسير القمي ٢٤/١.

ثالثاً: إجماع الأمة الإسلامية على نفي التحريف

يعد الإجماع من المصادر الشرعية بعد الكتاب والسنة المطهرة، وهو الدليل الثالث من الأدلة الشرعية التي تؤكد على نفي التحريف عن القرآن الكريم أيضاً، ويكون مدعاة في الرد على إشكالية التحريف، والمراد منه : "وهو اتفاق المجتهدين من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في عصر من العصور على حكم شرعي ما ، وهو حجة قطعية لا ظنية فيقدم على حديث الآحاد وينقطع عنده الشغب ولا يخص هذا هنا بمجتهدي أهل السنة والجماعة بل يدخل فيه مجتهدو غيرهم أيضا" (١) . وعند الإمامية يشترط فيه دخول المعصوم من ضمن المجتمعين، ولا عبره إلا في قول المعصوم (عليه السلام) (٢).

واستدل عليه من الكتاب والسنة فمن الكتاب هو قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ { سورة النساء:١١٥} ، قال القرطبي(ت:٦٧١هـ) وهذه الآية دليلة على صحة الإجماع وغيرها من الآيات (٣).

في حين أنَّ الإجماع منعقد على صيانة القرآن الكريم من التحريف وهذا ما تعتقده الإمامية وتؤمن به فضلاً عن جميع المسلمين قال السيد الخوئي في تفسيره "والمعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن، وأنَّ الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)" (٤).

---

(١) حسن السقاف: شرح العقيدة الطحاوية، ص١٨٣.

(٢) يُنظر: محمد جواد مغنية، الشيعة في القرآن، ص ٣٢٤.

(٣) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٨٦/٥.

(٤) الخوئي : البيان في تفسير القرآن ص٢٠٠.

فالإجماع منعقد بين المسلمين على صيانة القرآن الكريم من العبث والتلاعب، وهذا متسالم عليه عندهم، قال السيد الخوئي بعد ذكر جميع الأدلة ومناقشتها وردها: " المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن، وأنَّ الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم (ﷺ)، وقد صرح بذلك كثير من الاعلام. منهم رئيس المحدثين الصدوق محمد بن بابويه ، وقد عد القول بعدم التحريف من معتقدات الامامية " (١).

وبالمجمل: فإنَّ القرآن الكريم نفي عنه الباطل والتغيير وبجميع أقسامه وصوره وهذا ما دل عليه قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۞ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ {سورة فصلت:٤١-٤٢}.

وذهب السيد الطباطبائي(ت:١٤٠٢هـ) في تفسير هذه الآية الكريمة: " إنَّ القرآن أنزله الله على نبيه ووصفه في آيات كثيرة بأوصاف خاصة، لو كان تغيّر في شيء من هذه الأوصاف بزيادة أو نقيصة أو تغيير في لفظ أو ترتيب مؤثر، فقد أثار تلك الصفة قطعا لكنا نجد القرآن الذي بأيدينا واجداً لأثار تلك الصفات المعدودة على أتم ما يمكن وأحسن ما يكون، فلم يقع فيه تحريف يسلبه شيئاً من صفاته، فالذي بأيدينا منه هو القرآن المُنزّل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعينه" (٢).

ومن ذلك يتضح: إنَّ الإجماع منعقد على صيانة الكتاب الكريم من دنس العابثين، والزيادة النقصان فمجمع على بطلانها، عند المسلمين قاطبة، وبذلك ينبلج أنَّ الإجماع الإسلامي المتفق عليه أدى إلى وأد إشكالية التحريف التي يزعم البعض وجودها في القرآن الكريم، فهي مردودة ولا اعتبار لها على ما أجمعت عليه الأمة الإسلامية.

---

(١) الخوئي: البيان في تفسير القرآن، ص٢٠٠.

(٢) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ١٠٧/١٢.

رابعاً: التواتر في النقل

يضاف إلى ما تقدم فإن القرآن الكريم تكفّل الله تعالى بحفظه عن طريق التواتر، والمراد من التواتر: " الخبر الثابت على ألسنة قوم يمتنع تواطؤهم عن الكذب" (١) فقد حفظ الله كتابه الكريم ، وأبقاه محفوظاً من التحريف والتبدل ، ولذا أجمعت كلمة المسلمين على ذلك ، فهو معاهد بالحفظ جيلاً بعد جيل من زمن الصحابة إلى يومنا هذا ، وتتفق المصاحف على ذلك رغم أختلاف الأزمان والبلدان ، ثم واظبت الأنفس على حراسته ورعايته وبقائه خالداً إلى يوم يبعثون ، فيا ترى كيف يمكن لأهل البغي والزيغ والباطل التناوش النيل من هذا الكتاب الكريم؟.

وهكذا استدل الفيض الكاشاني(ت:١٠٩١هـ) في تنزيه القرآن الكريم من المعايب التي لصقت وتلصق به افتراء وكذباً فقال: ومن المعلوم أنَّ العلم بصحة نقل القرآن الكريم كالعلم بالبلدان والحوادث ، والوقائع العظام المشهورة ، وأشعار العرب المسطورة ، فالعناية الشديدة به والدوافع التي أدت إلى حراسته ورعايته – أي صحة نقل القرآن- التي وصلت إلى أقصى الحدود التي لم يصل إليها غيرها ؛ لأنَّه معجزة النبوة الخالدة ، وأساس العلوم الشرعية والأحكام الدينية ، وكان العلماء بلغوا في الحفظ والدراية به من إعراب وقراءه وغيرها ، فمع كل ذلك كيف يصل إليه التغيير والنقص بعد هذه العناية الشديدة والضبط؟ (٢).

ويبدو أنَّ العناية الإلهية في النقل مما لاشك فيه، فلو كان فيه ما يريبه لعلمه أصحاب الفن والصنعة وللغو فيه، ولكنهم لم يجدوا قيد أنمله في النبز بهذا الكتاب الكريم، ودستور الإسلام الباقي قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ { سورة البقرة :٢} وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ { سورة يونس:٣٧} وغيرها من الآيات.

---

(١) المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف ١١١/١.

(٢) يُنظر: التفسير الصافي ٥٣/١.

وقال الشعراوي(ت:١٤١٨هـ) في تفسير ذلك الكتاب: أي ذلك القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على سيد المرسلين محمد لا شك فيه أنه محفوظ في الصدور وفي السطور، ويبقى ذلك إلى يوم القيامة؛ لأنه جامع لأحكام السماء كلها منذ بداية الرسالات إلى يوم القيامة (١).

وعلى غرار ذلك ما ذكره الشيخ البلاغي في مواترة القرآن الكريم بين عموم المسلمين فقال" ومن أجل تواتر القرآن الكريم بين عامة المسلمين جيلاً بعد جيل استمرت مادته وصورته وقراءته المتداولة على نحو واحد، فلم يؤثر شيء على مادته وصورته " (٢).

فلم يبق من تقولات بعض هؤلاء المستشرقين في القول بتحريف القرآن الكريم، وعدم حفظه من الله تعالى، وبذلك تدحض شبهة التحريف بتواتر النقل منذ عهد الرسالة الخاتمة حتى اليوم، وهذا يعد من الدلائل ذات الشأن في تفنيد إشكالية التحريف التي تطال القرآن الكريم.

خامسا: إعجاز القرآن الكريم يفند ادعاء التحريف

من بين المؤيدات التي تدحض إشكاليات هؤلاء الطاعنين والمغرضين هي مسألة الإعجاز القرآني التي سرت وتسرى حتى يوم القيامة، والمراد من الإعجاز القرآني هو: " أي موضوع أشار إليه القرآن فإنه قد جاء فيه بما يعجز عنه البشر، وأصاب كنهه وحقيقته... فهو معجز فيه ولو بمعنى أنه أشار إلى أمور لم يكن يعرفها أحد من البشر في عهد نزول القرآن، وهو معجز في التشريع، وفيما تحدث به عن أمور الكون، وما قاله عن خلق الإنسان، وفيما أخبر عنه من أحداث أو في طريقته البيانية، وكذلك الحال في سائر الشؤون" (٣).

---

(١) يُنظر: الخواطر، ١١٠/١.

(٢) البلاغي: آلاء الرحمن في تفسير القرآن ٢٩/١.

(٣) جعفر مرتضى العاملي: مختصر مفيد ١٦٩/١٢.

وقد أفصحت قدرة القرآن الكريم في هذا العصر على بيان مكنونات هذا الكتاب، واعجازه لكل العصور والأزمان لا سيما ما يتعلق بعصرنا الحالي، وقد أشار إلى ذلك موريس بوكاي بالقول: فكيف أمكن لمحمد - ﷺ- أن يتناول في القرآن الكريم حقائق علمية صحيحة قبل أربعة عشر قرنًا لم يصل إليها الإنسان. ولم تكتشف هذه العلوم إلا في العصر الحديث؟ فلو لم يكن القرآن الكريم نزل من عند الله تعالى لشككنا فيه وفي صحة محتواه وصحة نسبته إلى الله تعالى (١).

وهذه الحقيقة التدريجية في إعطاء الحقائق العلمية، ومرادات القرآن الكريم لمواكبته العلم في كل عصر معجزة وتحدٍ لقدرة الله تعالى على خلق مناخ علمي متكامل ورصين من خلال بعض آياته الكريمة ولذلك نراه بت في مسألة حركة الأرض وزوجية النباتات وغيرهما من المسائل ، قال تعالى: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ {سورة النمل:٨٨} وهذه الآية الكريمة تثبت حركة الأرض في دلالة إبداع الله وصنعه في خلقه، فلم يهتدي العلم الحديث في إثبات حركة الأرض الا بعد أربعة عشر قرناً على نزول الوحي.

وقد أشار السيد الطباطبائي(ت:١٤٠٢هـ) في تفسيره إلى هذه الحقيقة العلمية ومكتشفاتها العصرية في إثبات حركة الأرض، وأنَّ جميع المخلوقات لها حركة جوهرية، وحملها على هذا المعنى هو أمر جيد في حد ذاته (٢).

فيما أفرد أحد المفسرين المعاصرين عنواناً عاماً بهذا الصدد في إثبات حركة الأرض، وجعلها من المعاجز العلمية في القرآن الكريم فقال: " ووفقا لحسابات علماء اليوم فإن سرعة حركة الأرض حول نفسها تقرب من (٣٠) كيلومتر في كل دقيقة ، وسرعة سيرها في حركتها الانتقالية حول الشمس أكثر من هذا المقدار" (٣).

---

(١) يُنظر: موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث ص٢٧٩.

(٢) يُنظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ٤٠٢/١٥.

(٣) مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٥٣/١٢. الزمخشري، الكشاف ١٦٢/٣.

وكذلك إثبات قانون الزوجية للنبات وتلقيحها بفعل الرياح هي الأخرى من مسائل ومكتشفات العلم الحديث التي ذكرها القرآن الكريم في آياته قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ {سورة الحجر:٢٢} ، فتلقيح النبات بواسطة الرياح هي مما ذكره القرآن الكريم وهذا ما عبر عنه الفخر الرازي(ت:٦٠٦هـ) في تفسيره لهذه الآية الكريمة: أرسل الله تعالى هذه الرياح ووصفها بأنها لاقحة للشجر والسحاب ، فهي تلقح تلك النباتات أثناء الانتقال ، كما هو الحال عندما تلقح الناقة من فحلها ، إذ يلقي ماءه فيها فتحمل ، فكذلك الرياح جارية مجرى الفحل للسحاب، وهذا القول ذهب إليه ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك (١).

ومثله ما ذكره الأستانبولي(ت:١١٢٧هـ) في تفسيره: " حال مقدرة جمع ريح لاقح إذا أتت بسحاب ماطر من لقحت الناقة تلقح حبلت والقحها الفحل إذا أحبلها وحملها الماء فكأن الريح حملت الماء وحملته السحاب فشبهت الريح التي تجيئ بالخير من إنشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك ، وقال ابو عبيدة لواقح بمعنى ملاقح جمع ملقحة؛ لأنها تلقح السحاب والأشجار بان تقويها وتنميها الى أن يخرج ثمرها" (٢).

فهذه الأمثلة وجه من وجوه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم التي ذكرها القرآن الكريم في آياته الكريمة، ولم يصل إليها العلماء إلا في الوقت الحاضر، ونحن اقتصرنا على هذا الجانب دون غيره، لأهميته في العصر الحالي لسببين هما:
أولاً: إبراز الوجه المشرق من القرآن للكريم عن طريق بعض آياته الشريفة المواكبة للعصر الحديث. وثانيهما: الرد على الإشكاليات التي تطال القرآن الكريم من قبل المستشرقين وغيرهم ونسفها وفق التصورات القرآنية لهذا العصر من إعجاز.

---

(١) يُنظر: الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب ١٣٤/١٩.

(٢) أبو الفداء الإستانبولي: تفسير روح البيان ٤٥٣/٤.

وهناك تصورات كثيرة ذكرها القرآن الكريم في كل مناحي الحياة الإنسانية، فهي وجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ومنها ما ذكره السيد الخوئي حيث قال: لقد أخبر القرآن الكريم في غير آية من آياته الكريمة كل ما يتعلق بالسنن الكونية والنواميس الطبيعية، وغيرها التي لا سبيل للعلم في الوصول إليها في عصر النزول، إلا من خلال الوحي الإلهي ... ، فكل ذلك بعيدة عن العلم ولكن نتيجة لتطور العلم وكثرة الاكتشافات العلمية برز دور القرآن الكريم في الإخبار بها [1].

وبعد سرد الأدلة الذاهبة إلى القول بالتحريف في القرآن الكريم يتجلى لنا، أنَّ العلاج القرآني القاضي برد مزاعم هؤلاء المستشرقين الذاهبة إلى الزيادة والنقصان في آياته الكريمة لا صحة لها، وما هي إلا تخرصات دخلت أوهام من أعمى الله بصره وبصيرته ، من حيث أنَّ الصيانة الإلهية من التحريف من خلال آياته الكريمة التي دلت وتدل على الحفظ والرعاية ، إضافة إلى رد مزاعمهم من خلال الروايات الضعيفة التي أتكأوا عليها رُدت جملة وتفصيلاً، عن طريق إجماع الأمة الإسلامية على اختلاف الوانهم والسنتهم ، في حين أنَّ الإعجاز القرآني الذي يعد من أهم الأدوات التي ردت مزاعم هؤلاء، وبالتالي تُنسف إشكالية التحريف من خلال تصدي القرآن الكريم لها.

---

(١) يُنظر: الخوئي، البيان في تفسير القرآن ص٧١.

المبحث الثالث: إشكالية التأثر بالكتب السماوية السابقة

المطلب الأول: بيان معنى الإشكالية ومصدرها

لم تفلح محاولات بعض المستشرقين من إدانة القرآن الكريم وزعزعة قدسيته في نفوس المسلمين، والنيل من مكانته السامية حتى وصل بهم الحال إلى إلصاق الافتراءات الواهية عليه ، فطرح أبراهام جيجر(١) إشكالية التأثير والتأثر في كتابه " ماذا أخذ محمد من اليهودية" والمراد من هذه الإشكالية هي إرجاع العناصر الرئيسية في الإسلام إلى الديانة اليهودية والنصرانية، وبعبارة أوضح هي مجموعة اقتباسات أخذت من الديانتين اليهودية والنصرانية عززت من حظوظ النبي (ﷺ) في تأليف القرآن الكريم (٢).

وهذه الإشكالية على حد زعم أبراهام تؤكد ارتباط محمد بالديانتين اليهودية والنصرانية أو غيرهما، من حيث أنَّ القرآن الكريم خليط من مجموعة عقائد منشأها اليهودية أو النصرانية، فتكون تلك الديانات هي مصادر للقرآن الكريم، وبذلك تثبت أنَّ الدين الإسلامي وشريعته الخالدة هي امتداد لتلك الديانات، واستعارة القرآن الكريم بعض العقائد اليهودية أو النصرانية وعدها من أصول الإسلام (٣).

وعمدة ما استدل به الطاعنون في القرآن الكريم منشأه التراث الإسلامي والروايات الضعيفة ،وعلى وجه الخصوص ما روي في كتابي البخاري ومسلم، الذي فتح الأفواه للطعن بقدسية القرآن الكريم، ومن ذلك ما رواه البخاري عن عروة بن الزبير عن عائشة والكلام طويل نقتطع منه موضع الشاهد قالت " ...فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بنَ نَوْفَلٍ وَهُوَ ابنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أبِيها وَكَانَ امْرَءًا تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتابَ العَرَبِيَّ وَيَكْتُبُ مِنَ الإنْجِيلِ بِالعَرَبِيَةِ مَا شَاءَ الله أنْ يَكْتُبَ فَقَالَتْ خَدِيجَةُ يَا عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابنِ أخِيكَ قَالَ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أخِي مَاذَا تَرَى فأخْبَرَهُ النبيُّ ﷺ خَبَرَ مَا رَأى فَقَالَ وَرَقَةُ هذا النّامُوسُ " (٤).

---

(١) جبجو أبراهام: هو حبر يهودي الماني، ولد في مدينة فرانكفورت سنة ١٨١٠م، تعلم اللغة العربية واليونانية عام ١٩٢٩م وأصدر مجلة علمية عن اللاهوت اليهودي، ومن أهم مؤلفاته ماذا أخذ محمد من اليهودية (يُنظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ٢٢٢).

(٢) يُنظر: جيجو أبراهام، ماذا أخذ محمد من اليهودية،٤٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) صحيح البخاري، ١٧٣/٦. صحيح مسلم، ١٣٩/١.

والحق أنَّ الأمر لم يكن كذلك فإنَّ بين المعتقدات الإسلامية وبين اليهودية والنصرانية بون شاسع، من حيث جهل كثير من المستشرقين ومن لف لفهم بحقائق الدين الاسلامي، أدت بهم إلى هذا الاستنتاج الخاطئ الذي ينم عن غلاظة أصحابها وحقدهم على الدين الإسلامي ودستوره الخالد، وهذا ما قاله أحد المعاصرين : ومن حيث أنَّهم يضعون الأهداف والنتائج المسبقة ثم يلتمسون لها أدلة توافق رؤاهم وتطلعاتهم الواهية من أجل الوصول إلى أهدافهم الخبيثة ، وهذا ديدن أغلب المستشرقين إلا ما ندر منهم، وهو ما حاولوا إسقاطه على الدين الإسلامي، وهذا ما نستشفه من خلال طرحهم إشكالية التأثير والتأثر بالديانات السابقة [١] .

ومن النماذج التطبيقية التي أعتمد عليها الطاعنون هي لفظ (الشهادة) المعروفة عند المسلمين وصيغتها " لا إله إلا الله" فهو مأخوذ من الديانة اليهودية فهي مستسقاة من عبارة يهودية حسب زعم ثيودور نولدكة [٢] ، وهذا القول يمكن مناقشته بأنَّ الدين الإسلامي حسب اعتقادنا هو أنَّ مصدر جميع الأديان السماوية واحد ، وكل الأنبياء (عليهم السلام) عيّال بعضهم على بعض وضيف على مائدة إلهية واحدة ، فلا غرابة أن يوجد في الإسلام منطبق في بعض الأحيان مع ما موجود في اليهودية أو في المسيحية ، وكذا الحال فإنَّ هناك ما هو موجود في المسيحية موجود في اليهودية فهل يمكن القول أنَّ المسيحية مقتبسة من الديانة اليهودية؟! [٣].

بالإضافة إلى ذلك نجد أنَّ القرآن الكريم تناول المصدرية الخاصة بالأديان، وارتباطها بالله تعالى قبل أن تمتد يد التزييف إلى تلك الشرائع، فالاختلاف يكمن في الشرائع لا في الأديان، وهذا ما أكد قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ { سورة آل عمران:١٨} فالدين واحد ولكن الشرائع متعددة .

---

(١) يُنظر: حسن علي الهاشمي، قراءة نقدية في تاريخ القرآن للمستشرق ثيودور نولدكة ، ص ٨٣.

(٢) يُنظر: نولدكة ، تاريخ القرآن،٧/١.

(٣) يُنظر: حسن علي الهاشمي، مصدر سابق، ص١٩٤.

وهناك نموذج آخر ذكره هير شفيلد [١] من مشابهة القرآن الكريم للتوراة في بعض المواطن كما في قوله تعالى :﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۞ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۞ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۞ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ { الرحمن: ٥-٩} مشابهاً ومقتبساً لما ذكر في العهد القديم" ٱلصَّانِعَ ٱلسَّمَاوَاتِ بِفَهْمٍ". "ٱلْبَاسِطَ ٱلْأَرْضَ عَلَى ٱلْمِيَاهِ" " ٱلصَّانِعَ أَنْوَارًا عَظِيمَةً". "ٱلشَّمْسَ لِحُكْمِ ٱلنَّهَارِ" "ٱلْقَمَرَ وَٱلْكَوَاكِبَ لِحُكْمِ ٱللَّيْلِ " { سفر المزامير:٥-٩} .

فالمتمعن بالنصوص القرآنية يجد أنها مغايرة لما هو مذكور في المزمور، فلا يوجد بينها أي تشابه، فالقرآن الكريم يتكلم عن الصفات المتعلقة بحركة الشمس والقمر بينما المزمور لا يذكر ذلك، والقرآن يؤكد أنَّ الأشجار والأعشاب تسجد لله تعالى، في حين أنَّ هذه الفكرة لا توجد، بل وغائبة في المزمور. فالمزمور يتحدث عن الحكمة من خلق السموات، ولكن القرآن الكريم يتحدث عن فعل الله تعالى في رفع السماء ... فأين وجه التشابه يا ترى فلم نجده إلا في مخيلة هذا المستشرق؟ [٢].

وهناك نماذج كثيرة يعتقد الطاعنون أنها مقتبسة من التوراة والإنجيل ، ولكنها ليست كذلك فشتان بين ما ينقيه القرآن الكريم من الفاظ في غاية الدقة والإمعان وبين ما ذكر من اضطراب متذبذب بين نصوص الكتاب المقدس بشقيه التوراة والإنجيل[٣].

---

(١) هرتشفيلد: عالم آثار الماني من أصل يهودي ولد في مدينة سيلي الألمانية ١٨٧٩م، وحصل على شهادة الدكتوراه عام ١٩٠٧م، تخصص بآثار إيران والعراق، عمل أستاذاً في برلين، ومن مؤلفاته: حفائر سامراء وغيرها، توفى ١٩٤٨ م (يُنظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ٦٠٥) .

(٢) يُنظر: عبد الرحمن بدوي، دفاع القرآن ضد منتقديه ٢٥.

(٣) صلاح الخالدي: هل القرآن مقتبس من كتب اليهود والنصارى، ص١٦٥وما بعدها.

المطلب الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية التأثر بالكتب السماوية

غالباً ما يكون القرآن الكريم في طليعة المتصدين لتلك الإشكاليات تصريحاً أو تلميحاً، لا سيما أنَّ السواد الأعظم من هذه الإشكاليات طرحت في زمن النص، فكانت الإجابة تتسم بالقطع الإلهي لها، خصوصاً تلك التي يزعم أصحابها ارتباط القرآن الكريم بالديانتين السابقتين، وبالمعنى الأعم تأثر القرآن الكريم بالديانات السابقة كما هو الحال في تخليطات نولدكة، ومن ذلك تتضح معالم المعالجة القرآنية كما يلي.

أولاً: اختلاف اللغة بين القرآن الكريم والكتاب المقدس

لا يخامر الإنسان أدنى شك أنَّ لغة الكتاب المقدس بشقيه التوراة والإنجيل، تختلف اختلافاً كبيراً في المسلك اللغوي عن القرآن الكريم، حيث أنَّ الأخير نزل بلغة العرب، وانها وسيلة التفاهم بين الناس كما أشار الله تعالى إلى ذلك فقال: ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ { سورة النحل: ١٠٣} وهذه الدلالة القرآنية تأتي في مقام الرد والمعالجة على الإشكاليات المطروحة فمناط لغة التوراة والإنجيل تختلف عن لغة القرآن الكريم كما هو مستشفى من الآية الكريمة، قال الطبرسي(ت:٥٤٨هـ) في تفسير هذه الآية : أي لغة الذي يرمون إليه تختلف عن العربية، وهي الأعجمية التي تنسب إلى العجم فلسان الذي يزعمون أنه يعلمك لا يفصح ولا ينطق بالعربية، لأنَّ العربية أعلى وأفضل وأجزل في الحفظ والبيان [١] .

وأن أعداء الاسلام يرددون هذه الإشكالية في عصر النبي (ﷺ) ورددوها من بعده، وهذا ما ذكره محمد جواد مغنية(ت:١٤٠٠هـ) في الرد على هذه الإشكالية بالقول: وما زال كثير من المبشرين والنصارى يرددون هذا الافتراء والإشكال جاهلين ومتجاهلين بأنَّ العلوم والفنون التي يحملها القرآن الكريم، لا يمكن في ذلك العهد آثر وعين وعلى فرض وجودها لا يمكن أن يجمعها شخص واحد ويعلمها إلى غيره، فلو علمها لصدحت شهرته شهرة أرسطو، فلا يكون ذلك إلا بوحي إلهي [٢].

---

(١) يُنظر: الطبرسي ، مصدر سابق، ٢٠٠/٦.

(٢) يُنظر: محمد جواد مغنية، مصدر سابق،٥٥٤/٤.

ورد الدكتور الأمير محفوظ إشكالية أقتباس القرآن من الكتب القديمة وأثبت عدم تماميها لاختلاف اللغة والفاصل الزمني بينهما فقال: كيف يتسنى التصديق باقتباس القرآن الكريم من العهد القديم مع أختلاف اللغة، فالقرآن الكريم عربي والتوراة عبرية أو سريانية أو لآتينية؟ مع الأخذ بالحسبان الفاصل الزمني وانقطاع الواسطة بين النبي محمد (ﷺ) وصاحب التوراة، بل وانقطاع الواسطة بين النبي وبين التوراة، وعلى فرض وجود الواسطة فلم يضر مجالسة النبي (ﷺ) مع غيره سواء عربي أو أعجمي ...[١].

ومن خلال ما تقدم: يتبين أنَّ الإختلاف في اللغة بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، من شأنه أن ينسف إشكالية التأثر بالكتب السماوية الأخرى، الذي يتبجح به بعض المستشرقين والمنصَّرين من أنَّ التشابه بينهما يقتضي اقتباس القرآن من الكتب السابقة عليه، ولكنهم جهلوا وحدة الهدف بين جميع الأنبياء كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ { سورة النساء:١٦٣} وقوله تعالى ايضاً: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ { سورة الزمر: ٦٥}، ومصدر الوحي واحد في كل الشرائع، فمن الممكن أن يكون هناك وجه تشابه بينها.

فوصف القرآن الكريم بالاستقامة وعدم العوج يؤيد ما ذكرناه أنفاً ويبعد عنه ترهات الاقتباس والتأثر، على فرض صحتها، وهذا ما أكده الذكر الحكيم في قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۜ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ { سورة الكهف:١-٢} فالقيمومة القرآنية تدل عدم تأثره بالكتب السابقة ومهيمناً عليها، فيكون شاهداً عليها ومصححاً لها [٢] .

---

(١) يُنظر: الأمير محفوظ ابو عيشة، دراسات استشرافية للقرآن الكريم ،١٦٩.

(٢) يُنظر: الطبرسي، تفسير جوامع الجامع،٤٠٢/٢.

ثانياً: انتقاد القرآن الكريم للكتب المقدسة

إنَّ القرآن الكريم انتقد الكتاب المقدس الذي يؤمن به أهل التوراة والإنجيل، وفصل في علاقتهم بنبيهم موسى (عليه السلام) ، كما أخبر بتحريفهم للكتب السماوية المنزّلة عليهم ، وهذا ما نبهت عليه آيات قرآنية متعددة كما في قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ {سورة البقرة:٧٩} وقال تعالى في حق اليهود وتحريفهم لكتابهم : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ { سورة النساء:٤٦} وغيرهما من الآيات التي تدل على تحريف اليهود لكتابهم وهذا ما قاله البيضاوي(ت:٦٨٥هـ) في تفسيره : ومن اليهود قوم يحرفون الكلام وما موجود في كتابهم التوراة ، ويميلون به عن مواضعهِ التي وضعها الله فيها بإزالته وإثبات غيره فيه من عند أنفسهم من أجل السلطة والوجاهة والنفع المادي لهم ، وهذا الافتراء على الله تعالى له عاقبة وخيمة وهي نار جهنم(١).

وعلى نفس المنوال ذهب الطنطاوي(ت:١٤٣١هـ) في تفسير الآية: إنَّ القرآن الكريم لم يظلم أحد بيد أن هناك من اليهود فريق لا يحرفون الكتاب وهم قلة قليلة، والله سبحانه وتعالى أنصفهم؛ لأنهم لم يرتكبوا الفعل الشنيع المسمى بالتحريف، وهذه عادة القرآن في مدح من يستحق المدح، وذم من يستحق الذم، في حين أنِّ السواد الأعظم منهم يحرفون الكلم ويغيرون ويبدلون بالزيادة والنقصان في قراءتهم للكتاب حتى يحسبه البعض هو من الكتاب وهو ليس كذلك، حتى يوهموا الجهلة بأنَّه من الله تعالى وينسبونه إلى الله كذباً وافتراءً (٢).

ولم يقتصر التحريف عند اليهود على الرصد القرآني في آياته الكريمة، وفي السنة الشريفة مثل ذلك فقد ذم اليهود لتحريفهم الكتاب وهذا ما جاء في عدة روايات منها: روى الطبري عن مجاهد في تفسير قوله : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ :

---

(١) يُنظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،٢/٧٧.

(٢) يُنظر: الطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٣/١٥٦-١٥٧.

تبديل اليهود لكتاب التوراة [١].

والقرآن الكريم فيه أمثلة كثيرة تؤكد على الانتقاد للكتاب المقدّس، فكيف يكون والحال هذا أن يكون متأثراً بالكتب السماوية كالتوراة والإنجيل؟ وما كان ذلك إلا حقداً من اليهود عليه، وهذا ما قاله المستشرق جيجر نفسه بالقول: ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن ننسب لمحمد (ﷺ) بالميل الخاص إلى اليهودية والمسيحية، بل أنَّ في حياته وما تركه من سنته تشريع للأجيال القادمة، وما ذكر في تأثره بالكتب السابقة جاء نتيجة لحقد اليهود واليهودية على حد سواء[٢].

ومن خلال ذلك يثبت جيجو تناقضه بنفسه من حيث ذكر في بادئ الأمر بأنه تأثر بالتوراة، وفي الوقت ذاته يعترف بأنِّ النبي (ﷺ) لم يؤثر ميل اليهود فيه، واي تناقض صارخ وقع فيه هذا المستشرق.

واستتماماً لما تقدم: فإنَّ القرآن الكريم كان ناقداً وناقماً وبشدة على بعض الافعال، كما هو حاصل في نفي عقيدة التثليث التي جاءت بها الأيادي العبثية، وهذا ما أشار إليه مترجم الكتاب الدكتور محمد يوسف موسى في الهامش: وقد شن القرآن الكريم حرباً على هذه العقائد الروايات التي اعتمدت على مبدأ التثليث والصلب وغيرهما فكيف تكون هذه عناصر للقرآن؟ [٣].

وبلحاظ ما ذكر تندحر إشكالية اقتباس القرآن الكريم من الشرائع السابقة، بدلالة النقد القرآني للكتاب المقدس – التوراة والإنجيل- فلم تبقَ تلك الإشكالية إلا في مظنة بعض المستشرقين الحاقدين على التشريعات الإسلامية؛ لمخالفتها ما جاء في كتبهم فكان القرآن منها بالضد ؛لتحريف اليهود والنصارى لكتبهم فضيق الله عليهم كما قال تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ { سورة النساء:١٦٠}.

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تفسير البيان، ١٦٥/٥.

(٢) يُنظر: جيجر، الإسلام واليهودية، ٤٥-٤٦.

(٣) يُنظر: جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام،٣٥-٣٦.

ثالثاً: الهيمنة القرآنية على الكتب السماوية

ليس بمقدور أحد أن ينكر أن القرآن الكريم نزّل خلفاً للكتب السماوية كالتوراة والإنجيل، ولكن الغاية من نزوله متأخراً لحكمة إلهية مردها إلى حفظه لثمار الكتب السابقة ومهيمناً عليها قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ { سورة المائدة: ٤٨} والمراد من الهيمنة في هذا المقام القرآني" هو منّ عليه بأن حُفِظ من التغيير والتبديل"(١) وقد ذكر أحد المفسرين المعاصرين أنَّ معنى الهيمنة على الكتب السماوية، بين الشهادة لها بالصدق وبيان بعض الأصول المحرفة فيها، وهذا ما قاله محمد جواد مغنية(ت:١٤٠٢هـ) في تفسيره: ومعنى الهيمنة القرآنية على التوراة والإنجيل؛ لأنَّه يشهد لهما بالحق والصدق من حيث مصدريتها ونسبتها إلى الله تعالى، وكذلك يخبر عن الأصول والأحكام المحرفة فيهما، للتمييز بين الأصيل من الدخيل الذي نسبه رؤساء الأديان إلى اللَّه كذباً وافتراءً (٢).

وإلى مثل هذا أشار قوله تعالى في تصديق الكتب السابقة قبل أن يعتريها التحريف والتزوير قال تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ { سورة آل عمران:٢} فالهيمنة والتصديق كلاهما صفتان للقرآن؛ لبيان أنَّ القرآن الكريم غايته حفظ الأصول في الكتب السماوية السابقة، فكيف يكون بعد ذلك القول باقتباسه منها مع هيمنته عليها؟.

والحقيقة القرآنية التي تؤدي إلى تبني القرآن الكريم المبادئ الأساسية، التي كانت منضوية في التوراة والإنجيل قبل التحريف، وهو ما أكده موريس بوكاي بقوله: وأما الوحي القرآني الذي نزل بعد ستة قرون من المسيح، احتفظ بالكثير مما جاء في التوراة والإنجيل، وفرض الإيمان بالكتب السماوية وبأنبيائها جميعاً حيث أبرز القرآن

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٦٤٠/١.

(٢) يُنظر: التفسيرالكاشف،٦٧/٣.

الكريم المكانة المهمة للأنبياء كنوح وموسى وعيسى (ﷺ) ، فمثلاً يبرز حياة عيسى ومولده كحدث معجز، وتكريم والدته أجمل تكريم حتى أنزل في حقها سورة كاملة أسماها سورة مريم [١].

ومجمل القول: إنَّ هيمنة القرآن الكريم على الكتب الإلهية السابقة عليه، ونسخ ما فيها فهو قائمٌ بشؤون تلك الكتب والتسلط عليها بطريق الحفظ والمراقبة وكل أنواع التصرف فيها، فهو تبيان لكل شيء كما ذكره الله تعالى، فيحفظ من الكتب ما كان ثابتاً في أصولها، وينسخ ما هو قابل للتغيير والتبديل في الفروع حسب حاجة الإنسان الى ذلك من أجل استكمال طريقه في التكامل والرقي[٢].

(١) يُنظر: موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم،١٤.

(٢) يُنظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن،٣٣٠/١١.

الفصل الثالث- الإشكاليات الاجتماعية المعاصرة وعلاجها في القرآن الكريم

المبحث الأول - إشكالية المساواة بين الرجل والمرأة وعلاجها في القرآن الكريم

المبحث الثاني - إشكالية ميراث المرأة وعلاجه في القرآن الكريم

المبحث الثالث - إشكالية الشذوذ الجنسي وعلاجه في القرآن الكريم

المبحث الرابع - إشكالية تعدد الزوجات وعلاجها في القرآن الكريم

المبحث الخامس - إشكالية حجاب المرأة المسلمة وعلاجه في القرآن الكريم

الفصل الثالث: الإشكاليات الاجتماعية المعاصرة وعلاجها في القرآن الكريم

توطئة:

تعد الإشكاليات الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع الإسلامي في كثرة كاثرة، فلا يكاد مفصل من مفاصل الحياة الاجتماعية إلا ولها كم كبير من تلك الإشكاليات، ولقد سعت القوى الغربية في إثارة مثل هذه الإشكاليات بهدف زعزعة المسلمين وتشكيكهم في دينهم، وتحطيم الوحدة الإسلامية وخلق الفراغ بين الثوابت القطعية كالكتاب الكريم والسنة المطهرة.

وجندوا المال والعقول من أجل ذلك؛ بهدف صد المد الإسلامي الذي غزا مثقفيهم وكبار رجالاتهم ففكروا في طرح الإشكاليات والاتهامات، بهدف تجديد الفكر وأنَّ الشريعة لا تساير الواقع العصري، فبينهما بون شاسع.

واخذوا على عاتقهم دراسة بعض التشريعات الإسلامية بهدف نقدها ،وإثبات عدم تماميتها ، إلى جانب تخلفها ، ومن أكثر تلك التشريعات التي جعل فيها ظلم للمرأة المسلمة هي عدم مساواتها مع الرجل ، فهذا إجحاف وظلم لها، وكذا الحال في ميراثها ، حيث أعطيت نصف ما يعطى للرجل، فضلاً عن إشكالية الشذوذ الجنسي في المجتمع الإسلامي بسبب الكبت الذي يعاني منه الرجل والمرأة ، ولم يقف الحال عندهم إلى هذا الحد ، بل إنَّ تعدد الزوجات من التشريعات التي انفردت بها هذه الشريعة، فهي ذات مضار كبيرة على المرأة نفسها وعلى أولادها ، وناهيك عن حجاب المرأة الذي يؤدي إلى تخلفها ورجعيتها ، فكل تلك التشريعات من وجهة نظرهم ، غير صالحة لمسايرة هذا العصر.

ونحن نحاول في هذا الفصل بيان تلك الإشكاليات الاجتماعية، وسبل علاجها على وفق الرؤية القرآنية.

المبحث الأول: إشكالية المساواة بين الرجل والمرأة وسبل علاجها

وهي من الإشكاليات المهمة التي استندوا عليها، وهذا ما سنتناوله في هذا المبحث:

المطلب الأول: إشكالية المساواة بين الرجل والمرأة

إنَّ الحياة الإنسانية بكل جوانبها لا يمكن أن تعرف طريق الاستقرار والثبات والدوام إلا من خلال بناء أسرة متماسكة، تنعم بالمودة الصادقة والتعايش فيما بين أبنائها، بعيدة عن التفتت والتشقق، ولكن في أغلب الأحيان تنحدر تلك العلاقة إلى التقاطع والنفور بين الزوجين فيصعب بعد ذلك وأد الصدع والرتق.

ومن هذا المنطلق ظهرت دعوات منادية بمساواة الرجل والمرأة في كل شيء الذي بدوره يعد ضرباً لمقتضيات الشريعة الإسلامية، ومن المسلمين من تأثر بذلك المبدأ وإن كان خلاف الأسس والمبتنيات التي أرتكز عليها الدين الإسلامي، وعزا بعضهم ذلك إلى أن الإسلام لا يمنع ذلك، وإنما العادات والتقاليد الاجتماعية هي التي تغلبت على الاعتقادات الدينية، ومن رواد هذا المبدأ محمد عبده[١] ومحمود شلتوت[٢] وغيرهم كثير.

ومن منظار بعض الغربيين الذين يرون أنَّ هناك مشابهة بين الحالة الإسلامية والغربية، وهذا ما ذكره المفكر الإنكليزي بيدهام برايان الذي يرى أنَّ الأوضاع الإسلامية في حدود القرن الخامس عشر الهجري، كانت مشابهة للأوضاع في أوربا ... وأنَّ العرب إذا أرادوا النهوض اليوم، ينبغي على المتحررين منهم التحرك من أجل الوصول إلى الحضارة الإنسانية السائدة، وعليهم القبول بفكرة المساواة بين الرجل والمرأة [٣].

---

(١) محمد عبده: هو محمد عبدة آل تركماني مفتي الديار المصرية نشأ في مدينة البحيرة عام١٨٤٩م وهو من دعاة تحرير الفكر من قيد التقليد عمل في التعليم ، وشارك في جريدة الوقائع المصرية، تولى القضاء توفى ١٩٠٥م(يُنظر: الزركلي، الأعلام،٢٥٢/٦).

(٢) محمود شلتوت: فقيه ومفسر مصري ولد في مدينة البحيرة، أكمل دراسته في الأزهر عام ١٩١٨م وعمل في التدريس، وكان يقول: بفكرة فتح باب الاجتهاد عين وكيلاً في كلية الشريعة في الأزهر توفى عام ١٩٥٨م (يُنظر: الزركلي، الأعلام،١٧٣/٧).

(٣) يُنظر: حسنين الصافي، الاتجاهات الإصلاحية في الفكر السياسي والإسلامي المعاصر، ص١٢٩.

ومن المعاصرين من تبنى هذه الرؤية ودعا إلى تحقيقها؛ لأنَّ الشريعة الإسلامية قد ساوت بين الرجل والمرأة، وتحذر من حرمانها حقوقها بسبب الجنس وغيره، فلا ترجيح ولا فضل للمرأة في كل الحالات، ورد جميع الأقوال الذاهبة إلى أفضلية الرجل على المرأة لاسيما في الشهادة والميراث وغيرها فقال: " هذا هو الإسلام يستوي فيه -بالنظر إلى عقيدته-وشريعته جميع بني الإنسان، وتطالب به جميع الأجناس والطوائف، دون النظر إلى ما بينهم من فروق شخصية، كذكورة وأنوثة، وبياض وسواد، أو فروق إجتماعية كرئاسة ومرؤوسيه وحاكمية ومحكومية ..." [١].

وقال في موضع آخر من كتابه:" وقد تضمّن هذا أنَّ الإسلام يرى أنَّ مسؤولية المرأة من الوجهة الدينية كمسؤولية الرجل سواء بسواء، يكلف بالعقيدة وتكلف هي بالعقيدة أيضاً، ويطالب بالعمل الصالح وتطالب هي بالعمل الصالح ..." [٢].

الظاهر من كلام الشيخ شلتوت أنه لا فضل للرجال على النساء، بل كلاهما بمستوى واحد، ورتبة واحدة، وهذا لا يقبله العقل والشرع، فقد ميز الله تعالى الرجال بمميزات بدنية كثيرة منها الجهاد والقضاء والرسالة والإمامة، وغيرهما كثير فكيف يمكن المساواة مع الرجل بعد كل هذه المزايا والفضائل؟ .

ولم تختلف نظرة عائشة عبد الرحمن عن غيرها ممن يرون المساواة بين الرجل والمرأة في كل شيء حتى في الطلاق، وهذا منعطف خطير جداً من حيث أن عصمة الطلاق لا تختزل في شخص الزوج، بل للمرأة النصيب فيها واستندت في إثبات رأيها إلى رواية رواها البخاري في قصة جويرية زوجة ثابت بن قيس، روي عن ابن عباس (رض) : أنَّ أمرأة ثابت بن قيس أتت النبي (ﷺ) فقالت: يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتب عليه من خلق ولا دين ، ولكني أكره الكفر في الإسلام فقال: أتردين عليه حديقته ، قالت: نعم، قال رسول الله (ﷺ) أقبل الحديقة وطلقها تطليقة " [٣].

---

(١) محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة، ص١٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) البخاري: صحيح البخاري، ٤٦/٧ح ٥٢٧٣.

ودلالة هذه الرواية على فرض صحتها، تضع عصمة الطلاق بيد الزوجة أيضاً ، وهنا تتساوى المرأة والرجل في كل شيء ، بل وأنَّ النبي (ﷺ) أجاز الطلاق للمرأة ، فلو لم يكن مشروعاً لنهى النبي (ﷺ) عنه ، ولما قال للمرأة مخيراً " أتردين عليه حديقته" ، فهنا اختارت الطلاق والانفصال عن زوجها .

ورد البعض على هذا المبدأ بتهمة المخالفة للتشريع الثابت في الإسلام، وهذا ما قاله الدكتور حسين كاظم عزيز " ولكن لا تخلو الأرض ممن يعتبر نفسه مجدداً أمام تغيير الثوابت من النصوص المقدسة، حتى يستدعيه الغلو النفسي بالقول بأنَّ لابد من المساواة بين الرجل والمرأة بادئاً بقوانين الأحوال الشخصية الثابتة والقطعية، فيرى ضرورة التغيير والتبدل فيها [1].

ويبدو أنَّ قول الدكتور حسين كاظم هو أقرب الأقوال إلى الصحة، بل وأنَّ التعامل مع الثوابت بهذا المنظار، يخالف الأسس الثابتة التي أرسى قواعدها الدين الإسلامي، لاسيما قوامة الرجل على المرأة الذي سوف نتكلم عنه في علاج هذه الإشكالية.

المطلب الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية المساواة بين الرجل والمرأة

أثارت الهجمة الفكرية التي يشنها أعداء الدين الإسلام في كل مكان عدة إشكاليات، وتأثر بها بعض المسلمين مع الأسف الشديد، حتى بدأوا يروجون لها وهي مسألة المساواة بين الرجل والمرأة، متهمين الدين الحنيف بأنه ظلم المرأة ولم ينصفها في قبال الرجل، والحق أنَّ الدين الإسلامي أنصف المرأة وكرمها أشرف تكريم، ولكن لم يجعلها بمستوى واحد مع الرجل في كل شيء وذلك من خلال:

أولاً: القوامة الزوجية

المراد بالقوامة الزوجية:" المحافظة على الزوجة والاهتمام بها وتدبير شؤونها ، فهو امتياز لها لا يجوز سلبه عنها بحجة حقوقها ، أي أنّه حقّ لها لا عليها "[2]. ، وقد بيّن الله هذه القوامة في كتابه الكريم في قوله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ { سورة النساء:٣٤}

(١) حسين كاظم عزيز: الإجتهاد الفقهي بين الأصالة والمعاصرة، ص٢٣٢.
(٢) حسن الجواهري: بحوث في الفقه المعاصر،٣٢٩/٦.

وهذه القوامة ودلالتها على أفضلية الرجال على النساء، وإن قيدت بالإنفاق وغيره إلا أنَّها عامة في كل شيء. قال الشيخ الطوسي في معنى هذه الآية الكريمة: أي القوامة بالتأديب والتدبير وغير ذلك؛ لأنَّ الله تعالى فضّل الرجال على النساء برجاحة عقولهم وحسن رأيهم، وقوامة الرجل تعني أن تقوم المرأة بطاعته، وتنفيذ أوامره، وعدم الترفع والتعالي عليه (١).

وذكر الطبرسي الوجوه التي بمقتضاها فضّل الله الرجال على النساء منها: العقل، والحزم، والجهاد والخطبة والأذان وعدد الأزواج والطلاق وغيرها من المميزات التي فضل الله بها جنس الرجال على النساء، فتعد هذه من العلل التي جعل الله القوامة عليهن، والتولية في أمورهن (٢).

قال دروزة في تفسيره: " وتمحيص مسألة قوامة الرجل على النساء وحدودها وتأديب الزوجة ومداه الخطاب في الآية موجّه إلى المسلمين. وقد تضمنت: تقرير حق القوامة والإشراف للرجال على النساء مع تعليل ذلك بأنه بسبب ما فضل اللَّه به الرجال على النساء من مزايا خاصة ثم بسبب ما ينفقونه من الأموال" (٣) .

ويبدو أنَّ قوام الرجال على النساء وجد لأسباب عقلية؛ لأنَّ رجاحة عقل الرجل تختلف عن النساء، فجنس الرجال مقدم على النساء لأسباب فسيولوجية في التركيب، فلو أنيط لها المساواة في القوامة، فذلك يعد إجحافاً في حق الرجل لما له من أفضلية سردها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ { سورة البقرة:٢٢٨}. أي: بالطاعة والطلاق وزيادة الميراث وغير ذلك(٣).

ثانياً: المعطيات الفسيولوجية للرجل

ومن المميزات التي يتميز بها الجنس الذكري على الجنس الأنثوي، هي الحقائق الفسيولوجية للرجل، والمراد بها الوظائف والخصائص البنيوية للرجل من حيث قدرته على التحمل وقوته في مواجهة المصاعب، كما هو الحال في جهاد الأعداء فقد صوّر القرآن الكريم ذلك بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ

(١) يُنظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن،١٨٨/٣.
(٢) يُنظر: الطبرسي، جوامع الجامع،٣٩٥/١.
(٣) يُنظر: الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٢٣٧/٢.

بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ { سورة الأنفال:٦٠} وهذا المناط يجعل الرجل مختلفاً عن المرأة في المعطيات الجسمانية وقوته على التحمل ، ومواجهة أحلك الظروف والتغلب عليها ، فالجهاد ومقاتلة الأعداء والتغلب عليهم يستلزم وجود عنصر القوة البدنية ، وهذا هو المتحقق من تفضيل الرجال على النساء، وهذا ما أشار إليه محمد جواد مغنية(ت:١٤٠٠هـ): " والمراد بالقوة كل ما يتقوى به على العدو رمحا ًكان، أو صاروخاً ، أو أي شيء وخص سبحانه الخيل بالذكر؛ لأنها كانت من أعظم مظاهر القوة آنذاك" (١).

ويرى احد المعاصرين أنَّ المرأة اتصفت بصفات الرقة والحنان والنعومة كما قال أحمد الحوثي في مقالته : "ومن الخصائص ـ الرقّة والعطف والحنان ، وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة بغير وعي ولا سابق التفكير؛ لأنَّ الضرورات الإنسانية العميقة كلّها والمُلِحّة أحياناً ـ حتّى في الفرد الواحد ـ قد لا تَتَركُ لأَرجَحة الوعي والتفكير وبطئه مجالا ً، بل فرضت الاستجابة لها غير إراديّة ، لتَسهُل تلبيتها فورا ًوفيما يشبه أنْ تكون قسراً، ولكنّه قسرٌ داخلي غير مفروض من خارج النفس ، ويكون لذيذاً ومستحبّاً في مُعظم الأحيان ؛ لتكون الاستجابة سريعةً من جهة ومريحةً من جهةٍ أُخرى ، مهما يكن فيها من المشقّة والتضحية" (٢).

وعلل البلاغي في تفسيره أفضلية الرجل على المرأة في البنية التركيبية الفسيولوجية، وناموس الخلقة والفطرة والشريعة، فليس كل الرجال قوامون على النساء، بل الغالب بحسب النوع ، وعزز ذلك باستدلال علمي يثبت أفضلية الرجل على المرأة فقال: " والغالب من قوة المدارك وكمال الخلقة والأخلاق كما لا يخفى ذلك كله، حتى أنَّ المشرحين متفقون بحسب ما وجدوه بالتتبع على أنَّ دماغ الرجل وقلبه أكبر من دماغ المرأة، وقلبها في جميع الأدوار للقلب والدماغ وقد اقتضت حكمة الاجتماع والاشتباك... أن يخلق هذان الصنفان من الإنسان على هذا الناموس" (٣).

---

(١) محمد جواد مغنية : التفسير الكاشف، ٥٠٠/٣.

(٢) أحمد الحوثي، مقال بعنوان" هل فضل الله الرجال على النساء حيث قال: وللرجال عليهن درجة، مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث، التاريخ، ٢٠٢٢/١٠/٢٩، الساعة:١١ صباحاً.

(٣) محمد جواد البلاغي: آلاء الرحمن في تفسير القرآن،١٠٤/٢.

ومن خلال ما تقدّم: نجد أنَّ التفضيل للرجال على النساء يكمن في القوة البدنية التي يمتلكها الرجل، على النقيض من الأنثى فأنها تتميز بالعاطفة وعدم القدرة على التحمل؛ لأنَّ المرأة بطبيعتها جبلت على ذلك، وهذا ما أكده هاشم البحراني بروايته عن عبد الله بن عباس عن النبي (ﷺ) " المرأة ريحانة وليست بقهرمانة" [١]. وهذا يؤكد ضعفها في قبال قوة الرجل في الشدة والصلابة والغلظة والخشونة والقدرة على التحمل، وهذه المزية وجدت في الرجل، وتترتب عليها آثار كبيرة وعظيمة كالدفاع والحفظ والأعمال الشاقة وتحمل الشدائد والمحن والثبات والسكينة، وغيرها من مشاق الحياة فلا يقوم بهذه المهمة إلا الرجل [٢].

ثالثاً: التفضيل التكويني للرجل

عند التمعن والتدبر في النصوص القرآنية نصل إلى حقيقة واقعية، وهي أنَّ السر في تفضيل الرجال على النساء هو المفاضلة التكوينية، والمراد بها هي ما ذكره الله تعالى من أسس تفاضلية تميز الرجل على المرأة، فلم يهمل الله ذلك الجانب ولذلك نجد أنَّ الله تعالى أكد هذه الحقيقة بقوله تعالى:﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ { سورة البقرة:٢٢٨} ، وهذه السمة التي بمقتضاها أعطى الله للرجل هي الزيادة في الحق ، وافضلية الرجال عليهن تكمن في القيام بشؤونهن ورعايتهن [٣].

واختلف المفسرون في هذه الدرجة التي بموجبها فضل الله الرجل على المرأة:
فقال الحويزي: إنَّ الدرجة التي فضّل الله بها الرجل على المرأة هي عدة الطلاق [٤].
وقال الثعالبي: فضّله بالميراث، وقيل: بالجهاد، وقيل: بالطاعة وغير ذلك من الأقوال المختلفة [٥].

---

(١) هاشم البحراني: البرهان في تفسير القرآن،٢٥٥/٣.
(٢) يُنظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن،٢١٦/٤.
(٣) يُنظر: الطبرسي، جوامع الجامع ،٢١٤/١.
(٤) يُنظر: الحويزي، نور الثقلين ،٢٣١/٢٣٠/١.
(٥) يُنظر: الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ٢٣٠/١-٢٣١.

ولكن الشيخ مكارم الشيرازي: فند هذه الأقوال الذاهبة التي تقيدها بعدة الطلاق، والميراث وغيرها؛ لأنَّ ذلك لا يتلاءم مع ظاهر الآية الكريمة، من حيث أنها ذكرت قانوناً كلياً يتعلق بحقوق المرأة، ووجوب العدالة معها كما أكده قوله تعالى:﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ، فلا يمكن بعد ذلك تقييد ذلك بعدة الطلاق (١).

ويبدو أنَّ ما ذكره الحويزي وغيره من القول بتفضيل الرجال على النساء بعدة الطلاق هو الراجح؛ لأنَّ سياق الآية الكريمة تتحدث عن المطلقات، ووضع الله تعالى قيد الرجوع عند إرادة الإصلاح بيد الزوج، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ ، وهذه الخصيصة للرجل على الزوجة في عدة الطلاق هي المراد من التفضيل بالدرجة .

والمتحصل مما تقدم: إنَّ التفضيل هو نتاج علم الله في خلقه للإنسان، وانه لا يمكن المساواة بين الرجل والمرأة، لدواعٍ شرعية تتعلق بالقوامة الإلهية المعطاة للرجل المتمثلة برجاحة عقله وحسن تدبيره، إضافة إلى التركيب الفسيولوجي للرجل في أداء المهام الموكلة إليه كالجهاد وغيره ، فكل ذلك يحتاج إلى قوة بدنية وقدرة على التحمل ، وهذا الجانب يرفع من شأنية الرجل على المرأة ، وبذلك فإن المساواة بينهما في كل شيء إجحاف في حق الرجل كما قال تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ {سورة آل عمران:٣٦} أي لا يمكن المساواة بين الولد والأنثى؛ لأنَّ الأولاد لهم الحق في مداراة المعابد والدخول إليها على عكس النساء التي تحيض (٢) .

(١) يُنظر: مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،١٤٥/٢.

(٢) يُنظر: البسيلي، التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد،٥١٩/١.

المبحث الثاني: إشكالية ميراث المرأة المسلمة وسبل علاجه في القرآن الكريم

خضع موضوع ميراث المرأة في العصر الحالي إلى مناكفات حادة وكبيرة، فكان للغرب تصوّر خاطئ حول حقوق المرأة في التشريع الإسلامي، بل إنهم زعموا من خلال قراءاتهم الناقصة إلى أنَّ ميراث المرأة إلى النصف هو إجحاف بحقها، فلم ينصفها، وقد كان لهذه الإشكالية التي وصلت إلى أقصى غاياتها من التعقيد والالتباس ، وفي هذا المبحث نحاول بيان هذه الإشكالية وسبل علاجها.

المطلب الأول: بيان إشكالية ميراث المرأة المسلمة في الإسلام

يعد نظام المواريث في الإسلام من أفضل التشريعات التي أنصفت المرأة، وأبرزت حقوقها ووظائفها كأم وزوجة وبنت ، لكن البعض رسم صورة سوداوية تجاه هذا التشريع، وعدّه غبناً لحق المرأة واستندوا في ذلك الادعاء المزعوم إلى الفهم الخاطئ في تفسير قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ { سورة النساء:١١} ، فهي تأخذ النصف مما يأخذه الذكر، مما جعل البعض هذا الحكم من المستهجنات ، بل إنه لا يناسب مقتضيات العصر الحالي ، ورب سائل يسأل إنَّ إعطاء الرجل ضعف المرأة أمر فيه محاباة لجنس على حساب الجنس الآخر؟.

وقد أجاب محمد هادي معرفة على ذلك: فليس في الإسلام وتشريعاته أي وجه من وجوه المحاباة ، وإنما فيه توازن وعدالة بين الأعباء الملقاة على الرجل والأعباء الملقاة على الأنثى مختصة بالتكوين العائلي، وفي النظام الاجتماعي الإسلامي، فإنَّ الرجل مكلّف بإعالة المرأة وأبنائها، وهي معافاة من ذلك كله، فالرجل مكلف بضعف الأعباء الملقاة على كاهله في النظام العائلي في المجتمع الإسلامي ، وهذا التوزيع الحكيم في غاية الدقة ، ومخطط له وفق الحكمة الإلهية ... ويبدو أنَّ النقاش في ذلك هو سوء أدب مع الله تعالى أولاً، وثانياً : يقصد منه زعزعة النظام الاجتماعي الأسري[1].

---

(١) يُنظر: معرفة، شبهات وردود حول القرآن، ص١٢٥.

في حين أنَّ من يحسب على الإسلام له نظرة تضاهي نظرة الغرب، وانّ هذا الحكم ينبغي فيه الموازنة فيه بين الرجل والأنثى، وهذا ما ذهب إليه محمود شلتوت بالقول: إنّ الرجل والمرأة يشتركان كلاهما في الإنسانية ، ولكن هناك من يرى أنَّ إنسانية المرأة أقل من إنسانية الرجل، وهذا ما نستشفه من ميراثها إلى النصف من ميراث الرجل قال تعالى: ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ {سورة النساء: ١١} وهذا الحكم مبني على طبيعة المرأة في الحياة العاملة وذلك ؛لأن الرجل ينفق عليها وعلى أسرتها ، واعطيت المهر أيضاً ... وفي ظل هذا الأساس نرى الموازنة بين نصيب الرجل والمرأة [١].

ويبدو أنَّ الشيخ شلتوت من دعاة الأحكام الوقتية، فإنَّ ميراث المرأة بالنصف من ميراث الرجل يناسب عصر النزول فقط دون غيره، أمّا الآن فهذا الحكم بالضرورة لا يناسب الطبيعة العصرية القاضية بإنصاف المرأة ومساواتها في الميراث، فطبيعة العصر حاكمة في بعض الأحيان على بعض الأحكام لا سيما ما يتعلق بالمواريث، فأنه نسى أو تناسى أنَّ الأحكام الإلهية أبدية وسارية حتى يوم القيامة، ويشهد لذلك ما رواه الحر العاملي عن زرارة قال :" سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الحلال والحرام ؟ فقال : حلال محمد حلال إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام إلى يوم القيامة ، لا يكون غيره ولا يجئ غيره " [٢].

وهذه الرواية على إيجازها أوضحت الفرق بين الحلال والحرام في الشريعة الإسلامية، فالحلال يبقى حلالاً إلى يوم القيامة، والحرام أيضاً، ولا يمكن أن تتبدل الأحكام التشريعية وفق المعطيات العصرية؛ لأنَّ ذلك يفتح الأفواه بالطعن بقدسية القرآن وعالميته، فلا يمكن تغيير الحكم بالمساواة بين الرجل والمرأة في ذلك قال عباس القمي: إنَّ القوانين الدينية والأحكام الثابتة غير قابلة للمساومة والتبدل والتغير طبقاً لمعطيات العصر[٣] .

---

(١) يُنظر: محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة وشريعة،ص٢٣٨.

(٢) الحر العاملي: الفصول المهمة في أصول الأئمة،٦٤٣/١.

(٣) يُنظر: عباس القمي، منازل الآخرة والمطالب الفاخرة، ص٩٦.

المطلب الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية ميراث المرأة

إنّ الدين الإسلامي عندما جعل الميراث بالشكل المذكور في القرآن الكريم، لم يكن عبثاً وإنما لحكمة إلهية تقتضي هذا التقسيم، على وفق مسوغات غاية في الدقة، فكانت المعالجة القرآنية لهذه الإشكالية تتسم بالموضوعية، فليس فيه إجحاف وعدم عدالة، كما يصوره البعض وهذا ما نبينه بالنقاط الآتية:

أولاً: المرأة تساوي الرجل في بعض الحالات

من البديهي أنَّ ما ذكر من إشكال يتعلق بالميراث يمكن أن يدحض، وذلك أنَّ القرآن الكريم في تشريعاته لم يظلم الأنثى كما يتصورون، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾ {سورة النساء:١٢} وهذه الآية تفند المزاعم الداعية إلى ظلم الإسلام للمرأة ، حيث ساوى التشريع الإلهي بين الرجل والمرأة في الميراث، وجعل لكل واحد منهما السدس [١]. وهذا الحكم ينصف المرأة ويساويها مع أخيها الرجل فأين الإجحاف والظلم الذي يصوّره هؤلاء المستشكلون؟.

والمراد من الكلالة في الآية الكريمة : هي القرابة ويطلق على الوارث والموروث؛ لأنَّ كل واحد منهما ينتسب إلى الآخر[٢] ، فهي تختص بقرابة الأم بلا خلاف في ذلك كما ذهب إليه الشيخ الطوسي [٣] ، وهذه المساواة بين الرجل والمرأة وفي المنظور الإلهي بنص قطعي الدلالة ، يدفع الإشكال الذي يذهب إليه هؤلاء، وقد بينت الروايات سهم الأخوة من الأم أيضاً، روى البحراني في تفسيره عن بكير بن أعين عن الإمام الصادق (عليه السلام) : عن أمرأة تركت زوجها وأخوتها لأمها واخوتها لأبيها فقال: " للزوج النصف ثلاثة أسهم ، وللأخوة من الأم الثلث الذكر والأنثى فيه سواء ، وبقي سهم الأخوة والأخوات للذكر مثل حظ الأنثيين " [٤].

---

(١) يُنظر: القمي ، تفسير القمي،١٣٣/١.
(٢) يُنظر: المقداد السيوري، كنز العرفان في فقه القرآن، ٣٣٢/٢.
(٣) يُنظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن،١٣٤/٣.
(٤) البحراني ، البرهان في تفسير القرآن،٤٠/٢.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أيضاً تساوي الأبوين في بعض الحالات، فجعل لأبويه ميراث السدس لكل منهما على اختلاف جنسيهما من ميراث الأبن المتوفى، وهذا ما أكده قوله تعالى : ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ { سورة النساء:١١} ، فبين الله تساوي الأب والأم في تركة ولدهم من ميراثه ، فيأخذ أبوا الميت كل واحد منهما السدس، مما تركه الولد المتوفى، سواءً كان ذكراً أو أنثى (١).

والمتأمل بالتشريعات الإسلامية وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بالمواريث، فيجد أنها لم تظلم المرأة قط، بل أنصفتها غاية الإنصاف، ولذا نجدها في بعض المواطن يساويها مع الرجل، فكيف والحال هذه أن يُنسب إلى الإسلام ظلم المرأة؟ وهذا ما ذكره غوستاف لوبون : " ومبادئ المواريث التي نص عليها القرآن على جانب عظيم من العدل والانصاف . . . والشريعة الاسلامية التي منحت الزوجات اللواتي يزعمن أن المسلمين لا يعاشروهن – إلا بالمعروف - حقاً في المواريث لا نجد مثلها في قوانيننا " (٢) .

ثانياً: إقرار الإسلام الصداق للمرأة عوضاً لها عن الميراث

من المعالجات المنطقية التي قام بها الإسلام هي إعطاء الصداق عوضاًللميراث في قبال الرجل، والمقصود من الصداق: " وهو ما يدفعه الزوج إلى زوجته بعقد الزواج" (٣) وقد ذكر الله تعالى في كتابه الصداق في كثير من آياته الكريمة منها قوله تعالى:﴿ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ { سورة النساء:٢٥} ، وهذا المهر أو الصداق يكون قيمة تعويضية لما أخذ منها في الميراث ، وقد ذكر المفسر مير علي الطهراني السبب في جعل المرأة على النصف من الرجل في آية

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٦/٧.

(٢) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص٤١٧.

(٣) سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي، ص٣٤١.

الميراث قال: وفي الغالب تتساوى المرأة مع الرجل في المال حتى، وإن أخذت نصف حصة الرجل في الميراث فمثلاً: إذا أخذ الرجل ألف درهم والمرأة خمسمائة درهم، فعند الزواج تأخذ الصداق خمسمائة درهم، فتتساوى والحال هذه مع الرجل [1].

وتكاثرت الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام) الدالة على تعويض المرأة ما فقدته في الميراث، بالصداق الذي يعطى لها، روى المقداد السيوري عن عبد الله بن سنان قال سألت الإمام الصادق (عليه السلام): لمَ صار للذكر مثل حظ الأنثيين؟ فقال: "لما جعل لها من الصداق [2].

وهذه الروايات تعطي دلالة واضحة بأن السبب الرئيس لإعطاء الأنثى نصف قيمة الرجل في المواريث، لما جعل الله لها من الصداق كقيمة تعويضية، حتى تصل مستوى ميراث الرجل، أضف إلى ذلك فهي معافاة من الإنفاق ما دامت في كنف الرجل، وعليه نفقتها وأعالتها فكان النصف منطقياً لها.

وبالمجمل: فإنَّ الله تعالى في تشريعاته لم يظلم المرأة المسلمة كما توهم البعض، بل جعلها مساوية للرجل؛ وذلك لأنَّه جعل المهر تعويضاً لها لفقدانها القيمة النصفية الموازية للرجل، وهذا ما أشارت إليه الروايات الشريفة، فجاء العلاج منسجماً ومتوافقاً مع طبيعة الإشكالية بالصيغة التعويضية، لإزالة النظرة الضبابية التي كانت مغشاة عن أعين غير المنصفين، الذين يرون في تشريعات الإسلام النقص وعدم العدالة كالأحكام المتعلقة بالمواريث، فجُعِل المهر استحقاقاً طبيعياً للمرأة بسبب فقدانها النصف من قيمة الميراث.

---

(١) يُنظر: مير علي الطهراني، مقتنيات الدرر، ٣٠١/١.

(٢) المقداد السيوري: كنز العرفان في فقه القرآن، ٣٩٥/٢.الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة،٣٠٦/٥.

ثالثاً: مكافحة العادة الجاهلية القاضية بحرمان المرأة من الميراث

من السمات الأساسية التي يحاول القرآن الكريم تحقيقها، هي القضاء على بعض العادات الجاهلية التي كانت متفشية في المجتمع الإسلامي ، فكانت الرؤية القرآنية إزالة تلك العادات ، وحيث أنَّ المرأة في الجاهلية لا تورث إطلاقاً، وإنّما تقتصر الوراثة عندهم على من يحمل السلاح من الرجال دون غيرهم ، وقد أشار إلى هذه الحقيقة الماتريدي (ت:٣٣٣هـ)في تفسيره بالقول: والسبب الذي جعل المرأة في النصف من ميراث الرجل، هو لأجل القضاء على العادة الجاهلية القاضية بعدم توريث النساء والأطفال من ميراث المتوفى ، فيجوزون ذلك للرجال دون النساء وهذا ما أكده قوله تعالى : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ {سورة النساء:٧} ، وهذه الآية جاءت في مقام بيان حق المرأة في الميراث [١].

ومثله ما ذكره ناصر مكارم الشيرازي بالقول: وهذا النوع من الوراثة، هدفها وغايتها هي مكافحة العادة المستشرية في الجاهلية، حيث أنهم يقضون بحرمان النساء من الميراث بشكل كامل [٢].

ويبدو أنَّ التشريع الإسلامي تدرج في علاج هذه الإشكالية المتعلقة بوراثة المرأة، ابتداءاً من عدم توريثها مطلقاً إلى إنصافها وإعطائها النصف في تركة المتوفى، وصولاً إلى مساواتها في الأمور مع الرجل وغير ذلك، غايتها محو عادة عدم التوريث لها، ولكن أعداء الإسلام يحاولون أن يجعلوا منها سلعة رخيصة لجعلها حبلاً للإيقاع بضعاف النفوس كما قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ {سورة النساء: ٢٧} . أي اليهود والنصارى فغايتهم الميل عن أمر الله تعالى في أتيانكم ما حرمه الله تعالى عليكم فعله [٣].

---

(١) يُنظر: تأويلات أهل السنّة، ٣٧/٣.

(٢) يُنظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل،١٢٥/٣.

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن،٢١٢/٨.

وبملاحظة بعض الروايات الشريفة نجد أنها تشير إلى أن هذا النصف من التوريث، جاء لإزالة حكم عدم توريث المرأة في الجاهلية، حيث كانت العادة عندهم بأن لا تورث المرأة، وهذا امتهان وحط من كرامتها وسلب لحقوقها المشروعة، روى الطبري عن السدي في تفسير قوله تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثلُ حظ الأنثيين﴾ ، كان أهل الجاهلية لا يورِّثون الجواريَ ولا الصغارَ من الغلمان، لا يرث الرجل من ولده إلا من أطاق القتال" (١).

ومثله ما ذكره الطوسي(ت:٤٦٠هـ) في تفسيره عن ابن عباس (ﷺ) قال : كان أهل الجاهلية لا يورثون المولود حتى يكبر، ولا يورثون المرأة ، فأنزل الله آية الميراث أول السورة " (٢).

وبلحاظ ما ورد في هذه الروايات وغيرها نجد عدداً من المعطيات:

أولاً: إنَّ الجاهلية كانوا لا يورّثون النساء كرها، وهذا وجه من وجوه حرمان المرأة من ابسط حقوقها في التوريث.

ثانياً: جاء الإسلام لاقتلاع هذه العادة من جذورها، فأرجع للمرأة كرامتها وحقوقها المسلوبة، فأنصفها فجعلها المحور والمقياس في عملية التوريث، وهذا ما نستقيه من القرآن الكريم والسنّة المطهرة، قال متولي الشعراوي : إنَّ الدين الإسلامي حين يعطي المرأة نصف ما يُعطى للرجل ؛ لأنَّ المرأة جعلها هي المقياس، فلم يقول: تعطى المرأة النصف من الرجل، بل قال: أعطوا الرجل ضعف ما يعطى للمرأة ، فجعلها هي المقياس الذي يدور عليه الأمر (٣) .

ثالثا: استعمل القرآن الكريم والسنّة الشريفة أسلوب التدرج في إلغاء هذه العادة، لكي يهيء الأرضية المناسبة لتقبل الحكم الجديد في بيان أحقية الزوجة في الميراث.

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن،٣١/٧.

(٢) التبيان في تفسير القرآن،٣٤٤/٣.

(٣) يُنظر: محمد متولي الشعراوي قضايا العصر، ص٦٨.

ومن خلال ما تقدم: إنَّ العلاج القرآني والروائي لهذه الإشكالية المتعلقة بميراث المرأة المسلمة، كان علاجاً شافياً ووافياً وكافياً، وفق قواعد شرعية معينة احترم فيها المرأة وأنصفها، وصانها من كل ما يشينها ويظلمها في ميراثها، بل وضعها في مكان لائق بها، بعدما كانت في المجتمع الجاهلي لا يقام لها وزن فيعدونها أداة للإمتاع وقضاء الوطر منها، فلا كرامة ولا حق لها. فجاء الإسلام فجعلها في قبال الرجل في حالات خاصة بالميراث كما هو الحال في مساواتها مع نظيرها الرجل في حكم الكلالة وغيره، فعوضها بالصداق وإنفاق الزوج عليها، ومن ثمَّ أزال العادة الجاهلية التي تمتهنها وتسلب حقوقها.

المبحث الثالث: إشكالية الشذوذ الجنسي وطرق علاجها في القرآن الكريم

أنتشر في عصرنا الراهن مجموعة من الانحرافات الجنسية، وعلى وجه الخصوص بين شرائح المجتمع الإسلامي من الشباب والمراهقين ، وكل ذلك جاء بسبب محاولة الغربيين إشاعة روح الفساد في المجتمعات الإسلامية ، بهدف إشباع الغرائز الجنسية بالطرق الملتوية كما هو الحال في الشذوذ الجنسي ، وعدت تلك الإنحرافات من الحرية الشخصية التي لا يمكن التدخل فيها ، وصب الإعلام الغربي جل اهتماماته حول فئات المجتمع ، وعملوا على نشر الأفلام الخليعة من خلال القنوات الإباحية وغيرها من وسائل الإنحراف الجنسي المختلفة ، وفي هذا المبحث نحاول بيان هذه الإشكالية وسبل علاجها

المطلب الأول: بيان إشكالية الشذوذ الجنسي ومصدرها

من الإنحرافات الخطيرة الي دخلت المجتمع الإسلامي، وهيمنت على بعض شرائحه المختلفة في العصر الحالي هي إشكالية الشذوذ الجنسي، والشذوذ في اللغة : هو مشتق من الفعل الثلاثي (شذ) والذي يعني الانفراد والمفارقة ، ومنه شذ الكلام ، أي خرج عن القاعدة وخالف القياس[١] ، وأما في الاصطلاح فعرفه علي الصاعدي: " هو كل عمل جنسي يخالف ما جعله الله طريقاً صحيحاً لإشباع الرغبة الجنسية للإنسان [٢]

وعرفه آخر: " هو ميل الرجل إلى الرجال، والمرأة إلى النساء جنسياً، وبمعنى أدق اللواط والسحاق" [٣] ، ويعرفه الباحث : هو كل ممارسة جنسية خارج نطاق المألوف بهدف إشباع الغريزة الجنسية لدى الإنسان، بالطرق المخالفة للفطرة الإلهية، سواء كان من عمل الرجال مع الرجال (اللواط) أو النساء مع النساء (كالمساحقة) وغيرها .أو هي ممارسة الإنسان للغريزة الجنسية خلافاً للفطرة الإلهية وتشريعاته السماوية.

---

(١) يُنظر: الأزهري، تهذيب اللغة ،١٨٦/١١.
(٢) علي الصاعدي: الانحراف الجنسي بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية، ص٣٠.
(٣) تكر الحاج موسى: القضايا المعاصرة بحفظ النسل دراسة مقاصدية ، ص٥٥.

يقول مراد هوفمان[١] في اتهام الإسلام بالتسامح بالشذوذ الجنسي: " ولقد نهى القرآن عن العلاقات الجنسية الشاذة، ومع ذلك فإنَّ لهذه العلاقات وجوداً لا يستهان به في العالم الإسلامي، ولست مبالغاً إذا قلت: إنَّه لا يوجد مكان آخر به ذلك القدر من التسامح حيال الشذوذ الجنسي "[٢].

وهذه العادة المشينة وجدت في الأقوام السالفة كما صرح القرآن الكريم بذلك عن قوم لوط (عليه السلام) كما قال تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ۞ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾ { سورة المائدة:٨٠-٨١}، فحيث أنَّ إتيان الذكر وقضاء الشهوة كانت عادتهم في الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء ، حتى وصل بهم الحال إلى الإسراف بالشهوة ، وهو تجاوز من المعتاد وهو الزواج المشروع إلى غيره وهو اللواط الذي هو أصل الشر كله [٣].

وهذا الانحراف الفظيع، يعد انحرافاً عن الفطرة فقد جعل الله الذكور والإناث فكل واحد منهما يميل إلى صاحبه؛ لتحقيق مشيئة وحكمة وهي استمرار الحياة عن طريق الاتصال الجنسي الشرعي بين الرجل والمرأة، وهذا الميل هو الأساس في التناسق الكوني، وأما إتيان الذكور فلا سبب له ولا هدف فيه يتماشى مع قانون الفطرة الإلهية، ولا يجد في هذا الفعل الشنيع إي لذة سوى تغيير ناموس الكون العام، وبالتالي سيفقد أهم عنصر من عناصر إمداد الحياة والتوالد وسريان الحياة على طبيعتها [٤].

وفي المطلب التالي نحاول علاج هذه الإشكالية.

---

(١) مراد هوفمان: مستشرق الماني ولد عام ١٩٣١م حصل على الدكتوراه في القانون من جامعة هارفرد عمل سفيرا لبلاده ي الجزائر، اعتنق الإسلام عام ١٩٨٠م ألف عدة كتب أبرزها الإسلام كبديل ، توفى عام ٢٠٢٠م (يُنظر: خالد حنفي، مقال بعنوان: مراد هوفمان لمحات من حياته واضواء على أفكاره ،٢٠٢٠م).

(٢) مراد هوفمان: رحلة إلى مكة، ص٤٨.

(٣) يُنظر: الزمخشري، الكشاف،١٢٦/٢.

(٤) يُنظر: سيد قطب: في ظلال القرآن،٢٦١٣/٥.

المطلب الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية الشذوذ الجنسي

لقد تحدث القرآن الكريم عن آفة الشذوذ الجنسي أو المثلية الجنسية وبين مساوئ هذا المرض الخطير، وذكر أمثلة عن ذلك كما هو الحال في قوم لوط (عليه السلام) ثم وضع العلاج الأمثل لهذه الإشكالية، فحيث أنَّ الإسلام أجاز ممارسة النكاح بالطرق المشروعة وفق الحرية المنضبطة، ومن هذه المعالجات القرآنية هي:

أولاً: التوبة وعدم القنوط من رحمة الله

ومن علاج الشذوذ الجنسي هو التوبة وعدم القنوط من رحمة الله تعالى ، فباب التوبة مفتوح وذلك بالرجوع إلى الله تعالى، وعدم تكرار الفعل مرة أخرى ، فبالتوبة تكفّر الذنوب العظام، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ {سورة التحريم:٨} وقال تعالى :﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ {سورة هود:٩٠} فإنَّ الآيات الكريمة تدعو إلى الرجوع إلى الله عن طريق التوبة إذا أذنب الإنسان فعليه الاستغفار، ومن ثم الرجوع إليه تعالى، قال الطبري في تفسيره الآية الأولى: أي أرجعوا إلى الله تعالى من ذنوبكم إلى طاعته ومرضاته ، وهذه التوبة عن الذنب المقترف ينبغي أن تكون لا عودة فيها ، فصاحب المرض الشاذ ، عليه أن يستغفر الله تعالى عن ارتكابه الذنب العظيم سواء كان بمحض إرادته أو لا ، وأن لا يعود إليه أبداً[١].

ومهما اقترف الإنسان من ذنوب فعليه أنْ لا يقنط من رحمة الله تعالى؛ لأنَّ الله جعل الباب مفتوحاً له بالرجوع قال تعالى :﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ {سورة الزمر: ٥٣} وهذا ما أشار إليه التستري : " أمهل اللَّه تعالى عباده تفضلًا منه إلى آخر نفس ، فقال لهم : لا تقنطوا من رحمتي فلو رجعتم إلي في آخر نفس قبلتكم وهذه أبلغ آية في الإشفاق من اللَّه تعالى إلى عباده ، لعلمه بأنه ما حرمهم ما تفضل به على غيرهم ، فرحمهم حتى أدخلهم في عين الكرم بالذكر القديم لهم [٢] .

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ١٠٥/٢٣.

(٢) التستري: تفسير التستري، ١٣٤/١.

فمن تاب فإنَّ الله يغفر ذنبه ويستر عليه عيبه وليبشر التائب المبتلى بفعل الذنوب والشذوذ الجنسي، فإنَّ باب التوبة مفتوح له دائماً، فينبغي عليه المسارعة إلى التوبة والحذر من التسويف والمماطلة، فأنت أيها المتمرد على الله تعالى لا تستمر في معصيته على الدوام، فتذكر نعمه عليك ولا يأخذك بما فعلت وأمهلك على عصيانك.

ثانياً: الزواج

وهو الطريق الوحيد إلى النكاح والوطء ، وهدفه إخماد الغريزة الجنسية بين الزوجين (الرجل والأنثى) ، وهو ضرورة في حفظ النسل وادامة النوع البشري، ويعد الإطار الصحيح الذي يحقق التكاثر والتناسل في الخلقة ، وهو شرط لاستمرار الحياة الإنسانية وفق الفطرة الإلهية السليمة التي وضعت في البشر وقد ذكر الله حكاية عن قوم لوط كما قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ { سورة هود:٧٨} حيث أراد لوط التزوج من بناته وبنات القرية حتى يكون ذلك دافعاً لهم عن درء فاحشة الشذوذ قال مكارم الشيرازي: أي انا مستعد بتزويجكم بناتي حتى تقلعوا عن هذا العمل المخزي المتمثل بالشذوذ الجنسي، فيكون الزواج رادعا عن فعل هذا العمل القبيح المشين(١) .

فيعد هذا الطريق من أهم السبل لعلاج الشذوذ الجنسي؛ لأنَّه يسهم في إطفاء الغريزة الجنسية لدى الطرفين الذكر والأنثى، وهذا ما أشارت إليه الدكتورة حنان شبانة : يعد الزواج من أفضل المعالجات لتصريف الشهوة الجنسية عند الإنسان سواء كان ذكراً أو أنثى ، وحمايتهما من الوقوع في الشذوذ الجنسي الذي حرّمه الله تعالى في كتابه الكريم (٢). فبالزواج يحصل الاستقرار والعفاف والابتعاد عن الشذوذ الجنسي، ويقضي على بعض الممارسات غير الأخلاقية التي يكون مصدرها الشهوة والجنس، ومن ثمَّ تضمحل وتتلاشى هذه الظاهرة في المجتمع (٣).

---

(١) يُنظر: مكارم الشيرازي، الأمثل ،١٦/٧.
(٢) يُنظر: حنان شبانة، التدابير الواقية والعلاجية للمجتمع من الشذوذ الجنسي في ضوء القرآن الكريم، ص١٩٠.
(٣) يُنظر: أحمد إبراهيم، صور من الشذوذ الجنسي المحرمة في القرآن الكريم والسنة واضراره والحكمة من تحريمه، ص١٥٧.

ثالثاً: الصوم

وهو واحد من بين الحلول والمعالجات المهمة التي تسهم في الحد من الإسراف في الشهوة الجنسية، حيث أنَّ التشريعات القرآنية وجدت لصيانة الإنسان من الوقوع في الانحرافات لا سيما آفة الشذوذ الجنسي، والحفاظ عليه، فيكون الصوم مسهماً فاعلاً في علاج هذا المرض، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ {سورة البقرة:١٨٣} ، قال المقداد السيوري(ت:٨٢٦هـ) في تفسير هذه الآية: أي فرض الله عليكم الصوم كما فرض على الأنبياء السابقين وأممهم ، وغاية هذا الصوم الحماية وصيانة النفس من المعاصي ؛لأنَّ الصوم يكسر حاجز الشهوة الجنسية العارمة لدى الإنسان ، لا سيما مرض الشذوذ الجنسي ، فهو يردع الصائم نفسه عن مواقعة السوء والفواحش [١] .

ومثله ما قاله البلاغي [٢] ومكارم الشيرازي في بيان العلاج المتعلق بمرض الشذوذ الجنسي فقد ذكر الأخير: " من فوائد الصوم الهامة تلطيف روح الإنسان، وتقوية إرادته، وتعديل غرائزه. وعلى الصائم أن يكف عن الطعام والشراب على الرغم من جوعه وعطشه، وهكذا عليه أن يكف عن ممارسة العمل الجنسي، ليثبت عملياً أنّه ليس بالحيوان الأسير بين المعلف والمضجع، وأنَّه يستطيع أن يسيطر على نفسه الجامحة وعلى أهوائه وشهواته"[٣].

ويبدو أنَّ السنّة الشريفة متوافقة مع الطرح القرآني في معالجة هذه الفاحشة الخطيرة، وأرشدت إلى السبل الشرعية في إفراغ الغريزة الجنسية بعد الزواج المتمثلة بالصوم؛ لأنّه يزيل حاجز الشهوة الجنسية، ويحافظ على الإنسان من الوقوع في المزالق المحرمة كما هو الحال في الشذوذ الجنسي روى السمعاني عن عثمان بن مظعون قال :" يا رسول الله(ﷺ) ائذن لي في الرهبانية . فقال: رهبانية أمتي الجلوس في المساجد ... فقال: ائذن لي في الإخصاء. فقال: إخصاء أمتي الصوم " [٤].

---

(١) يُنظر: المقداد السيوري، كنز العرفان في فقه القرآن،١٩٩/١. عبد الله شبر: تفسير القرآن العظيم، ص٦٦.

(٢) يُنظر: محمد جواد البلاغي، آلاء الرحمن في تفسير القرآن،١٥٦/١.

(٣) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل،٥٢١/١.

(٤) السمعاني: تفسير القرآن،٥٩/٢.

ومعنى الإخصاء في هذه الرواية مأخوذة من فَحْلٌ خَصِيٌّ :مَنْ نُزِعَتْ خُصْيَتَاهُ لِوَقْفِ حَرَارتِهِ الْجِنْسِيَّةِ وَفَعَالِيَّتِهَا [١] وهو كناية عن التحكم في الغريزة الجنسية وهذا لا يتأتى إلا من خلال الصوم.

رابعاً: الإبتعاد عن أقران السوء

حذّر القرآن الكريم من أصحاب السوء في كثير من آياته الكريمة، لما لها من أثر سيء على أصحابها، بل وتجلب العداوة والبغضاء وفساد الأخلاق وارتكاب الفواحش والأمور المنكرة، وقد ذم القرآن الكريم هذه الصحبة قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ { سورة الفرقان:٢٧-٢٩} قال ابن عطية الأندلسي في تفسير هذه الآيات: وهذا المثال ضرب في القرآن الكريم لكل من له صاحب سوء وقرين سوء، فينبغي الابتعاد عنه ؛لأنّه سبب المعاصي والآثام والفسوق والفجور، وبذلك يكون حبل من حبائل الشيطان ، وسبب من أسباب الضلال فيخذله كما يخذل الشيطان أولياءه [٢].

فيما يرى أحد المفسرين أنّ المراد من الخليل واتخاذه قريناً، هو الأول والثاني استناداً إلى بعض الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة [٣].

والراجح عندي هو القول الأول؛ لأنَّ الآيات في مقام ضرب الأمثلة للعبرة والموعظة، وبيان مخاطر الصداقة السيئة، فينبغي الابتعاد عنه، ومما يؤيد ذلك قول المازندراني: "يعني قرينه المضل له للإنسان خذولاً يؤذيه بالوسوسة والاغواء والاضلال إلى الهلاك والعقوبة والنكال ثم يتركه ويخذله ولا ينفعه "[٤].

---

(١) يُنظر: أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة،٦٥٥/١.

(٢) يُنظر: ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، ٤٧٣/٤.

(٣) يُنظر: الفيض الكاشاني، التفسير الصافي،١١/٤. هاشم البحراني: البرهان في تفسير القرآن، ١٢٤/٤.

(٤) محمد صالح المازندراني: شرح أصول الكافي،٢٨٠/١١.

وخلاصة القول: إنّ النجاة من هذا المرض الفتاك وهو الشذوذ الجنسي، بالابتعاد عن الصاحب السيء وقرين السوء، روى الكليني عَنْ عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عن النبي (ﷺ) قَالَ:" الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه وقَرِينِه" (١).

خامساً: حفظ البصر والفرج عمّا حرّم الله تعالى

إنَّ القرآن الكريم بين بعض الآداب الإسلامية التي ينبغي على المسلم التحلي والتمسك بها، ومن أهم هذه الآداب هي حفظ البصر عمّا حرّم الله تعالى النظر إليه، وهذا ما أكده قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ۝ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ { سورة النور:٢٩-٣٠} .

فالآيتان في مقام بيان أدب التعامل مع المحرمات، وحفظ البصر والفروج عن النظر إليها، وهذا يشمل الرجال والنساء على حد سواء وقد أشار القرطبي(ت:٦٧١هـ) في تفسيره إلى ذلك فقال: حذر الله تعالى المؤمنين من ارتكاب الفواحش الذي يعد الباب إلى الولوج إلى القلب، وأفضل طرق الحواس إليه، فكل المساقط التي يقع فيها الإنسان هي من جهة البصر، فيجب على الإنسان غض بصره عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الإنسان الوقوع فيه (٢).

والنظر إلى المحرمات من شأنه أن يوقع الإنسان بما هو أعظم، حتى يصل به الحال إلى آفة الشذوذ الجنسي، وهذا ما أشار إليه الشيخ الطوسي(ت:٤٦٠هـ) في تفسيره: "أمر من الله تعالى أن يحفظ الرجال فروجهم عن الحرام، وعن إبدائها حيث ترى فإنهم متى فعلوا ذلك كان أزكى لأعمالهم عند الله، وإنَّ الله خبير بما يعملون ويصنعون اي عالم بما يعملونه اي على اي وجه يعملونه"(٣) .

ومن خلال ما تقدم وعند النظر إلى الآيات الشريفة في القرآن الكريم حرمت الأسباب المؤدية إلى الشذوذ الجنسي، لما له من أثر كبير في فساد الفرد والمجتمع، فالعين إن

---

(١) الكليني: الكافي ،٣٧٥/٢.

(٢) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ،٢٢٣/١٢.

(٣) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن،٤٢٨/٧.

أعطيت لها الحرية في النظر، فستوقع صاحبها في المحرمات، حتى تصل إلى الزنا ومن ثم الشذوذ الجنسي، فحفظ البصر طريق وقائي من الوقوع في الرذائل ومنها الشذوذ الجنسي[١].

وورد في السنّة الشريفة روايات تذم الشذوذ الجنسي، فيعد من أعظم المحرمات، روى الحر العاملي عن بشير النبال قال: " رأيت عند أبي عبد الله (عليه السلام) رجلاً فقال له: ما تقول في اللواتي مع اللواتي؟ - كناية عن المساحقة- فقال: لا أخبرك حتى تحلف لتحدثن بما أحدثك النساء. قال: فحلف له. فقال: هما في النّار عليهما سبعون حلة من نار فوق الحلل جلد جاف غليظ من نار، عليهما نطاقان وتاجان من نار فوق تلك الحلل وخفان من نار وهما في النار" [٢]. وروى ايضا ابن أبي جمهور الإحسائي عن محمد بن حمزة وهشام وحفص عن الصادق (عليه السلام) :"إنّه دخل عليه نسوة فسألته أمرأة عن السحق، فقال: حدها حد الزاني. فقالت المرأة: ما ذكر الله عز وجل في القرآن، فقال بلى. فقالت: وأين هو؟ قال هن أصحاب الرس[٣] " [٤].

ومحصل القول: فإنَّ إشكالية الشذوذ الجنسي وانتشارها في هذا العصر أو ما يسمى بالجندرة [٥] اليوم، كانت نتاج عمل قوم لوط (عليه السلام) ، حيث كانوا يمارسونها عن طريق اللواط، وهو من صور الشذوذ الجنسي، ولكن القرآن الكريم وضع علاجاً لها كما هو الحال في إطفاء الشهوة عن طريق التوبة إلى الله تعالى ، والزواج والصوم اللذان يكسران الشهوة الجنسية، وكل ذلك بالابتعاد عن قرين السوء ، وحفظ البصر عمّا حرم الله تعالى ، فكل ذلك درع واقٍ وعلاج شافٍ من الشذوذ الجنسي.

---

(١) يُنظر: أحمد إبراهيم أحمد، الشذوذ الجنسي وحلوله في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، ص٨٩.
(٢) الوسائل، ٣٤٥/٢ح٢٥٧٨٧.
(٣) أصحاب الرس: هم قوم من عبدة الأصنام ارسل الله اليهم الأنبياء ورسوا نبي لهم في بئر قديمة معطلة (يُنظر: احمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٨٨٢/٢).
(٤) عوالي اللآلي، ٥٦٠/٣.
(٥) الجندرة: هو تغير في النوع الاجتماعي مؤداه أن يكون الرجل أمرأه وأن تكون المرأة زوجاً تتزوج أمرأة من نفس جنسها، وبهذا تكون قد غيرت صفاتها الاجتماعية وهذا ينطبق على الرجل أيضاً. (يُنظر: مثنى الكردستاني، وكاميليا حلمي محمد ، الجندر – المنشأ- المدلول- الأثر،ص٣٧).

المبحث الرابع: إشكالية تعدد الزوجات وعلاجها في القرآن الكريم

لم تحظَ في العصر الحاضر إشكالية ذات صدى واسع، كما هو الحال في إشكالية تعدد الزوجات، فقد أخذت حيزاً واسعاً من الجدل، ونقاش حالك بين القبول والرفض، فأختلف فيها بين مؤيد لها، كونها منسجمة مع التشريعات الإسلامية التي تهدف إلى صيانة المسلم من الانحراف، فيكون التعدد خطوة استباقية في التشريعات الإسلامية من أجل عدم الوقوع في المحرمات، فيما يرى الرافضون له تعسف في حق المرأة وظلم لها، وفي هذا المبحث نحاول بيان الإشكالية وسبل علاجها.

المطلب الأول: بيان إشكالية تعدد الزوجات ومصدرها

دلَّ القرآن الكريم والسنّة المطهرة على مشروعية تعدد الزوجات في التشريع الإسلامي، وهذا ما أكده قوله تعالى: ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ {سورة النساء:٣}، والمراد من تعدد الزوجات :" الزواج بأكثر من أمرأة وفق ما أحل الشرع إلى أربع زوجات" (١).

ولم يختلف أحد من المسلمين في مشروعية هذا التعدد، بشرط أن لا يزيد على الأربع نساء، ولكنَّ هذا الحكم عده البعض ظلم للمرأة المسلمة، وتعدّياً على حقها وله آثار سيئة على عواطف النساء وقلوبهن يقول مونتسكيو(٢): " إذا نُظر إلى تعدد الزوجات على العموم ؛ إذا نظر إليه مستقلاً عن الأحوال التي قد تجعله محتملاً ، وجد غير نافع للجنس البشري مطلقاً، ووجد غير نافع لأي من الجنسين ، للذي يسيء استعماله منهما ، وللذي يساء إليه منهما ، وجد غير نافع للأولاد أيضاً " (٣) .

---

(١) أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة ،١٠٠٧/٢.

(٢) مونتسكيو: هو مفكر وفيلسوف وقاضي فرنسي ولد في فرنسا١٦٨٩م، وشارك في الثورة الفرنسية من أجل التخلص من ظلم الكنيسة، ومن اهم مؤلفاته روح القوانين، توفى عام١٧٥٥م. (يُنظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص١١٧)

(٣) روح الشرائع، ص٤٦٨.

وقال السيد الطباطبائي(ت:١٤٠٢هـ) في بيان مفهوم إشكالية التعدد ومضارها من جهة نظر الغرب : " إنه يضع آثارا سيئة في المجتمع، فإنَّه يقرع قلوب النساء في عواطفهن ويخيب آمالهن ويسكن فورة الحب في قلوبهن، فينعكس حس الحب إلى حس الانتقام، فيهملن أمر البيت ويتثاقلن في تربية الأولاد، ويقابلن الرجال بمثل ما أساؤوا إليهن فيشيع الزنا والسفاح والخيانة في المال والعرض، فلا يلبث المجتمع دون أن ينحط في أقرب وقت [١].

والنظر من زاوية واحدة تجاه هذا التشريع، الذي يحاول بحسب المزاعم إنصاف المرأة والحفاظ على الحالة النفسية لها، حيث يسبب التعاسة لديها ويحوّل الحب إلى كراهية في قلبها مما يعكس ذلك أثراً سلبياً لها ولعائلتها، ولكن بعض المنصفين بين فساد هذا الرأي، قال غوستاف لوبون[٢]: " والاعتراض الوحيد الظاهر على الذي يوجه إلى مبدأ تعدد الزوجات هو أنّه يجعل المرأة تعيسة، وقد أُجمع على فساد هذا الزعم الذي طال أمده جميع الأوربيين الذين درسوا أمره في الشرق عن كثب " [٣].

فيما يرى بعض المنتسبين للإسلام أنَّ هذا التشريع لا ينسجم مع روح الدين وفطرته، فينبغي الابتعاد عنه والاكتفاء بزوجة واحدة، قال أحمد أجاييف : إنَّ الإسلام يؤيد الارتباط بزوجة واحدة وهذا لا شك فيه، وسيأتي اليوم الذي فيه يبتعد المسلمون عن عادة تعدد الزوجات ، فيعمدون إلى الاكتفاء بزوجة واحدة فقط ، وهذا ما ينسجم مع روح الدين وجوهره ، وحينئذ يكتشف الأوربيون الخطأ الجسيم والفادح الذي بمقتضاه اتهموا القرآن الكريم ونبيه بعداء نصف الجنس البشري وهو المرأة [٤].

ويبدو أنَّ علامات التأثر بالفكر الغربي واضحة على شخص الكاتب، فالأحكام الإلهية ليست اختيارية مصحوبة بالأهواء الشخصية، بل هي ثابتة وفق مصلحة دقيقة وعلة وغاية وجدت لأجلها وهذه الأحكام لا تتقيد بزمن معين دون غيره، ومتكيفة

---

(١) قضايا المجتمع والأسرة، ص١٤٤.

(٢) غوستاف لوبون: طبيب ومؤرخ فرنسي ولد سنة ١٨٤١، وعمل في أوربا واسيا، له عدة كتب منها: حضارة العرب، وحضارة الهند توفى ١٩١٣م. (ينظر: محمد جمال، المستشرق الفرنسي بلاشير وآراءه في القرآن والتفسير دراسة نقدية، ص٤٩.

(٣) حضارة العرب، ص٤٢٣.

(٤) يُنظر: حقوق المرأة في الإسلام، ص٢٣.

مع العصور والأزمان، فهو متى تحققت شروطه الموجبة كالعدل والانفاق صح التعدد، وهذا ما تراه زهرة حمدة بالقول: لما جاء الإسلام وسطع نوره أخذ بتشريع الأحكام المقيدة الصالحة لكل زمان ومكان، لاسيما ما يتعلق بتعدد الزوجات الذي يتفق مع الفطرة السليمة، ويتناسب مع جبلة الإنسان وطبيعته، فيراعى المصالح والحاجات فيه، وقد أجمعت الأمة الإسلامية قولاً وعملاً منذ عهد النبي الأكرم(ﷺ) إلى عصرنا الحالي على حلية تعدد الزوجات ، وحجيته ثابتة بالقرآن والسنة الشريفة [١].

المطلب الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية تعدد الزوجات

لقد عالج القرآن الكريم إشكالية تعدد الزوجات معالجة حكيمة، حيث أنَّ هذا التعدد مقيّد بالعدل، مع عدم إباحة التعدد بأكثر من أربعة زوجات، وهذا أكده قوله تعالى: ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ {سورة النساء:٣} ، والمراد من العدل في هذه الآية الكريمة هو التسوية في الإنفاق [٢]. ومن هذا الأساس تكون المعالجة القرآنية لتلك الإشكالية ذات رؤية ثاقبة، وهذا ما سنبينه في هذا المطلب:

أولاً: تهذيب وتنظيم التشريعات في الأديان السابقة

إنَّ تعدد الزوجات لم يكن من مختصات الشريعة الإسلامية دون غيرها، بل هو موجود في الأديان السابقة، حيث كان في الديانة كاليهودية لم يحصر بعدد معين من الزوجات، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ { سورة الشورى:١٣} وقد صرح السيد الطباطبائي(ت:١٤٠٢هـ) في تفسيره: بأنَّ تعدد الزوجات كان سُنّة متجذرة في الأمم القديمة ، كما هو الحال في مصر والهند والصين ، إضافة إلى الفرس والروم واليونان، وغيرهم حيث أنهم يضيفون إلى جانب الزوجة خدناً يصاحبونها، وأنَّ ذلك لا ينحصر بعدد معين عند بعض الأمم كاليهودية [٣].

---

(١) يُنظر: زهرة حمدة، قضايا المرأة في فكر عائشة عبد الرحمن – بنت الشاطي- دراسة كتابها تراجم سيدات بيت النبوة، ص٦٩.

(٢) يُنظر: التفسير الكاشف،٢٨٤/٢.

(٣) يُنظر: الميزان في تفسير القرآن،١٨٢/٤.

وأنَّ مونتسكيو رغم تعصبه تجاه هذا التشريع إلا أنّه أقر بوجود هذا التشريع في الديانات السابقة، مستدلاً ببعض ما ورد في العهد القديم من نصوص توراتية، فقال: وتأمر الشريعة الموسوية بأن لا ينقص شيء من ثياب الأمة وكذا طعامها وحسن معاشرتها، وأن تعطى الزوجة الجديدة زيادة، من غير أن ينقص من الأولى أي شيء مما أعطي لديها (١).

وقد ورد في سفر الخروج في العهد القديم تعدد الزوجات فقد جاء فيه: "وإن خطبها لابنه فبحسب حق البنات يفعل لها. وإن أتخذ لنفسه أخرى لا يُنقص طعامها وكسوتها ومعاشرتها" (٢).

ويبدو أنَّ هذا النص التوراتي يثبت أنَّ تعدد الزوجات الذي كان سائداً في التشريعات الأخرى، كاليهودية، من دون تقييد لعدد معين من الزوجات، والملفت في ذلك اشتراط العدالة في المطعم والملبس والمعاشرة الجنسية، وهذا من شأنه أن يدحض المزاعم التي نسبت إلى الدين الإسلامي من إنفراد القرآن الكريم بتشريع تعدد الزوجات، بل هو مما تسالمت عليه الشرائع ومما يؤيد ذلك ما ذكره السيد الطباطبائي: وأنَّ موضوع تعد الزوجات كان موجوداً من غير تحديد لعدد الزوجات في الأديان المتقدمة كاليهودية ، وهذا التشريع منتشر بينهم ولا يستطيع أحد إنكاره (٣).

ثانياً: إعفاء النفس وصونها من الوقوع في الحرام

إنَّ الناظر بعين الإنصاف تجاه هذا التشريع يجد أنّه يصون الإنسان من الوقوع في المحرمات، فحيث أنّ التعدد يسهم في أطفاء الغريزة الجنسية لدى النفس الإنسانية، فيكون علاجاً فعّالاً من اقتراف المحرم وعلى وجه الخصوص الزنا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ { سورة الإسراء:٣٢} فالتعدد من مناقبه أن يُسكّن الشهوة ويبعد الإنسان عن الزنا؛ مهما كانت القوة الغريزية عنده

---

(١) يُنظر: مونتسكيو، روح الشرائع، ص٤٦٨.

(٢) سفر الخروج، الاصحاح ، ٢١/١٠-١١.

(٣) يُنظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢/٢٦٧.

قال ابن باديس في تفسير ﴿ولا تقربوا الزنا ﴾ :" في الزنا إراقة للنطفة، وسفح لها في غير محلها، فلو كان منها ولد لكان مقطوع النسب، مقطوع الصلة، ساقط الحق. فمن تسبب في وجوده على هذه الحالة فكأنه قتله" (١).

وحتى لا تراق النطف وتوضع في غير محلها، وما يترتب على ذلك انقطاع النسب للمولود، وسقوط الحق عنه كالميراث وغيره، جعل الله تعدد الزوجات علاجاً لذلك؛ حفاظاً على الإنسان من الوقوع في الفاحشة، وهذا ما أوقع كثيراً من المجتمعات في هذا العصر في ذلك، بسبب إنكار هذا التشريع وقد أثنى غوستاف لوبون على مبدأ تعدد الزوجات فقال:" إنَّ مبدأ تعدد الزوجات الشرقي نظام طيبٌ يرفع من المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقول به، ويزيد الأسرة أرتباطاً، ويمنح المرأة احتراماً وسعادة لا تراهما في أوربة " (٢).

ولذلك المعالجة لهذا المبدأ تكمن في النظر إلى المصالح المترتبة على هذا التشريع، فمن نظر من زاوية واحدة وهي الزوجة الأولى فقد أخطأ ، وهذه النظرة قاصرة في الحكم على تعدد الزوجات؛ لأنَّ مسألة تعدد الزوجات ذات ثلاث زوايا، كمطالعة ناحية الرجل ، ومن ناحية الزوجة الأولى ، والنظر من ناحية الزوجة الثانية أيضاً ، فمن ينظر إلى التعدد من هذه الزوايا تتضح المصلحة من هذا التشريع، الذي من شأنه أن يلبي الحاجات الفطرية والغريزية ، حيث أنَّ أعمار الرجال الجنسية أطول بكثير من أعمار النساء ، وبذلك يبقون محتفظين بها في سن أطول بكثير، فيكون التعدد أفضل المعالجات في صيانة الانسان من الانحراف(٣).

وقد ذم القرآن الكريم كل فعل يوصل إلى البغاء والفاحشة وعلى وجه الخصوص

---

(١) عبد الحميد بن باديس: تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ،٩١/١.

(٢) غوستاف لوبون : حضارة العرب،ص٤١٠.

(٣) يُنظر: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل، ٩٤/٣.

الفتيات التي تريد التحصن دون البغاء قال تعالى: ﴿ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ {سورة النور: ٣٣} ، فعدم التعدد من شأنه يرفع البغاء الذي يقع فيه الإنسان سواء ذكر أو أنثى ، فالله أكرمهن بطريق مشروع وهو التزوج بواحدة أو أكثر.

ثالثاً: تعدد الزوجات يقضي على العنوسة في المجتمع

إنَّ هذا العلاج يعد من أهم المعالجات التي تسهم في معادلة الكفة بين الطرفين، فحيث أنَّ النساء في تزايد مستمر في قبال الرجال، نتيجة للتعرض للمخاطر ومنها الحروب، وبذلك تتزايد العنوسة في المجتمع والمراد من العنوسة من الفعل عنس ومنه عنست المرأة: أي كبرت المرأة ولم تتزوج(١) وعرفتها الدكتورة زينب السعيد: " مصطلح يطلق على الفتيات والشباب الذين لم يتزوجوا"(٢).

وهذه العنوسة يمكن معالجتها عن طريق التعدد، وهذا ما أشارت إليه الباحثة فتحية البشير: إنَّ ظاهرة العنوسة في المجتمع من شأنها أن تؤدي إلى عزوف الكثير من الشباب عن الزواج، وهذه الظاهرة الخطيرة لها عواقب وخيمة، وآثار سيئة نفسية واقتصادية واجتماعية واخلاقية، وبشكل خاص في هذا الزمن الذي ازدادت فيه الفتن، وكثرت فيه الطرق المنحرفة لقضاء الشهوة، فلا واقٍ من ذلك المنزلق الخطير من الفساد الخلقي والأخلاقي إلا من خلال الزواج الشرعي، ومن تعدد الزوجات الذي من شأنه أن يعالج هذه المشكلة (٣).

وحيث أنَّ العنوسة تدفع أصحابها في ظل غياب الثقافة الدينية إلى تلبية حاجاتها الجنسية، وإشباعها من خلال بعض العلاقات المنحرفة، فتقع في رذيلة الزنا التي

---

(١) يُنظر: الخليل الفراهيدي، العين،٣٣٧/١.

(٢) زينب السعيد: خطورة العنوسة وعلاجها من منظور إسلامي، ص١٧٦٧.

(٣) يُنظر: دور تعدد الزوجات في القضاء على العنوسة، ص٣٨.

حرمها الله تعالى في كاتبه الكريم قال تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ {سورة النور:٢} ، وبذلك فيكون التعدد هو أداة للقضاء على العنوسة التي ممكن أن تزل الإنسان وتوقعه في العلاقات المحرمة كالزنا (١).

وإن قيل لماذا قدّم الله الزانية قبل الزاني في هذه الآية؟ قال السيد الطباطبائي: " وقدمت الزانية في الذكر على الزاني؛ لانَّ الزنا منهن أشنع ولكون الشهوة فيهن أقوى وأكثر، والخطاب في الأمر بالجلد متوجه إلى عامة المسلمين، فيقوم بمن قام بأمرهم من ذوي الولاية من النبي والامام ومن ينوب منا به" (٢).

والمتحصل من ذلك: إنَّ تعدد الزوجات يقضي على العنوسة في المجتمع، ويحصّن الرجل والمرأة من ارتكاب الفواحش كالزنا وغيره، فيمكن إشباع العزيزة عن طريق التعدد. ومما يؤيد ذلك ما ذكره محمد إبراهيم الجمل: إنَّ الإسلام جاء يصحح مسار الفوضى الجنسية في كل بقاع الأرض، وفي كل العصور والأزمنة، فحيث أنَّ الاستسلام لنزوات الإنسان وشهواته التي من شأنها أن تحرفه عن الغاية التي خلق من أجلها كزيادة النسل وعمارة الأرض، والقضاء على التفاوت العددي بين الذكور والإناث وغيرها، فالتعدد يرفع التعويض عن فقدان شهداء الأمة (٣).

---

(١) يُنظر: فتحية البشير: المصدر نفسه، ص٤١.

(٢) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن،٧٩/١٥.

(٣) يُنظر: إبراهيم محمد الجمل، تعدد الزوجات في الإسلام، ص٧٨.

المبحث الخامس: إشكالية حجاب المرأة المسلمة وعلاجه في القرآن الكريم

اهتمت الدوائر الغربية على أختلاف مسمياتها بتفاصيل المرأة المسلمة، وذلك من خلال تسليط الضوء على حجابها، وحاولت أن تجد في مسألة الحجاب سلب لحريتها في إبراز مفاتنها، بل وأن أعداءنا خططوا وامعنوا في ضرب العمق الإسلامي من خلال الأسرة المسلمة، واستخدموا كل الوسائل التي يمكن أن تصل إليها إياديهم، ولا سيما ما يتعلق بالحجاب، من أجل نزع عفة المرأة المسلمة، وفي هذا المبحث نتناول هذه الإشكالية وسبل علاجها.

المطلب الأول: بيان مفهوم اشكالية الحجاب

إشكالية الحجاب من الإشكاليات التي أخذت حيزاً كبيراً في التشريعات الإسلامية، فَعلِم الغرب أنَّ أحد أسباب قوة المجتمع الإسلامي تكمن فيما منحته الشريعة للمرأة من أحكام ترتقي بها وتعزز من عفتها، فهي سلاح ذو فقارين ضد الغرب، وخطرها عليهم يكمن في تنشئة المجتمع نشأة إسلامية، ولكن حملوا بخيلهم وأرجلهم في بث سموم الشهوات ليعيثوا في صفوف المسلمين الفساد، وجهدوا في تفكيك وتحطيم وتوهين المجتمع من خلال المرأة وحجابها وعفتها.

والمراد من الحجاب في اللغة: هو من الفعل حجب يحجب ومعناه الستر(١). وفي الاصطلاح عرفه الجرجاني: " هو كل ما يستر مطلوبك" (٢) . وقريب منه ما عرفه المناوي: " كل ما ستر المطلوب، أو منع من الوصول إليه، منه قيل للستر حجاب لمنع المشاهدة " (٣).

فالظاهر من التعريفات جميعها تتمحور حول المنع والسترعن المشاهدة، فكل ما يستر ويمنع عن المشاهدة فهو حجاب.

وحيث أنَّ الغرب يرى في حجاب للمرأة المسلمة نوعاً من الأسر لحريتها الشخصية، واجحافاً في إبراز جمالها المكنون، فيحاولون جهد أنفسهم الانقضاض

---

(١) يُنظر: أبن منظور، لسان العرب، ٢٩٨/١.

(٢) الجرجاني: التعريفات، ٨٢/١.

(٣) المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، ١٣٨/١.

على المرأة وعفافها وشرفها ، قال مستر همفر في مذكراته :" ... يجب أن نخرج النساء المسلمات من أسر الحجاب ، ثم نحرك الشباب وراءهن للمغازلة والملاحقة ، لكي ينتشر الفساد بين المسلمين " (١).

فيعد الحجاب من نقاط قوة المسلمين، فينبغي العمل على تهديمه وألقاء الشبهات والإشكاليات حوله، قال همفر: إنَّ الإسلام فرض الحجاب على المرأة المسلمة حتى لا يتسرب الفساد إليها، فالتحرر من ذلك هو ما يضعف صف المسلمين، فقد عملنا على ذلك بكل ما أوتينا من قوة من أجل تهديم هذا السد المنيع (٢).

وهذه الدعوة لأقت رواجاً بين بعض المنتسبين إلى الإسلام، حتى حاول بعضهم نسبة الحجاب إلى الأسطورة التي لا حقيقة لها قال: " والذي أظنه هو أنَّ مسألة حجاب المرأة لم يكن ذا محتوى صرف اجتماعي حقوقي أو أخلاقي، بل كان ذا بعد أسطوري أيضاً، أي إنَّ إلزام المرأة بالستر، وإبعادها عن الساحة الإجتماعية، وإقرار نوع من العلاقة الخاصة معها، والنظر إليها بوصفها موجوداً ملوثاً، هذا كله يحكي عن نوع من الرمزية الأسطورية " (٣).

ويبدو أن الهجوم على الحجاب هو بمثابة هجوم على عبادة المرأة المسلمة لربها، وذلك لالتزامها بالشريعة الإسلامية، وعلى المرأة أن تعي خطورة ما يحاك لها بمفاهيم براقة وعليها الالتزام بذلك الحجاب؛ لأنه تشريع إلهي له مقاصد كثيرة قال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ {سورة الأحزاب:٣٦} . قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أن يتخيروا من (أمرهم غير) الذي قضى الله ورسوله، ويخالفوا (ذلك) فيعصونهما، {وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ} أي: فيما أُمِرَ أو نُهِيَّ "(٥).

---

(١) مذكرات مستر همفر، ص١١٢.
(٢) المصدر نفسه، ص٦٥.
(٣) عبد الكريم سروش: مقال بعنون : مسألة المرأة بين القوانين الفقهية ونظام القيم الأخلاقية، مجلة دراسات إسلامية معاصرة ، ص٢٣.
(٤) ينظر: سهلة مسعي محمد، اتجاهات الإعلاميين نحو ظهور المرأة المحجبة، ص٤٩.
(٥) ابن كثير: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، ٥٨٣٧/٩.

وقد عد قاسم أمين[١] الحجاب أصل من أصول الأدب لا فريضة تشريعية ودينية إلهية، وإن كان يقر به حسب زعمه : أني لا أزال أدافع عن الحجاب، واعتبره أصلاً من أصول الأدب الذي ينبغي التمسك به [٢].وقال أيضاً: إن الحجاب هو إعدام لشخصية المرأة، فكيف تسمح ذمة الرجل انتهاك هذه الخصوصية بحجة المحافظة عليها والاطمئنان لها؟ [٣].

ويبدو أنَّ مسألة الحجاب مع ما ورد فيها من تأكيد في القرآن الكريم والسنّة الشريفة في شريعتنا الإسلامية، نجد أن هناك من يأوّل هذا التشريع بطابع أدبي لا ديني ، وذلك ضرب منهم على النصوص القرآنية الدالة على وجوب الحجاب والتستر به ، قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ { سورة الأحزاب:٥٩} .اي :قل يا أيها النبي لهؤلاء النساء أن يسترن رؤوسهن ويغطين جباههن إذا خرجن لحاجة [٤].

وبعد استعراض هذه الإشكالية التي طرحت من الغرب، وتأثر بها كم كثير من دعاة التحرر والعصرنة، أمثال قاسم أمين، وعبد الكريم سروش وغيرهم، بحجة تحرير المرأة المسلمة من القيود التي أضفتها الشريعة الإسلامية حولها، وانعتاقها من أسر الحجاب ، فهو تشريع إلهي ، وحكم من أحكام الدين الإسلامي الذي لا يتغير بتغير الزمان والمكان ، وهذا ما أكده ذبيحي بالقول: " إنَّ أحكام الدين لا تتغير بمرور الزمان وبتغيّر المكان سوى الأمور التي نص عليها الشرع المقدس ، وذلك لأن رسول الله (ﷺ) هو خاتم الأنبياء الذي قام هو وأهل بيته (عليهم السلام) بتبليغ احكام الشريعة المقدسة التي أنزلها الله تعالى ، لخير وصلاح البشرية وحفظ حرماتها وستبقى إلى يوم القيامة دون تغيير أو تبديل " [٥].

---

(١) قاسم أمين: هو كاتب وباحث مصري ولد في القاهرة ١٨٦٣م، واشتهر بمناصرته للمرأة درس الحقوق في فرنسا له كتب منها: تحرير المرأة والمرأة الجديدة، توفى عام ١٩٠٨في القاهرة (يُنظر: الزركلي، الأعلام، ١٨٤/٥).

(٢) يُنظر: قاسم أمين ، المرأة الجديدة،ص٢٠٩.

(٣) يُنظر: قاسم أمين، تحرير المرأة، ص٥٨.

(٤) يُنظر: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن،١٨١/٨.

(٥) محمد صادق ذبيحي: الحجاب عز لا أسر، ص١٢.

المطلب الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية حجاب المرأة في الإسلام

عالج القرآن الكريم هذه الإشكالية بعيداً عن الظلم والإجحاف في حق المرأة المسلمة، الذي يحاول البعض أن يلصقه بهذا الدين الحنيف قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ {سورة يونس:٤٤}، فكل التشريعات منزهة من الظلم لا سيما ما يتعلق بلباس المرأة قال المقدم" إنَّ التشريعات الإسلامية منزهة عن الظلم والإجحاف والعبثية، وإن ساء وضع المرأة المسلمة ، بسبب عدم التزامها بأحكام الله تعالى ، وانحرافها عن جادة الإسلام [١]، ومن هذه المعالجات:

أولاً: الحجاب يحافظ على عفة المرأة المسلمة وكرامتها

تعد عفة المرأة المسلمة وكرامتها من أولويات الشريعة الغراء؛ لأنها تحفظها من الانزلاق في الشهوات المحرمة، فالحجاب هو صيانة للعفاف الاجتماعي بشكل عام ، وهذا ما أكده قوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ {سورة النور:٣١} ، وقد أشار الطبرسي(ت:٥٤٨هـ) في تفسيره إلى الحفاظ على عفة المرأة بالقول: أمر الله تعالى المرأة المسلمة أن تحفظ بصرها عن المحرمات وتحفظ فرجها ، وأن تستر شعرها بالحجاب ، الذي هو غطاء يوضع على رأس المرأة ليستر لها شعرها وقرطها وعنقها ، قال ابن عباس : أن تغطي شعرها وصدرها وترائبها وسوالفها [٢].

ومثله ما قاله أبن إدريس الحلي: فأما شعرها فلا يجوز اظهاره إلا إلى زوجها، وعليها ستره بالخمار لغير الزوج [٣].

فيعد الحجاب إلى جانب المحافظة على عفة المرأة المسلمة وكرامتها، فهو تحصين أيضاً ضد طلاب الهوى، ولذا نرى أهل البيت (عليهم السلام) يؤكدون على تلك العفة وهذا

---

(١) يُنظر: محمد أحمد المقدّم، عودة الحجاب،٢٠/٢-٢١.

(٢) يُنظر: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٢٤٢/٧.

(٣) يُنظر: ابن إدريس الحلي، المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من التبيان،١٤٥/٢.

ما لمسناه من وصية امير المؤمنين لأبنه الحسن (عليه السلام) " فأكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن، فإنَّ شدة الحجاب أبقى عليهن " [١].

ومن خلال استعراض الأدلة القرآنية وبعض الروايات التي تصدت للحديث عن الحجاب، نجد أنها لم تظلم المرأة من خلال الالتزام بحجابها، بل أعزها الله بهذا التشريع، وحفظ لها عفتها وكرامتها، قال مطهري: " كلما التزمت المرأة والرجل جانب الستر والحجاب، ابتعدا عما يلفت النظر، كانا أقرب إلى الطهارة والتقوى "[٢].

ثانياً: القضاء على التحرش الجنسي

المراد بالتحرش الجنسي : " هو انحراف عن السلوك الجنسي الطبيعي" [٣].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة قال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ {سورة الأحزاب: ٥٩} ، فالحجاب من شأنه أن يمنع التي تسوّل لهم أنفسهم بالتحرش الجنسي ، وهذا ما أكده الطبري(ت:٣١٠هـ) في تفسيره بالقول:" يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يَتَشَبَّهْنَ بِالْإِمَاءِ فِي لِبَاسِهِنَّ إِذَا هُنَّ خَرَجْنَ مِنْ بُيُوتِهِنَّ لِحَاجَتِهِنَّ، فَكَشَفْنَ شُعُورَهُنَّ وَوُجُوهَهُنَّ، وَلَكِنْ لِيُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ، لِئَلَّا يَعْرِضَ لَهُنَّ فَاسِقٌ، إِذَا عَلِمَ أَنَّهُنَّ حَرَائِرٌ بِأَذًى"[٤].

والملاحظ من هذه الآية الكريمة أنَّ شرعنه الحجاب لنساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمؤمنات أيضاً، هو للقضاء على هذه العادة السيئة في المجتمع، فكان بعض الفاسقين يتحرشون بالإماء والحرائر أيضاً.

---

(١) الشريف الرضي: نهج البلاغة،٦٣/٣.

(٢) مطهري: مسألة الحجاب، ص٢٢.

(٣) احمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة،٤٠٦/١.

(٤) الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن،١٨٠/١٩.

وهذا ما ذكره السيد الطباطبائي(ت:١٤٠٢هـ) في سبب نزول هذه الآية الكريمة فقال : فكان سبب نزول هذه الآية أن النساء يخرجن إلى المسجد للصلاة خلف النبي (ﷺ) فإذا كان الليل خرجن إلى صلاة المغرب والعشاء ، فيقعد لهن الشباب في طريقهن فيأذونهن ويتعرضون لهن بالسوء ، فنزلت هذه الآية [١].

وهذا الحجاب هو الدواء لداء التحرش بالنساء، وقد يقلل من ذلك، ولا يجلب الأنظار نحو المرأة باللذة المصحوبة بالشهوة، قال الشيخ محمد جواد مغنية(ت:١٤٠٠هـ) : أمر الله تعالى في هذه الآية نساء النبي (ﷺ) وبناته ونساء المؤمنين بالستر والحجاب ، والأمر يدل على الوجوب ، واخرج من هذا العموم الوجه والكفين، فغاية الحجاب يحجز بين المرأة المتحجبة وبين طمع أهل الفسق والريب، فلا يؤذين بالمعاكسات والنظرات الفاسقة [٢].

وربما يرد هناك إشكال وهو أن الآية الكريمة ذكرت لفظ الجلباب دون الحجاب وهناك فارق بينهما ؟

وهذا الاستفهام يمكن أن يرد عليه: إنَّ الجلباب الذي ذكر في الآية هو الثوب الواسع الذي يغطي جميع أجزاء البدن ، وأما الخمار أو الحجاب فهو الذي يغطي راس المرأة ووجهها، فيتبين أنَّ للمرأة نوعين من الألبسة أحدهما صغير يغطي الرأس فقط ، والآخر وهو الجلباب الذي تلبسه المرأة عد خروجها من البيت [٣].

والمتحصل مما تقدم: أنَّ الحجاب المفروض في التشريع الإسلامي هو أمر من الله تعالى للمرأة على نحو عام، يعالج فيه الأهواء المضلة من التحرش بالنساء، فإنَّ المرأة العفيفة الملتزمة، كانت تعاني من الإيذاء والتحرش بهن، فكان الحجاب قطعاً لذلك التحرش بالقول أو بالفعل.

---

(١) يُنظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣٤٤/١٦.

(٢) يُنظر: مغنية، التفسير الكاشف، ٢٤٠/٦.

(٣) ينظر: مطهري : مسألة الحجاب، ص١٤٤.

ثالثاً: القضاء على ظاهرة التبرج التي كانت موجودة قبل الإسلام

لقد ذم الله تعالى في كتابه الكريم التبرج، ووصفه بأبشع الأوصاف، فهو من عادات أهل الجاهلية الأولى، وهذا ما دل عليه قوله تعالى :﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ {سورة الأحزاب:٣٣} ، والمراد من التبرج في اللغة: هو إظهار المرأة لمحاسنها (١) وعرفه محمود عبد المنعم :" وهو إظهار الزينة للرجال الأجانب وهو المذموم ، أما للزوج فلا" (٢).

فظاهرة التبرج كانت شائعة قبل الإسلام، وحذر الله تعالى منها ومما حصل فيها من الموبقات والفساد والشرور، قال السيوطي في تفسير: ﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ أي إلزمن بيوتكن وابقين فيها ولا تخرجن منها ، فكانت المرأة في عصر الجاهلية تلتقي بالرجال، في أبشع صور التبرج لغرض إثارة غرائزهم (٣).

وقال هاشم البحراني : واختلف في المراد من الجاهلية الأولى على أقوال عدة منها:

القول الأول: الجاهلية الأولى ما كان قبل الإسلام.

القول الثاني: ما كان بين آدم ونوح (عليهما السلام).

القول الثالث: ما بين عيسى ومحمد(عليهما السلام).

يبدو أنَّ القول الأول أرجح الأقوال؛ لأنَّ الناظر إلى حياة العرب قبل الإسلام، وعلى وجه الخصوص المرأة، يجد أنها تتبرج وتتزين وتخرج من بيتها ، دون محاسبة أو مراقبة ، وتلقي بالرجال وهي على هذه الحالة، وهذا ما ذكره مير علي الحائري المفسر: وفيها كان للمرأة زوج وخليل في آن واحد ، فتجعل لزوجها نصفها الأسفل ، ولخليلها النصف الأعلى يقبلها ويعانقها (٤).

---

(١) يُنظر: ابن فارس، مقاييس اللغة،٢٣٨/١.

(٢) محمود عبد المنعم: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية،٤٢٣/١.

(٣) يُنظر: البرهان في تفسير القرآن، ٤٤٣/٤.

(٤) يُنظر: تفسير مقتنيات الدرر، ٣٠٠/٨.

ومثل ذلك ما ذكره السيد الطباطبائي(ت:١٤٠٢هـ) في بيان حال المرأة قبل الإسلام فقال: " وأما النساء ... فقد كن يتبرجن بالزينة ويدعون من أحببن إلى أنفسهن، وفشا فيهن الزنا والسفاح حتى في المحصنات المتزوجات منهن، ومن عجيب بروزهن أنهن ربما كن يأتين بالحج عاريات "[١].

فكيف كان فالتبرج كان سنة سيئة كانت في عصر الجاهلية، وكان سائداً عندهم، فجاء الدين الإسلامي في تشريعاته المتعلقة بالمرأة، فقلع هذه العادات السيئة وفق مصلحة الإنسان سواء كان رجلاً أو امرأة ، وهذا ما ذكره الشهيد مطهري: وأن بعض الأحكام وجدت لمصلحة الإنسان رجلاً كان أو امرأة ، وما تخصيص الحجاب بالمرأة وذلك لأنها الهدف ، فهي مظهر الجمال والرجل ينجذب إليها ، فلا يمكن للمرأة استعراض مفاتنها وإظهار نفسها وزينتها للرجال، فالمرأة بطبيعتها تعرض مفاتنها وكنوزها للاطلاع عليها، وبذلك فإن حب الرجل يزيد من رغبة المرأة في الكشف عن نفسها ومن هنا يصبح التبرج من سمات المرأة [٢].

ومن الجدير بالذكر لم تقتصر حرمة التبرج على النساء اللواتي في ريعان شبابهن ، بل حتى النساء القواعد الطاعنات في السن ، فقد أجاز لهن التشريع بوضع ثيابهن دون التبرج بالزينة ، قال تعالى: ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ {سورة النور:٦٠} وقد ذهب القرطبي(ت:٦٧١هـ) في تفسيره هذه الآية فقال: نهى الله تعالى النساء العجائز اللواتي ليس لهن رغبة في الرجال أن تتبرج بالزينة ؛لينظر إليهن، فذلك بعيد عن الحق[٣].

---

(١) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن،١٥٢/٤.

(٢) يُنظر: منتظري، مسألة الحجاب، ص١٢٢.

(٣) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،٣٠٩/١٢.

ويبدو أنَّ القرآن الكريم شدد كثيراً في مسألة الحجاب وعدم التبرج ، نراه لم يرخص ذلك للنساء اللواتي وصلن إلى سن اليأس ، ولا رغبة جنسية للرجال فيهن ، فضلاً عن النساء اللواتي في عنفوان شبابهن ، لكي يقطع دابر الفساد حتى لا يصل الى مرحلة التعري ، وهذا ما لمسناه في بعض المجتمعات الغربية ، قد سعى الغرب إلى ذلك بكل قوة قال محمد أحمد المقدّم : كانت مخططات الأعداء تهدف إلى شل المرأة المسلمة وحرفها عن وظيفتها البناءة، وهي تربية الأسرة وفق الثوابت الإسلامية ، وبعد ذلك زج بها في مواقع الفتنة حتى تدمر أخلاقها بحجة المصطلحات البراقة كالتحرر والتجديد والتقدم [1]، فهو سعي إلى إفسادها قال تعالى: ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ {سورة المائدة:٦٤} .

وخلاصة ما سبق: إنَّ القرآن الكريم عالج تلك الإشكالية بعدة خطوات جوهرية واستباقية تدريجية ابتداء من مرحلة غض البصر وحفظ الفرج، وعدم التبرج إلا للزوج لكي يغلق الباب بوجه المرأة في إبراز مفاتنها، حتى لا تتوقد نار الشهوة في نفوس الناظرين، وصولاً إلى مرحلة عرض الحجاب بشكله الأولي كما هو الحال في قوله تعالى:﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ {سورة النور:٣١} ، ثم ذكر مرحلة الاحتشام والستر وعدم استعمال الأصوات الأنثوية المغنجة في إثارة الشهوات ، ثم مرحلة بقاء المرأة في البيت ، وثم التبرج كما تفعل نساء الجاهلية الأولى ، فهيأ القرآن الكريم هذه المراحل تباعاً وفق حكمة دقيقة ، ثم بين المرحلة الأخيرة والحاسمة عن طريق بيان فلسفة الحجاب ، وتطبيقه على نساء النبي(ﷺ) وبناته ونساء المؤمنين قال تعالى:﴿ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ {سورة الأحزاب:٥٩} ، فهنا أوجب الله تعالى الحجاب بصيغته النهائية[2].

---

(١) يُنظر: محمد أحمد المقدم، عودة الحجاب،٣/٢٠-٢١.

(٢) يُنظر: محمد علي هاشم الاسدي، التبرج في الجامعات أحكامه، أسبابه، علاجه في ضوء القرآن الكريم والفقه الإسلامي، ص٣وما بعدها.

وخلاصة القول: فإنَّ هذه الإشكاليات التي طرحت لا تصمد أمام النقد ونجد أن القرآن الكريم رد عليها ، لا سيما ما يتعلق بميراث المرأة التي ساوى بينها وبين أخيها الرجل وجعل لها الصداق عوضاً لها عما فقدته، والحال نفسه فيما طرح من المساواة بينها وبين الرجل، فقد كان الإنفاق واجباً على الرجل ، وعليه كل مقتضيات المعيشة من السكن والمأكل والملبس وغيرها، وبالمقابل لم تظلم المرأة ولم تنتهك حرمتها عن طريق حجابها ، فهو ستر وعفاف لها، وللمجتمع ، فقد حصنها الله تعالى بذلك التشريع ، فلم يظلمها ، ولم يحقرها، وغير ذلك من الإشكاليات آنفة الذكر.

وفي قبال ذلك نجد أنَّ المفسرين وعلماء المسلمين أشبعوا تلك الإشكاليات دراسة وبحثاً، وأبانوا لخصوم الإسلام العلل من تلك التشريعات، وبذلك تدحض تلك الإشكاليات وبيان عجز أصحابها، ومكرهم في تشويه سارية الإسلام.

الفصل الرابع- الإشكاليات الاقتصادية المعاصرة وطرق علاجها في القرآن الكريم

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول- الإشكاليات الاقتصادية المعاصرة المتعلقة بفريضة الزكاة وطرق علاجها في القرآن الكريم

المبحث الثاني- إشكالية انكار سهم المؤلفة قلوبهم عند الحداثيين

المبحث الثالث- الإشكاليات الأقتصادية حول فريضة الحج وعلاجها في القرآن الكريم

المبحث الرابع- إشكالية الحداثيين حول فريضة الخمس وعلاجها في القرآن الكريم

المبحث الخامس-إشكالية نسبة الخمس إلى الله تنافي غناه وعلاجها في القرآن الكريم

الفصل الرابع: الاشكاليات الاقتصادية وطرق علاجها في المنظور القرآني

توطئة:

لم يكن النظام الاقتصادي الإسلامي بمعزل عن الإشكاليات والالتباسات التي استجدت على الساحة الإسلامية في العصر الحاضر، واخذت حيزاً كبيراً من تشريعاته المختلفة، ومن المعلوم أنَّ الركائز الأساسية التي يعتمد عليها الاقتصاد الإسلامي هي الحج والزكاة والخمس وغيرها.

ولكن لم تسلم تلك الدعائم والركائز من الإشكاليات التي حامت حولها، وكان استهداف السياسة المالية الإسلامية وفق منهج مرسوم ومحدد، ففي بداية القرن العشرين تبنت بعض الدول العظمى والمؤسسات الاستعمارية الوصول إلى أهدافها عن طريق إشاعة الإشكاليات المعاصرة وبثها، وكان دور الحداثيين في الترويج لهذه الإشكاليات كبير، محاولة منهم زعزعة النظام الاقتصادي الإسلامي وإحلال محله النظم الغربية الاقتصادية.

فعمد بعض الحداثيين وبعض المؤسسات المعاصرة إلى ضرب الاقتصاد الإسلامي في العصر الحالي، من خلال القراءة المعاصرة للتشريعات الاقتصادية الإسلامية كالزكاة والخمس والحج وغيرها. ولكن القرآن الكريم كان بالمرصاد لمثل هذه الإشكاليات من خلال وضع المعالجات العصرية على وفق مبدأ التوازن الاقتصادي لتحقيق التوازن الاقتصادي، فما ذكر من التباسات حول تلك التشريعات كما هو الحال في وثنية الحج ودمويته ، ونسبة ذلك إلى الرواسب الجاهلية هي مفاهيم خاطئة، ونظير ذلك فريضة الخمس والقول باستحبابه واباحته ، ونسبة الخمس له تعالى ، للتبرك لا لأنه فقير ومحتاج إلى ذلك ،بل هو الغني المطلق .

وكانت النظرة القرآنية لمثل هذه الإشكاليات ما بين الرفض القاطع لها، والمصحح لبعضها، مما يدل على عظمة القرآن الكريم والسنة المطهرة في مواجهة المشكلات العصرية لا سيما الاقتصادية منها.

المبحث الاول: الإشكاليات الاقتصادية المتعلقة بالزكاة وعلاجها في القرآن الكريم

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الدين الإسلامي الحنيف، ولمكانتها المهمة اقترنت بالصلاة في كثير من الآيات تربو على سبعة وعشرين موضعاً، وقد كثر الحديث حول هذه الفريضة بين الوجوب والاستحباب. وفي هذا المبحث نحاول تحديد الإشكاليات التي طرأت على هذا التشريع، وعلاج ذلك وفق المنظور القرآني.

المطلب الأول: إشكالية استحباب الزكاة عند بعض الحداثيين

لم يختلف المسلمون بكل مسمياتهم على وجوب فريضة الزكاة منذ بزوغ فجر الإسلام حتى يومنا هذا ، والدلائل القرآنية والروائية شاهدة على ذلك قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ {سورة التوبة:١٠٣} ومن السنة ما يعزز ذلك أيضاً روى احمد عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ " (١). والمراد بالاستحباب في اللغة: أي قبله وفضله واستحسنه(٢) وفي الاصطلاح :" ما رغب فيه الشارع ولم يوجبه" (٣) . وأمّا تعريف الزكاة :" قدر من المال في مال مخصوص لمالك مخصوص" (٤).

وعمل المسلمون بهذه الفريضة في زمن النبي (ﷺ) وما بعده من الأزمان ، ولكن بعض منظري التيار الحداثي كعبد المجيد الشرفي وغيره ذهبوا إلى أنها غير واجبة فقال: إنَّ الزكاة ليست واجبة ، بل هي اختيارية ، فقد شرعت الزكاة لتراعي معهود العرب في حياتهم التي كانوا يعيشونها ، فهي لم تمس الثروات الكبيرة والضخمة ، بل إنها تمس الثروات الصغيرة والمتوسطة ، ولم توضع حداً للثروات الكبيرة التي تقوم على الربح المرتفع ؛لأنَّ ذلك لم يكن معهوداً في زمن النبوة ، فالزكاة بهذا المضمون لا تنال الفوارق الطبقية الكبيرة، فهي وضعت لمجتمع ليس فيه

---

(١) مسند أحمد بن حنبل،٢١٣/١٠. الحلي، المعتبر،١١/٢.

(٢) يُنظر: احمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة،٤٣٢/١.

(٣) محمود عبد المنعم: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، ٢٧٦/٣.

(٤) المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف،١٨٦/١.

هذه الفوارق الطبقية الكبيرة [١]. ومثله ذلك ما يراه محمد سعيد عشماوي من القول: بأنَّ الزكاة جاءت في القرآن الكريم تطوّعاً ولا إلزام بأدائها فقال: فما جاء في القرآن الكريم خاص بالصدقة والمال كما قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ {سورة التوبة:١٠٣} ، ولم تصبح الصدقة في النظام الإسلامي إلا بعد النبي (ﷺ) ، فالصدقة لا إلزام فيها فهي طوعية لا تؤدى إلا إلى النبي (ﷺ) ، فهذا البذل من المال و لأجل اعتياد الإنسان على العطاء من ماله، فتكون الزكاة غير واجبة حسب زعمه [٢].

ويبدو أنَّ النظرة الحداثية تجاه هذا التشريع تقوم على مبدأين اثنين : أحدهما: نفي الزكاة والقول بعدم وجوبها واسقاط فرضيتها الوجوبية، واكسائها ثوب الاستحباب والاختيار، وإنْ قيل بوجوبها فهي تختص بالفترة الزمنية للتشريع في عهد النبي (ﷺ)، وهدف هذا القول هو التحرر من سلطة النص التي يتبناها الحداثيون ، يقول نصر حامد أبو زيد: وقد آن الأوان لمراجعة التشريعات والانتقال إلى مرحلة التحرر من سلطة النص، وكل سلطة من شأنها أنْ تعيق مسيرة الإنسان إلى عالمنا ، فعلينا أنْ نقوم بذلك وفوراً قبل فوات الأوان ، وقبل أن يجرفنا الطوفان [٣].

والثاني: إنَّ هذا التشريع لا يساير النظرة العصرية الحديثة، حيث أنّ الزكاة بمفهومها الحالي، تمس الطبقات الصغيرة والمتوسطة، دون الكبيرة ذات الأرباح المرتفعة، وذلك أنَّ العرب لم يكونوا من ذوي الدخول العالية، فوضعت الزكاة على وفق الطبقة الصغيرة والمتوسطة، فلا تصلح لهذا العصر؛ لوجود الطبقات الكبيرة، فهي غير واجبة في هذا العصر.

وقد سلك التيار الحداثي هذه الطريقة وتبناها، وإلى ذلك أشار عبد المجيد الشرفي حيث قال:" ما فرض من تفاصيل في العبادات والمعاملات – متى وجدت وهي قليلة جداً- سوى أثر لمقتضيات الاجتماع في عصر الرسول، وفي البيئة الحجازية البسيطة

---

(١) يُنظر: عبد المجيد الشرفي، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، ص٦٣.
(٢) يُنظر: محمد سعيد عشماوي، جوهر الإسلام، ص٧٠.
(٣) يُنظر: نصر حامد أبو زيد، الإمام الشافعي وتأسيس الأيدولوجية الوسطية، ص١٤٦.

في طرق عيشها، وفي العلاقات بين أفرادها دون غيرها من البيئات، ولا سيما الحديثة منها في مشارق الأرض ومغاربها " [١].

ويبدو أيضاً: أنَّ هذه الفكرة الداعية إلى الإصلاح الديني والفقهي في بعض التشريعات الإسلامية، هو مخطط مرسوم من الأنظمة الكافرة؛ لكي يوهن بعض المثقفين بالثقافة الغربية تحت مسمى الإصلاح الديني، وحددوا مواصفاته الخاصة التي ترمي في النهاية إلى نبذ التشريعات الإسلامية والتمسك بأوربا وتشريعاتها الخبيثة [٢]. وفي المطلب الآتي نحاول علاج هذه الإشكالية.

المطلب الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية استحباب الزكاة عند بعض الحداثيين

لقد أوجب الله تعالى في القرآن الكريم تشريع فريضة الزكاة على نحو الوجوب، وبين سبل الاستفادة منها، قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ { سورة التوبة:١٠٣} ، ولكن بعض المتحاملين على هذا الدين ، نسبوا هذا الركن إلى الاستحباب ، وفي هذا المطلب نحاول بيان العلاج القرآني تجاه هذه التفسيرات المنحرفة وطرق نقدها .

أولاً: دلالة فعل الأمر (خذ) ظاهر في الوجوب

يقول الأصوليون إنّ دلالة فعل الأمر ظاهرة في الوجوب، فلا يمكن حملها على الاستحباب كما في قوله : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ وذكرعلي أصغر مراويد : " هي مختصة بالزكاة ، لأنَّ الأمر على الإيجاب، ولا يجب من الانفاق على الكل إلا الزكاة" [٣] .

ومثل ذلك ما ذكره أبو بكر الجصاص في ذلك حيث قال: ثم أنَّ الصدقة عامة ومطلقة في الوجب عليهم وعلى غيرهم [٤].

---

(١) عبد المجيد الشرفي: الإسلام بين الرسالة والتاريخ، ص٦١.

(٢) يُنظر: سفر عبد الرحمن بن أحمد، العلمانية وأثرها في الحياة الإسلامية المعاصرة، ص٤٨٦.

(٣) علي أصغر مراويد: الينابيع الفقهية، ٢٠٧/٥.

(٤) يُنظر: احمد بن علي الجصاص، الفصول في الأصول، ٣٤٣/١.

والزكاة عند الأصوليين في هذه الآية تحمل على الوجوب، لا على الاستحباب، وبذلك تنتقض أراء الحداثيين وما ذكره العشماوي في القول بأستحباب الزكاة.

وأما المفسرون فلهم أقوال مماثلة لما ذهب إليه الأصوليون، حيث يرون وجوبها وأنها من التشريعات المحببة، وغايتها هي تزكية النفس من الخبائث، قال حيدر الآملي في تفسيره: إنَّ الله تعالى قد أوجب عليكم الزكاة، كما أوجب عليكم الصلاة، ففرض في الزكاة الذهب والفضة، والغلات الأربع كالحنطة والشعير والتمر والزبيب، وفي الأنعام كالأبل والبقر والغنم ... [١]. وأيد ذلك وعززه ابن عطية في تفسيره:" المراد بهذه الزكاة المفروضة، فقوله على هذا خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ. ضميره لجميع الناس، وهو عموم يراد به الخصوص إذ يخرج من الأموال الأنواع التي لا زكاة فيها "[٢].

ومن عجيب القول ما ذكره محمد سعيد العشماوي في استحباب الزكاة وينبغي أن تدفع إلى النبي (ﷺ) دون غيره من المسلمين ، ويلزم التفريق بين الزكاة والصدقة في هذه الآية فقال: لقد كنا نعتقد أنَّ الزكاة غير الصدقة ، فالزكاة ليست واجبة فهي اختيارية ، في حين أنَّ الصدقة – التي سميت فيما بعد بالزكاة- التي تدفع إلى النبي (ﷺ) بصفته نبياً لهذه الأمة ، لا بصفته حاكماً في ذلك على المسلمين مقابل الصلاة عليهم كما قال تعالى :﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ وبذلك تدفع له على هذا النحو، لا على نحو الوجوب[٣].

وقد حسم القرآن الكريم وقطع النزاع في هذه المجادلة، وعلى وجه الخصوص في هذه المسألة، واي معارضة وممانعة لتلك الآية هي من التأويل الذي لا دليل عليه، فقد ذكر الله تعالى الزكاة بمعنى الصدقة في كثير من آياته الكريمة كما في قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ {سورة التوبة:٦٠} .

---

(١) يُنظر: حيدر الآملي، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم،٢٢٣/٤.

(٢) ابن عطية الاندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،٧٨/٣.

(٣) يُنظر: محمد سعيد العشماوي، جوهر الإسلام، ص٨، والخلافة الإسلامية،٩٠/١.

ولم يصرح أحد من المسلمين غير ذلك، بل وأنَّ الإجماع منعقد على كون الصدقة هي الزكاة وهذا مما تسالمت عليه كلمة المسلمين جميعاً، قال الطباطبائي في تفسيره: تدل الآية الأولى على أنَّ الزكاة هي جزء من الصدقة، وإنما سميت زكاة لكون الصدقة مطهرة ومزكية مطلقاً، وقد غلب استعمالها في الصدقة المصطلحية، ومن هذا لا مانع من تسمية مطلق الصدقة والإنفاق في سبيل الله زكاة [١].

وفي المعنى نفسه هناك روايات كثيرة ومتضافرة مروية عن أهل البيت (عليهم السلام)، في بيان أنّ الصدقة هي الزكاة، فبينهما عموم وخصوص من وجه، روى هاشم البحراني في تفسيره عن زرارة عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: "قلت له: قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ هو قوله :﴿ وآتوا الزكاة﴾ ؟ قال: قال : الصدقات في النبات والحيوان والزكاة في الذهب والفضة"[٢].

وهذه الرواية تفنّد مزاعم العشماوي وأنَّ الزكاة والصدقة كلاهما واحد، ولكن الصدقة قيدّت بالنبات كالغلات الأربع: الحنطة والشعير والتمر والزبيب، وأما الحيوان فالمراد الزكاة الواجبة تتحقق في البهائم: كالأبل والبقر والغنم، وأما الأموال فتقع في الذهب والفضة.

وخلاصة الأمر: إنَّ الزكاة واجبة ويشهد لذلك دلالة فعل الأمر في الآية الكريمة، وما سطره المفسرون والاصوليون في دلالة هذه الآية على الزكاة الواجبة، ولا فرق بين الصدقة والزكاة، ويشهد لذلك ما ذكره الواحدي في تفسير قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ {سورة المؤمنون:٤} أي للصدقة الواجبة مؤدون، فعبّرعن الزكاة بالصدقة[٣]. وهنا تدحض وتنتفي مزاعم العشماوي وغيره في استحباب الزكاة، ويثبت وجوبها.

---

(١) يُنظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن،١١/٦.

(٢) هاشم البحراني: البرهان في تفسير القرآن،٨٣٧/٢.

(٣) يُنظر: الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن الكريم، ٢٨٤/٣.

ثانياً: الزكاة مطهرة للفرد والمجتمع

لم يفهم التيار الحداثي سر الفلسفة الأخلاقية والاجتماعية المتعلقة بتشريع فريضة الزكاة ، وحيث أنَّ القرآن الكريم ذكر بعضاً منها في آية الزكاة ، قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ {سورة التوبة:١٠٣} ، وقد حدد الغاية من هذه الزكاة وبذل الأموال فيها وهما التطهير والتزكية ، والمراد منهما كما قال الطباطبائي : التطهير: هو إزالة الأوساخ والأدران والقذارات من الشيء لغرض التصفية وتنقية جودته لكي يستعد للنشوء والنماء وظهور آثاره وبركاته ، والتزكية: هي النماء والزيادة وإعطاء الرشد له لإلحاق الخير فيه وظهور البركة، كالشجرة بقطع الزوائد من فروعها فتزيد في حسنها ونموها وجودة ثمرتها، فالجمع بين التطهير والتزكية في الآية من لطائف التعبير القرآني[١] .

ومثل ذلك ما ذكره ابن عجيبة في تفسيره في الفرق بين التطهير والتزكية فقال: من صفة تلك الصدقة: تُطَهِّرُهُمْ أنت يا رسول الله بها من الذنوب، أو من حب المال الذي يؤدي بهم إلى البخل، الذي هو أقبح الذنوب. والمراد من الَتُزَكِّية لهم أي: تنمي بها حسناتهم لإعطائهم تلك الأموال، أو ترفعهم بِها إلى درجات حتى تصل إلى درجات المخلصين لله تعالى[٢].

فلو علم العشماوي وغيره من الحداثيين الغاية والسر من تشريع الزكاة الواجبة، لما قال باستحبابها، خلافاً لما أقره القرآن الكريم والسنة المطهرة، فهي ترفع الدرجات وتُطهر فاعلها من الذنوب حتى يصل إلى مصافي المخلصين المؤمنين الذين مدحهم الله تعالى في كتابه الكريم، قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ {سورة الأعلى: ١٤} ، وهذا ما أكده السمعاني في تفسيره: أي فاز ونجا من طهر ماله بالعمل الصالح، وأعطى زكاة ماله تقرباً إلى الله تعالى[٣].

---

(١) يُنظر: الميزان في تفسير القرآن، ٣٧٧/٩.

(٢) يُنظر: ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ٤٢٥/٢.

(٣) يُنظر: السمعاني، تفسير القرآن، ٢١٠/٦.

وفي ظل تطبيق هذه الفريضة الإلهية سيتخلص الإنسان من البخل وحب المال والركون إلى الدنيا، وهذا ما قاله ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره: إنَّ هذه الآية تشير إلى نوعين من الفلسفة الأخلاقية والاجتماعية لفريضة الزكاة وهما (التطهير والتزكية) فالمقصود من التطهير هو الامتناع من الرذائل الأخلاقية مثل: حب الدنيا وعبادتها، والتطهير من آفة البخل، وتزرع مكانه حب السخاء والجود ، ورعاية حقوق الآخرين في نفوسهم، وفوق كل ذلك ، يُطهر المجتمع من المفاسد الاجتماعية والأخلاقية التي تتولد من الفقر... فكل ذلك سيقتلع في تطبيق هذه الفريضة المقدسة وأدائها ، وسيفعّل التكافل الاجتماعي، وينمو الاقتصاد الإسلامي في ظل تطبيق هذه البرامج (١).

ثالثاً: فريضة الزكاة تسهم في القضاء على التفاوت الطبقي في المجتمع

لا يخفى على ذي حجر أنَّ الزكاة وتطبيقها وفق التشريع الإسلامي ، تسهم وبلا شك في القضاء على التفاوت الطبقي في المجتمع ، ويقلل من مستوى الفقر ، وعندها تتقارب الفوارق الطبقية ، فقد جعل الله المال للتداول بين الناس ، لا بين الأغنياء وحدهم ، وقد ذم القرآن الكريم التداول بين الأغنياء، فقال تعالى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ { سورة الحشر:٧} قال الفيض الكاشاني في بيان معنى الآية الكريمة حيث قال: وفي ذلك تصريح من الله تعالى في نبذ التداول المالي بين الأغنياء وحدهم دون الفقراء منهم، فهذه العادة كانت سائدة عند أهل الجاهلية، فجاء القرآن الكريم واقتلعها من أساسها عن طريق التداول بالمال بين الأغنياء والفقراء (٢).

ووافق محمد دروزة الكاشاني فقال: معنى ذلك أن فريضة الزكاة تعالج هذا الاحتكار المالي ، وحصره بين طبقة الأغنياء وحدهم ،وهذه الجملة بصدد منع الأغنياء من تداول المال فيما بينهم ، وهي تقرر معنى جليلاً بعيد المدى ، وهو أنه لا ينبغي أن تكون الثروة والمال محصوراً بيد فئة قليلة معينة من الناس دون غيرهم (٣).

---

(١) يُنظر: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل، ٢٠١/٦.

(٢) يُنظر: الفيض الكاشاني، الوافي، ٦١/٢٦.

(٣) يُنظر: محمد دروزة، التفسير الحديث، ٣١٣/٧.

فالزكاة بهذا المنظور لها أثر اقتصادي على الفرد والمجتمع، فهي تحقق العدالة والتوازن بين طبقات المجتمع، فتكون وسيلة لتحقيق العدالة الاقتصادية، دون أن تتركز الثروة في أيدي فئة الأغنياء على حساب بؤس الفقراء، وهذا ما أشار إليه محمد باقر الصدر: إنَّ الثروة حين تتركز في أيدي قليلة من النّاس، يؤدي ذلك إلى البؤس والفقر، وتشتد الحاجة لدى السواد الأعظم من النّاس، ونتيجة لذلك سوف يعجز الجمهور عن استهلاك ما يشبع حاجاتهم من السلع لانخفاض القوة الشرائية عندهم (٢).

وخلاصة ما سبق: إنَّ إشكالية استحباب الزكاة دون وجوبها التي خرج بها دعاة الحداثة ، كالشرفي والعشماوي وغيرهم، فندت لإجماع الأصوليون والمفسرين وعامة المسلمين على وجوب فريضة الزكاة ، فهي ثابتة في القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ولا فرق بينها وبين الصدقة فكلاهما واحد ، فتنتفي بذلك تأويلات ومزاعم هؤلاء ، ثم إنَّ إضفاء الوقتية على هذه الفريضة وحصرها بالنبي (ﷺ) وحده، دون غيره غير دقيق فهي تشمل الإمام والأئمة من بعده أيضاً، روى المجلسي عن علي بن حسان الواسطي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال:" سألته عن قول الله :﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ جارية في الإمام بعد الرسول (ﷺ) قال : نعم " (٣).

وهذه الرواية كفيلة بدحض مزاعم العشماوي وغيره في اقتصار الزكاة على النبي (ﷺ) فقط، فهي تشمل الأئمة الهداة من بعده فهم مأمورون بأخذ الزكاة من الناس، لتطهيرهم وتزكيتهم من الأوساخ المالية كحب المال، وعدم التفريط به.

---

(١) يُنظر: محمد باقر الصدر، أقتصادنا، ص٦٢٨-٦٢٩.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار، ٢٢/٢٠.

المبحث الثاني: إشكالية سهم المؤلفة قلوبهم عند الحداثيين

يرى بعض الحداثيين أنَّ بعض الأحكام في الشريعة الإسلامية لا يمكن تطبيقها في هذا العصر، ومن هذه الأحكام حكم المؤلفة قلوبهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ {سورة التوبة :٦٠} ولكن هذه الآية اتخذها بعض الحداثيين ذريعة في إسقاط بعض الأحكام وعلى وجه الخصوص سهم المؤلفة قلوبهم .

المطلب الأول: بيان إشكالية سهم المؤلفة قلوبهم وفق المنظور الحداثي

تبنى بعض الحداثيين دراسة التشريعات على وفق علاقة النص بالواقع وخرجوا بنتيجة مفادها أنَّ بعض الأحكام انتفت الحاجة إليها، فهي لا تصلح إلا في زمن النبي (ﷺ) وبذلك تنتفي عالمية القرآن وعموم تشريعاته المقدسة، ومن بين تلك التشريعات المتعلقة بالزكاة هو سهم المؤلفة قلوبهم ، فقد حددت آية التوبة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ ، وقد اشار ابن منظور إلى لفظ المؤلّف:" من ألف الشيء أي بمعنى جمعه، ومنه المؤلفة قلوبهم: الذين جمع قلوبهم على الإسلام بإعطائهم جزءاً من مال الصدقات" (١). وفي اصطلاح بعض المفسرين قال قطب الدين الرواندي:" المستمالة قلوبهم بالإحسان والمودَّة، حيث كان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يترضَّاهم في أوّل الإسلام بالإحسان إليهم وإعطائهم من أموال الصَّدقات" (٢).

ويبدو أنَّ التعريفين بمجملهما يدوران حول فئة جمعت قلوبهم على الإسلام، واعطائهم جزء من مال الزكاة، بهدف دفع ضررهم أو جلب منفعتهم للإسلام، وهذا ما أشار إليه قطب الدين الراوندي: والزكاة وجدت لأمرين أحدهما: سد خلة، والآخر: هو تقوية الإسلام وبيان عزته من خلال هذا التأليف(٣).

---

(١) ابن منظور، لسان العرب،١١/٩.

(٢) احمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ١١١/١.

(٣) يُنظر: قطب الدين الراوندي، فقه القرآن،٢٢٥/١.

والأصناف المستحقين للزكاة حددتهم الآية الكريمة دون لبس ومنهم سهم المؤلفة قلوبهم، ولكن بعض المعاصرين أسقط وجوب هذا السهم، بحجة أنَّ الواقع تغير وتبدل، وأنَّ العقائد مرتهنة بالواقع، وتبنى هذا الرأي طيب تنزيني[١] في كتابه [٢]، وفرج فودة [٣] في مؤلفه[٤] والصادق بالعيد[٥] وغيرهم كثير.

وعماد ما استدلوا برأيهم في الإنكار هو رواية البيهقي المروية عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ عَبِيدَةَ قَالَ: "جَاءَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَا: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ عِنْدَنَا أَرْضًا سَبِخَةً لَيْسَ فِيهَا كَلَأٌ وَلَا مَنْفَعَةٌ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَقْطَعَنَاهَا لَعَلَّنَا نَزْرَعَهَا وَنَحْرُثَهَا، ِ الْإِقْطَاعِ، وَإِشْهَادِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَيْهِ وَمَحْوِهِ إِيَّاهُ قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: " إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَأَلَّفُكُمَا وَالْإِسْلَامُ يَوْمَئِذٍ ذَلِيلٌ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ فَاذْهَبَا، فَأَجْهِدَا جَهْدَكُمَا لَا أَرْعَى الله عَلَيْكُمَا إِنْ رَعَيْتُمَا " [٦].

ويبدو أنَّ هذا الإجتهاد من الخليفة الثاني في بعض قضايا الشريعة، لا سيما ما يتعلق بفريضة الزكاة ومستحقيها، وبالخصوص سهم المؤلفة قلوبهم، هو الذي فتح الأفواه تجاه النص القرآني ونقده، فكل من ربط النص بالواقع عضّد ووهّن حجته بهذه الرواية، حتى وصل الحال ببعض الحداثيين المقايسة بين ما هو مقطوع به كالنص القرآني، وبين ما هو ظني الدلالة كرواية عمر سالفة الذكر، وهذا ما أكده سيد القمني

---

(١) طيب تنزيني: فيلسوف ومفكر سوري ولد في حمص عام١٩٣٤م حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة، له عدة مؤلفات منها: التفكير الاجتماعي والسياسي، ومن يهوة إلى الله، توفى عام ٢٠١٩(يُنظر: عبد الباسط سيدا، مقال بعنوان: طيب تنزيني حول شرط الإنتاج الفلسفي وإقامة الفكر العربي المعاصر، مجلة قلمون، ص٣٧).

(٢) يُنظر: طيب تنزيني، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، ص٢١٩.

(٣) فرج فودة: كاتب ومفكر سياسي اغتيل على أثر المناقشة بين طرفين أحدهما: إسلامي والآخر: علماني شكل حزباً سياسيا سماه حزب الوفد عام ١٩٨٤م، له مؤلفات عديدة منها: الحقيقة الغائبة، والملعوب وغيرها (يُنظر: محمد خير رمضان، معجم تكملة المؤلفين،٤١٥/١).

(٤) يُنظر: فرج فودة، الحقيقة الغائبة، ص٤٥-٤٦.

(٥) يُنظر: الصادق بلعيد، القرآن والتشريع قراءة جديدة في آيات الأحكام، ص٤٤.

(٦) البيهقي: السنن الكبرى،٣٢/٧ح١٣١٨٩.

في تغيير بعض الأحكام وإن كانت مخالفة للنص الشرعي، كما هو الحال في سهم المؤلفة قلوبهم فقال:"... إلغاء فريضة فرضها الله في قرآن يتلى وجعلها حقاً على المسلمين هي فريضة المؤلفة قلوبهم، بعد تغيير أحوال الواقع بتغيّر الزمان، حيث لم تعد هناك حاجة لشراء إيمان الجاحدين في الإسلام" (١).

ومن هنا تظهر نظرية الواقع والنص ودلالتها، وسبل تطبيقها في العصر الحالي، واسهمت بظهور تصورات خاطئة تجاه بعض التشريعات الإسلامية بسببها، وفعّلت هذه النظرية بشكل مكثف من قبل الحداثي نصر حامد أبو زيد فقال:" ولقد أدرك عمر بن الخطاب حكمة التشريع الذي يعطي للمؤلفة قلوبهم نصيباً من الزكاة لا من بنية النص ذاته، بل من السياق العام للنص، فأدرك أنَّ حكمة هذا التأليف تقوية الإسلام الذي كان ضعيفاً. ومع قوة الإسلام وسيطرته على الجزيرة العربية وامتداده إلى ما وراءها لم يعد ثمة حكمة في إعطاء جزء من الزكاة لمن لا يستحقها" (٢).

ومن خلال ما تقدّم في بيان هذه الإشكالية ومصدريتها، نحاول معالجتها وفق الرؤية القرآنية في المطلب التالي.

المطلب الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية سهم المؤلفة قلوبهم

اختلف العلماء في سهم المؤلفة قلوبهم بعد النبي (ﷺ) على نحوين: أحدهما: إنَّ سهم المؤلفة قلوبهم باقٍ في كل زمان ومكان، وهذا ما ذهب إليه قطب الدين الراوندي والزهري والحسن والماوردي الشافعي (٣). والثاني: وهو ما ذهب إليه أغلب المخالفين كالزجاج والشعبي وجابر والواحدي وغيرهم قال السمعاني: وهذا السهم سقط وغير موجود في هذا العصر وذلك لعزّة الإسلام (٤).

---

(١) سيد القمني: الفاشيون والوطن، ص٢١٥.

(٢) يُنظر: نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، ص١٠٣-١٠٤.

(٣) يُنظر: قطب الدين الراوندي، فقه القرآن،٢٢٥/١.

(٤) يُنظر: السمعاني، تفسير القرآن ،٤٥٦/٢.

ويبدو أنَّ القول الأول هو أقوى الأقوال، فحيث أنَّ سهم المؤلفة قلوبهم باقٍ إلى يوم القيامة، فلا يمكن اسقاطه بأي حال، وهذا ما تؤيده بعض الروايات الشريفة عن أهل البيت (ﷺ) روى الراوندي عن زرارة عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: قلت: أرأيت قوله: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ الآية كل هؤلاء يعطى أن كان لا يعرف؟ قال: إنَّ الإمام يعطي هؤلاء جميعاً؛ لأنهم يقرون له بالطاعة" (١). ومن خلال ذلك يمكن إجمال المعالجة القرآنية لهذه الإشكالية على النحو الآتي:

أولاً: لا إجتهاد في قبال النصوص القطعية

لا يختلف عاقلان بأنَّ النص القرآني قطعي الصدور، قطعي الدلالة، كما قال تعالى : ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ { سورة هود:١} وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ { سورة النحل :٦٤} ، فهو الثقل الأكبر ، وهذا يعطي النص القرآني مزية العصمة عند الإختلاف فهو المائز بينها ، فكل ما يعارض صريح القرآن فيضرب به عرض الجدار ، وإلى هذه الحقيقة أشارت السنة الشريفة أيضاً، روى الكليني عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ وغَيْرِه عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه (عليه السلام) قَالَ خَطَبَ النَّبِيُّ (ﷺ) بِمِنًى فَقَالَ:" أَيُّهَا النَّاسُ مَا جَاءَكُمْ عَنِّي يُوَافِقُ كِتَابَ اللَّه فَأَنَا قُلْتُه ومَا جَاءَكُمْ يُخَالِفُ كِتَابَ اللَّه فَلَمْ أَقُلْه " (٢).

ومثله ما رواه الحر العاملي عن أيوب بن الحر قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: "كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف " (٣).

فالمعصومية القرآنية التي ذكرتها الآيات الكريمة وما يعززها من أخبار روائية تثبت دون أدنى لبس، أنَّ اسقاط سهم المؤلفة بذريعة العصرنة والواقع، هو من الظن

---

(١) يُنظر: الرواندي ، فقه القرآن، المصدر السابق .

(٢)الكليني: الكافي،٦٩/١.

(٣)الحر العاملي: وسائل الشيعة،١١١/٢٧.

الذي لا يغني عن الحق شيئاً قال تعالى:﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ {سورة يونس:٣٦} فلا يكون مستنداً وقاعدة إزاء ما مقطوع به ومسلم بصحته، واجتهاد الخليفة الثاني ساقط عن الاعتبار لدلالة روايات العرض على ذلك.

وذكر علماء الإمامية أبواباً كثيرة بعنوان تعارض الأدلة في علم الأصول، وسبل الوقاية منها بطرق كثيرة، ومن أهمها طريق التساقط، وتقديم ما هو قطعي على الظن، وما رواية عمر آنفة الذكر إلا من قبيل ذلك.

ثانياً: أداة الحصر (إنما) وسياق الآية تدلان على وجوب سهم المؤلفة قلوبهم

ومن المعالجات التي ترد على إشكالية بعض الحداثيين في سهم المؤلفة قلوبهم، هو دلالة الحصر (إنما) الواردة في صدر الآية قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ { سورة التوبة:٦٠} فحصرت الآية هذه الأصناف المستحقين للزكاة دون غيرهم ، وقطعت كل شائبة من شأنها أن تدخل بأي ذريعة وحجة ، وقد أشار العلامة الحلي إلى ذلك فقال: جاءت إنما في صدر الآية للدلالة على الحصر بالنقل (١).

وذهب مالك والحنبلي إلى القول بوجوب صرف أموال الزكاة في الأصناف التي تختص بها التي ذكرتها الآية الكريمة، فلا يجوز ترك صنف منها دون غيرها؛ وذلك لأنَّ الآية متصدرة بأداة الحصر الدالة على أنَّ غير هذه الأصناف لا يستحق الزكاة (٢).

فما سبق بالحصر تباعاً يدل على أنَّ المراد من الأصناف المحصورة، مشتملة عليهم وفيهم ولا تخرج إلى غيرهم، فهم المستحقون للزكاة دون غيرهم، وللسياق في هذه الآية دلالة واضحة وراجحة على أنَّ سهم المؤلفة قلوبهم غير قابل للانتفاص، ولذلك نرى أنَّ ذيل الآية الكريم أشار إلى هذا التقسيم وبأنه فريضة من الله قال تعالى:﴿ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي مفروضة لهم وليست لغيرهم (٣) .

---

(١) يُنظر: العلامة الحلي، مبادئ الوصول إلى علم الأصول، ص٨٢.

(٢) يُنظر: احمد الإسكندري المالكي، الإنصاف فيما تضمنه الكشاف، /١٩٧.

(٣) يُنظر: مير علي الموسوي، مقتنيات الدرر،١٥٠/٥.

ثالثاً: بطلان الاستدلال بالأحداث التاريخية على الأحكام الشرعية

بعض الحداثيين استدل بروايات الاحداث التاريخية على اسقاط بعض التشريعات كما الحال في إسقاط سهم المؤلفة قلوبهم، في رواية عمر آنفة الذكر، فحكم بمشروعية هذا الحدث التاريخي، وتأسست بمقتضاه قواعد وشواهد على أن ذلك الفعل مسوغ لبيان حكم معين.

وهذا خطأ فادح فوقوع الشيء تاريخياً وحصوله للواقع المعاصر، بعد النص لا يعطيه حكماً بالمشروعية، فقد وقعت كثير من المؤاخذات التاريخية من بعض الصحابة في مظالم وأحكام وشركيات فكيف والحال هذا أن تتحول هذه الأمور إلى قضايا شرعية؟ (١).

ولذلك يقول ابن أبي الدنيا: " أما اشتراط الصحة الحديثية في قبول الأخبار التاريخية التي لا تمس العقيدة والشرعية ففيه تعسف كثير، والخطر الناجم عنه كبير، لأنَّ الروايات التاريخية التي دونها أسلافنا المؤرخون لم تعامل معاملة الأحاديث، بل تم التساهل فيها" (٢). واسقاط سهم المؤلفة قلوبهم من قبيل ذلك.

وخلاصة الأمر: أنَّ أداة الحصر حددت الأصناف المستحقة للزكاة وحدهم دون غيرهم، فلا يمكن استبعاد سهم المؤلفة قلوبهم وفق إجتهادات مخالفة للنص القرآني، أضف إلى ذلك أنَّ ذيل الآية الكريمة قطع النزاع في وجوب إعطاء سهم المؤلفة قلوبهم كما كان النبي (ﷺ) يفعل، وما استنتاج الحداثيين في إسقاط هذا السهم في العصر الحالي ولا قيمة له، فينبغي التسليم للنص الشرعي في وجوب هذا السهم وانه عام في كل زمان مكان، ومما يعاضد ذلك ما قاله ابن عطية الأندلسي في تفسيره هذه الآية: أنَّ سهم المؤلفة قلوبهم باق إلى يوم القيامة ،فإذا تأملت الثغور والمرابطين في سوح القتال وجدت فيها الحاجة إلى هذا الاستئلاف (٣). ومثله ما يراه الحر العاملي بالقول: فلا يوجد فريضة فرضها الله تعالى لا يوجد لها أهل(٤).

---

(١) يُنظر: فهد العجلان، التسليم للنص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة، ص١٥١.
(٢) ابن ابي الدنيا: العمر والشيب، ص٣٥.
(٣) يُنظر: ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،٤٩/٣.
(٤) يُنظر: هداية الأمة إلى أحكام الأئمة ،٦٦/٤.

المبحث الثالث: الإشكاليات الاقتصادية المعاصرة حول الحج وسبل علاجها

هاجم خصوم الإسلام العقائد والتشريعات الإسلامية محاولة منهم بيان أوجه النقص والخطأ في هذا الدين، فكان الباعث لديهم هو الجهل والحقد، فتوهموا بأن التشريعات الإسلامية كما هو الحال في فريضة الحج مأخوذ من الطقوس الوثنية، فحاولوا صباغة بعض أعمال الحج بصبغة وثنية على حد تعبير بعض الحداثيين [١].

المطلب الأول: إشكالية وثنية الحج عند بعض الحداثيين

حاول بعض الحداثيين غير المتورعين في الغايات والمقاصد المتعلقة بالشريعة الإسلامية ' إلصاق بعض الإشكاليات حول فريضة الحج المقدسة ، والشعيرة المباركة من القول بوثنيتها حيث يقول عبد المجيد الشرفي ما نصه : " إنَّ الحج من النصوص التي كانت تمارسها العرب قبل الإسلام، فتبناها الإسلام وأضفى عليها معنى جديداً منسجماً مع التوحيد، مع ذلك لا يمكن إنكار ما بقيت تحتوي عليه مناسك الحج من رواسب الذهنية الميتة الضارب جذورها في القدم، ونقصد بالخصوص ما فيها من رجم الشياطين ومن هدي. إننا لا ننكر من تمثله عملية الرجم من تفريغ للمكبوت، ومن تصريف عنف في اتجاه برئ "[٢].

ويبدو انَّ هذه الإشكالية في نظر البعض هي المقايسة بين طقوس الجاهلية التي كانت متبعة قبل مجيء الإسلام، وبين ما هو مشرع من الله تعالى تجاه فريضة الحج المباركة، فالقياس في ذلك نتج عنه التباس وسوء فهم لبعض التشريعات كما هو الحال في فريضة الحج ، حتى وصل الحال بهم إلى عدم التفريق بين ما هو مشروع ، وما هو مذموم في الدين الإسلامي ، وهذه النظرة أوجدها المستشرق جولد تسيهر قبل الشرفي فقال: " والحج الى المعبد الوطني العربي القديم في مكة أي إلى مكة بيت الله وهذا الركن الأخير احتفظ به محمد من الوثنية ، ولكنه جعله متفقاً والتوحيد وعدّل معناه مسترشداً في ذلك ببعض الأساطير الإبراهيمية " [٣] .

---

(١) يُنظر: راجي سلطاني، مقال بعنوان: شبهات حول فريضة الحج، مجلة بصائر الفكر، الإثنين ٢٩/يناير٢٠٢٣.

(٢) عبد المجيد الشرفي: الإسلام بين الرسالة والتاريخ، ص٦٥.

(٣) جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، ص٣٥.

وإلى ذلك أشار راجي سلطاني في بيان مفهوم الإشكالية لهؤلاء الحداثيين فقال: إنَّ الدين الإسلامي جاء-كما يدعي-إنه يبطل الخرافة الوثنية والوثنية هي عبادة الأحجار وتقديسها وتقديم القرابين لها، هي جزء من هذه الوثنية حيث أن من شعائر الحج الطواف حول الكعبة والسعي بين حجر وحجر (الصفا والمروة) وتقبيل الحجر الأسود والوقوف على حجر (جبل عرفات) ورمي حجر بحجر (رمي الجمار) فلا فرق بين الحج والوثنية، فإنَّ الإسلام قد أبطل الوثنية الجاهلية، وجاء بوثنية أخرى لها طقوسها ومناسكها الخاصة بها (١).

وهؤلاء المعطلة الجدد على حد تعبير يوسف القرضاوي الذين يزعمون معرفتهم بمقاصد الشريعة وروحها، معطلة الأحكام الجزئية للقرآن العزيز والسنّة الصحيحة مدّعين أنَّ الدين جوهراً لا شكلاً وحقيقة لا صورة ... وهم في الواقع لا يعرفون الصحيح من الضعيف، وأولوا القرآن فأسرفوا في تأويله، وحرّفوا الكلم عن مواضعه، وتمسكوا بالمتشابهات وأعرضوا عن المحكمات، هؤلاء أدعياء التجديد من العلمانيين والمتغربين والحداثيين، أفحموا أنفسهم في الشريعة ولم يعرفوا أبوابها (٢).

ويبدو أنَّ هذه الإشكالية في التطبيق الحداثي لها، تقوم على مبدأ حاكمية العقل على النص وسيادته وتأليهه وإطلاقه من القيود حيث يبيح لهؤلاء رد المنقول مهما كانت قوته وسمته، ولذلك نرى الشرفي وغيره يتعكزون على حالات قليلة في إثبات آرائهم ومعتقداتهم، فقال: ولقد كرر الغزالي عبارة جميلة وهي (استفت قلبك) التي تعد قاعدة ينبغي الرجوع إليها في ردم الفجوة بين الدين والدنيا ، كسر التقليد الأعمى – حسب زعمه- من غير برهان ولا دليل ؛لأنَّ ظروف الحياة تغيرت تغيراً شاسعاً واختلفت المقاييس بين حياة الآباء والأجداد وظروفهم (٣).

---

(١) يُنظر: راجي سلطاني، مقال بعنوان: شبهات حول فريضة الحج، مجلة البصائر، الإثنين، ٩ / يناير، ٢٠٢٣.

(٢) يُنظر: يوسف القرضاوي، دراسة في فقه مقاصد الشريعة، ص٤٠.

(٣) يُنظر: عبد المجيد الشرفي، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، ص٦٦.

وفي المطلب الآتي بيان للعلاج القرآني لإشكالية الحج وشعائره المختلفة مأخوذ من الطقوس الوثنية قبل الإسلام وإثبات عدم صحة هذا المعتقد والرد عليه وتفنيده:

المطلب الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية الحج طقوس وثنية عند الحداثيين

قبل بيان المعالجة القرآنية لإشكالية الحج من قبل الحداثيين يلزم بيان المفهوم اللغوي والاصطلاحي للحج، ففي اللغة قال الخليل: حج هو كثرة القصد إلى من يعظم، ومنه يقال: حج علينا فلان، أي قدِمَ (١).

واما في الاصطلاح عرفه لطف الله الصافي: "اسم لمجموع المناسك التي تؤتى بها في المشاعر المخصوصة" (٢).

وأوضح عبد النبي الأحمد الحج فقال:" هو قصد زيارة بيت الله الحرام بصفة مخصوصة في وقت مخصوص وهو يوم الحج"(٣).

ومن هنا يتضح أنَّ الحج هو قصد بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج المعروفة، لعظم هذا المشهد المشرف، وتلبية لدعوة الله تعالى وجوباً، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ { سورة آل عمران:٩٧} . ومن خلال ذلك نذكر المعالجة القرآنية على النحو الآتي:

أولاً: الفهم الخاطئ لمفهوم الوثنية

عند تتبع الوثنية بمفهوم المقايسة الذي تبناه الحداثيون وغيرهم، نجد أنَّها وردت في القرآن الكريم في ثلاث آيات فقط، قال تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ { سورة الحج:٣٠} وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾ { سورة العنكبوت:١٧} وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ {سورة العنكبوت: ٢٥} .

---

(١) يُنظر: الخليل، معجم العين،٩/٣. ابن دريد الازدي، جمهرة اللغة، ٨٦/١.

(٢) لطف الله الصافي، فقه الحج بحوث استدلالية في الحج ،١١/١.

(٣) عبد النبي الأحمد نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ،١٠/٢.

فالمتأمل فيها يجد أنها في مقام الذم للعقائد التي يعتنقها الكفار، والمراد بالأوثان: " الأحجار التي كانت تعبد في زمن الجاهلية"(١).

ومن خلال تتبع كتب المفسرين وكلماتهم في هذه الآية: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ يجد أنها وردت في معانٍ كثيرة منها:

١-المراد من الأوثان العاب الشطرنج والغناء وهذا ما ذهب إليه القمي وهاشم البحراني والحويزي وغيرهم، عن ابن ابي عمير عن هشام عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال: الرجس من الاوثان الشطرنج وقول الزور الغناء(٢).

٢- ذهب الطبري وغيره في معنى الأوثان هي الأصنام (٣).

٣- الأوثان بمعنى الأثم والعذاب وهو قول الواحدي (٤).

وهذا الاختلاف في مفهوم الوثنية يطيح بالمزاعم القائلة إنَّ الحج عبارة عن طقوس وثنية فالوثنية بمفهومها العام:" هي اعتقادُ النفعِ والضرِّ وأيٍّ من خصائص الألوهية لغير الله سبحانه وتعالى. أو التوجه بأنواع العبادات والشعائر الدينية تعظيمًا وتقربًا لغيره عز وجل" (٥).

فادعاء أنَّ الحج فيه طقوس وثنية ادعاء باطل يكذبه القرآن الكريم، فلا علاقة بين طقوس الحج والوثنية لا من قريب ولا من بعيد لا شكلاً ولا مضموناً، فقد هاجم القرآن الكريم الوثنية بكل مسمياتها، بل وحتى قطع الوساطة بينها كما قال تعالى في ادعاء الكفار من أنَّ الأصنام تقربهم إلى الله تعالى قال تعالى: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ { سورة الزمر:٢} ، يقول أحد المفسرين : ظن هؤلاء أنَّ وساطة هذه الأصنام وعبادتها تقربهم إلى الله تعالى في الدنيا والاخرة ، فكان جواب الله لهؤلاء

---

(١) ناصر مكارم الشيرازي: المثل في تفسير كتاب الله المنزّل، ٣٣٥/١٠.

(٢) تفسير القمي،٨٤/٢، البحراني: البرهان في تفسير القرآن، ٨٨١/٣، الحويزي : نور الثقلين،٤٩٥/٣.

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٦١٨/١٨.

(٤) يُنظر: الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ٢٦٩/٣.

(٥) دار الأفتاء: الرد على شبهة الحج طقوس وثنية، ٢٠١٣/٣/٢٨.

لهم أنّ هذا العمل شرك يبعدهم عن الله تعالى، فهم في عداد الكفار بفعل الوساطة الصنمية [١].

فهذه الأوهام والمزاعم التي وقع فيها الكفار والمشركون، هي ذاتها وقع فيها الحداثيون وسوء الفهم واللبس في مفهوم الوثنية هو الذي أدى بهم في نهاية المطاف إلى القول، بأنَّ الحج طقوس وثنية، فلو تدبروا في أسس الحج وأعماله لاتضح لهم سوء فهمهم، فهذا أبو الأنبياء كما قرره القرآن الكريم من دعوته لله تعالى من تجنب عبادة الأصنام له وبنيه، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ { سورة الرعد:٣٥} فكيف والحال هذا انتساب الحج إلى الوثنية؟

أضف إلى ذلك أنَّ الوثنية حطمها نبي الله إبراهيم (عليه السلام) ، وقد شهد لذلك القرآن الكريم في تصوير علاقة خليل الرحمن بقومه ، فحطم الأصنام جميعهاً إلا كبيرهم قال تعالى : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۞ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ { سورة الأنبياء:٥٧-٥٨} وقد أشار الطبرسي في تفسيره لهاتين الآيتين : أقسم إبراهيم (عليه السلام) أنْ يدبر الكيد لأصنام المشركين سراً ،فكان ذلك يوم عيدهم الذي يحيونه من كل سنة، فعادتهم كانت إحياء ذلك العيد ، ومن ثم التبرك بالأصنام والسجود لها، فقطعهم قطعاً قطعاً، إلا كبيرهم تركه ووضع الفأس في عنقه حتى يرجعون إليه ويسألونه عن الفعل ، لغرض التنبيه على جهلهم [٢].

فهذه الرؤية العلاجية القرآنية، تكون رادعة للفهم السقيم الذي تبناه الحداثيون، وإفشال آرائهم السقيمة حول الحج ومقتضياته، فليس في الحج أي علاقة بينه وبين الطقوس الوثنية، بل إنَّ الوثنية لفظت أنفاسها الأخيرة بمجيء الإسلام وتشريعاته الحكيمة المباركة.

---

(١) يُنظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ٤٦٢/٢.

(٢) يُنظر: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٩٤/٧-٩٥.

ثانياً: الحج تصحيح للعقائد الخاطئة

من المعالجات التي يتناولها الحج هو تصحيح العقائد الباطلة التي كانت مستعظمة عند عرب الجاهلية، وليس هو طقوس وثنية كما يدّعون، فمن ينظر إلى أعمال الحج يستشعر أنَّه لا علاقة لها بعقائد الجاهلية على الإطلاق، بل أنَّه جاء لتصحيح بعض العقائد والمسارات الخاطئة، فهو ليس شعيرة عبثية لا هدفية يقوم بها المسلمون، وإنَّما لها مقاصد وحكم، ومن ذلك أنَّ الإسلام يقر ما ورثه العرب عن دين خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام)، ويبطل بدع المشركين التي أدخلوها على هذه الفريضة من عند أنفسهم (١).

ويرى عصام قصاب: أنَّ هذه الشعائر لم تكن حكراً على الديانة الإسلامية وحدها، وإنما نجد مثل ذلك في الديانات الأخرى كاليهودية مثلاً حيث أنَّ من عقائدهم تقديم القرابين، والسعي والطواف في الدوائر، والبكاء عند الحائط أو ما يسمى (المبكى) عندهم، فكان ذلك حادثاً قبل تحريف تلك الأديان، فلماذا يشنع البعض على الإسلام، دون اليهودية والقول بوثنية طقوسهم (٢).

ومما يؤيد ذلك أنَّ الإسلام وتشريعاته وجدت لتهذيب العقائد السابقة التي دخلها التحريف والتبديل، وما طرأ عليها من زيادات تحولت بمرور الزمن إلى عادة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في مسألة عدم التحرج والأثم من الطواف بين الصفا والمروة قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ { سورة البقرة:١٥٨} ، وقد أشار مكارم الشيرازي إلى ذلك بقوله : " كان المشركون في الجاهلية يأتون مكة لأداء مناسك الحج ، وكانت هذه المناسك ذات أصل إبراهيمي مع كثير من التحريف والخرافات والشرك . فكانت المناسك عبارة عن الوقوف بعرفات والأضحية والطواف والسعي بين الصفا والمروة ولكن بعلى نحو خاص بالجاهليين. وجاء الإسلام وأصلح هذه المناسك، وطهرها مما

---

(١) يُنظر: موقع بيان الإسلام، مقال بعنوان: الزعم أنَّ شعائر الحج وآدابه طقوس وعادات مقتبسة من الجاهلية.

(٢) يُنظر: عصام قصاب، البحث عن الحقيقة الكبرى، ص٥٩٨.

علق بها من تحريف، وأقر ما كان صحيحا ًمنها ومن جملتها السعي بين الصفا والمروة" [١].

وقد بينت بعض الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام) علة كراهية سعي بعض المسلمين الطواف بين الصفا والمروة إلى أقوال عدة منها :

القول الأول: وجود الأصنام على جبلي الصفا والمروة، روى العياشي في تفسيره عن حمّاد بن عثمان عن أبي عبد الله (عليه السلام) : " أنه كان على الصفا والمروة أصنام ، فلما حج النّاس لم يدروا كيف يصنعون فأنزل الله هذه الآية فكان الناس يسعون والأصنام على حالها فلما حج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رمى بها [٢].

القول الثاني: سعي إبراهيم (عليه السلام) من ابليس، وهذا ما ذكره البحراني، رواه عن الحلبي قال : "سألته فقلت له: ولمَ جعل السعي بين الصفا والمروة ؟ فقال: إنَّ ابليس تراءى لإبراهيم (عليه السلام) في الوادي فسعى إبراهيم منه كراهية أن يكلمه وكان منازل الشياطين " [٣].

القول الثالث: السعي من عادات أهل الجاهلية، وهذا ما ذكره ابن إدريس الحلي بالقول: وسبب كراهية بعض المسلمين الطواف بين الصفا والمروة؛ لأن ذلك من عادات وافعال أهل الجاهلية، فنزلت هذه الآية بعدم التحرج من هذا العمل [٤].

ويبدو أنَّ القول الأول هو ارجح الأقوال، وذلك لأنَّ سياق الآية الكريمة يوحي بذلك ودلالة قوله ﴿فلا جناح عليه﴾ خاص لا عام بدلالة ضمير الهاء، وكذلك فأن الطواف جاء في حالة استثنائية ومخصوصة لا عامة، وما يؤيد ذلك ما رواه البحراني في تفسيره فقال: " إنَّ قريشا كانت وضعت أصنامها بين الصفا والمروة، وكانوا يتمسحون بها إذا سعوا ، فلما كانَ من أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما كان في غزوة الحديبية،

---

(١) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤٤٩/١.

(٢) تفسير العياشي:٦٩/١.

(٣) هاشم البحراني: البرهان في تفسير القرآن،١٦٨/١. الطبري، جامع البيا في تفسير القرآن،٢٣٣/٣.

(٤) يُنظر، ابن إدريس الحلي، المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من التبيان،٣٢/١.

وصدوه عن البيت ، وشرطوا له أن يخلوا له البيت في عام قابل حتى يقضي عمرته ثلاثة أيام ، ثم يخرج عنها ، فلما كانت عمرة القضاء في سنة سبع من الهجرة دخل مكة ، وقال لقريش : ارفعوا أصنامكم من بين الصفا والمروة حتى أسعى فرفعوها ، فسعى رسول الله بين الصفا والمروة ، وقد رفعت الأصنام ، وبقي رجل من المسلمين من أصحاب رسول الله (ﷺ) لم يطف ، فلما فرغ رسول الله (ﷺ) من الطواف ردت قريش الأصنام بين الصفا والمروة ، فجاء الرجل الذي لم يسع إلى رسول الله (ﷺ) ، فقال : قد ردت قريش الأصنام بين الصفا والمروة ، ولم أسع ؟ فأنزل الله عز وجل : (إِنَّ الصَّفا والْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّه فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْه أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما) والأصنام فيهما " [1] .

وربما هنا يرد إشكال يفرض نفسه في هذا المقام وهو أنَّ السعي بين الصفا والمروة واجب بالإجماع، ولكن تعبير الآية بعدم الجناح يفيد جواز الفعل وعدم الأثم فيه، وهذا أعم من الوجوب والاستحباب والإباحة؟

وقد رد مغنية هذا الإشكال قائلا: إنَّ قوله تعالى ﴿فلا جناح عليه﴾ في هذه الآية لم تأتي لبيان حكم السعي، سواء كان واجباً أو ندباً، وإنما جاء لبيان مشروعية السعي، وان الإسلام أجاز ذلك وأقره ... أما معرفة الحكم على نحو الوجوب أو الاستحباب فيؤخذ من دليل آخر، وقد تواترت السنة النبوية المطهرة وأجمع المسلمون على وجوب السعي في حجة الإسلام[2].

وعند المقارنة بين طواف أهل الجاهلية وطواف الحج بون شاسع، حيث أنَّ أهل الجاهلية كانوا يطوفون عراة سواء كانوا رجالاً ونساءً وقد ذم الله تعالى هذه الحالة بقوله :﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾ {سورة الأعراف :٢٦} قال مجاهد: إنما ذكر الله تعالى اللباس ؛لأنَّ المشركين كانوا يطوفون عراة [3]

---

(١) هاشم البحراني: البرهان في تفسير القرآن،٣٦٣/١-٣٦٤.

(٢) يُنظر: محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، ٢٤٥/١.

(٣) يُنظر: قطب الدين الراوندي، فقه القرآن،٢٤٧/١.

واما تقبيل الحجر الأسود في الحج وعده من قبل الحداثيين من طقوس العرب الوثنية، بل عدّه بعض المستشرقين رباً يعبد، وهذا ما أشار إليه المستشرق ويلز: " وكانت الكعبة بيت مكة المقدس سحيقة القدم آنذاك. وهي معبد مربع صغير من الأحجار السوداء، حجر الزاوية فيه من الأحجار النيزكية. وكان هذا الحجر النيزكي يعد رباً، وفي حمايته كل الآلهة القبلية الصغيرة ببلاد العرب ... فيأتيهم في الأشهر الحرم أفواج عظيمة من الناس يسيرون حول الكعبة وفق طقوس دينية معينة فينحنون ويقبلون الحجر" (١).

وفي سبب تعظيم الحجر الأسود هو طاعة لله تعالى ورسوله الذي أمرنا باتباع رسوله الكريم في الأقوال والأفعال، وهذا ما ذكره القرطبي في تفسيره عن النبي (ﷺ) : " خذوا عني مناسككم" (٢) ولا شك أنَّ فعل النبي (ﷺ) حجة ، فقد قبل الحجر الأسود ، روى البخاري وغيره عن عمر بن الخطاب : "أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله (ﷺ) يقبلك ما قبلتك " (٣).

ولو كان الحجر الأسود صنماً يعبد من غير الله وهو من الطقوس الوثنية كما يراه الحداثيين وغيرهم ، لما أبقاه الإسلام الذي جاء لمحاربة الوثنية بكل أشكالها، وإعلاء كلمة التوحيد كما فعل النبي عندما حطم الأصنام عند فتح مكة ، روى ابن شهر آشوب عن جابر بن عبد الله قال: " دخلنا مع النبي مكة وفي البيت وحوله ثلاثمائة وستون صنماً فأمر بها رسول الله فألقيت بها كلها ..." (٤).

وخلاصة القول: إنَّ إشكالية الحج طقوس وثنية لا علاقة له بالحج، وأنَّ الإسلام جاء لتصحيح العقائد، وإثبات ما كان صحيحاً منها، ودحض ما شابها من زوائد أوجدتها الجاهلية.

---

(١) هربرت جورج ويلز: معالم تاريخ الإنسانية ، ص٨٨.بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية،ص٧٦.
(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن،٣٩/١.
(٣) صحيح البخاري، ١٤٩/٢.
(٤) يُنظر: ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب،٣٩٨/١.

ثالثاً: الحج تكليف إلهي وامتثال لأمر الله تعالى

من ينظر إلى الحج من هذه الرؤية الفوقية ، وأنه أمر من الله تعالى يستجلي من خلال ذلك أنَّ المسلمين جميعاً ممتثلين لأمره تعالى ، والمراد من الامتثال هو طاعة الله تعالى في أوامره ونواهيه ، وحيث أنَّ الحج خضوع وانقياد لارادته تعالى وقد نصت الأصوليات القرآنية على ذلك قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ {سورة آل عمران:٩٧} ، فوجوب الحج هو الوجه الحقيقي للطاعة ، ومنكره في عداد الكافرين، وقد صرح المفسر الطبرسي في أثناء تفسيره لهذه الآية الكريمة : وفي هذه الآية وجوب الحج مفروضاً على رقاب المسلمين ؛لأنّه أمر من الله تعالى يلزم أداءه على الوجه الصحيح ، فهو حق واجب على من تتوافر فيه شروط الحج كالقدرة والاستطاعة وغيرهما، فمن لم يحج فهو في عداد الفاسقين [١].

وإلى جانب ذلك نجد الأوامر النبوية تحث على ذلك وترغب به روى احمد عن أبي هريرة قال: "خطبنا رسول اللَّه (ﷺ) فقال أيها الناس: قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل: أكل عام يا رسول اللَّه (ﷺ) فسكت حتى قالها ثلاثاً؟ فقال رسول اللَّه (ﷺ) :لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم" [٢].

وإنَّ الأثر الذي يترتب على الامتثال والطاعة لله تعالى له دلالة بالغة في قلوب المسلمين؛ لتميز المؤمن من المنافق قال مجاهد في تفسيره الآية : فحج المسلمون امتثالا لأمر الله ، وتركه المشركون والمنافقون تعنتاً [٣] ، وهذا النمط العلاجي نراه في كثير من الآيات التي تؤكد على طاعة الله ورسوله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، قال تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ {سورة النساء:٥٩} فطاعتهم جميعاً واجبة للحصول على رتبة الإيمان[٤] .

---

(١) يُنظر: الطبرسي، جوامع الجامع،٣١٠/١.

(٢) مسند أحمد،٥٠٨/٢.الشيرازي، القواعد الفقهية،٥٤٠/١. أبن ابي جمهور الاحسائي، عوالي اللئالي،٢٣٥/٢.

(٣) يُنظر: تفسير مجاهد ، ٢٥٥/١.

(٤) يُنظر: الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ٢٥٤/٢.

فمن ينظر إلى الحج هو أمر من الله تعالى فينتفي القول بوثنية ، وهذا ما أشار إليه الباحث هاني ضوه : إنَّ الأعمال المتعلقة بالحج لم تكن من مخترعات الأنبياء ، بل هي تكليف من الله عز وجل، وهذه الأعمال تقوم على الاستجابة لأمر الله ، فالطواف والسعي والنحر وقبيل الحجر وغيرها من أعمال الحج المعروفة عند المسلمين ، لم يقصد لذاتها وإنما هي امتثال لأمر الله تعالى (١).

ولهذا نجد أنَّ الحج لا يستفيد منه الله جل ثناوه وتقدست أسماؤه، وإنما حصول الامتثال والتقوى والانصياع لأوامره تعالى، وينكشف ذلك من خلال بعض الآيات التي تبين غاية وفلسفة فرض الحج على المسلمين وفلسفته، وأنه ليس لله تعالى شيء منه ، كما صرحت الآيات الكريمة في مسألة شعيرة النحر قال تعالى: ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ۞ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ { سورة الحج :٣٦-٣٧}، وغالباً ما تتفق كلمة المفسرين في تفسيرهم لهذه الآيات وهذا ما أكده الكاشاني في تفسيره : ذكر الله بعض الشعائر كنحر البدن في الحج وهي الأبل ، وسميت بذلك لعظم بدنها ، فالنحر من أعلام تشريع الله تعالى ، التي شرعها لما فيها من منافع دينية ودنيوية ، فعند ذبحها يعطى من لحومها للقانع والمعتر ، وكل ذلك فإنَّ الله تعالى لا ينال شيئاً من لحومها ، بل يعود النفع عليكم انتم بفعل التصدق بهذه اللحوم ، فذلك مدعاة للتقوى وتعظيم أمر الله تعالى، والتقرب إليه بالإخلاص ؛ لأنَّ عادة العرب في الجاهلية إذا ذبحوا القرابين كالبدن وغيرها لطخوا الكعبة بدمائها تقرباً إلى الله تعالى حسب زعمهم (٢).

---

(١) يُنظر: هاني ضوه : مقال بعنوان : هل الشعائر بقايا وثنية ، موقع مصراوي، الثلاثاء،٧/ أغسطس،٢٠١٨.

(٢) يُنظر: الكاشاني، زبدة التفاسير، ٣٩٥/٤.

رابعاً: الفوائد الاقتصادية والمالية للحج

إنَّ موسم الحج لا يقتصر على الأمور العبادية والنواحي الإيمانية فقط، وإنما ينتعش الاقتصاد برمته عن طريق التبادل التجاري بين الدول الإسلامية ، ولذلك فالحج فيه منافع اقتصادية كثيرة ومتعددة ، وقد تكلم الذكر الحكيم في سياق آيات الحج ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ {سورة البقرة:١٩٨} ، فصدر الآية جاء لرفع الاشتباه الذي وقع في مسألة الحج فقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ .

قال الشيرازي في تفسير هذه الآية الكريمة: لقد كان عند الجاهلية التعامل الاقتصادي محضوراً في موسم الحج، فيرون بطلان الحج إذا اقترن بأي نشاط اقتصادي، فجاءت الآية الكريمة تعلن بطلان هذا الحكم الجاهلي، وتؤكد عدم مانعية مزاولة الأنشطة التجارية في موسم الحج، وتسمح بالعمل والكد في هذا الموسم،... فلا يقتصر هذا النمط في التفكير في العصر الجاهلي ، بل نجد ذلك في زماننا أيضاً ، فنسمع أنَّ هذه الفريضة المقدسة والعبادة العظيمة يجب أنْ تكون خالصة من كل الشوائب المادية، وهذه النظرة غير صائبة (١).

ومن خلال رصد الروايات الواردة عن أهل البيت(عليهم السلام) نجد أنَّها لم تهمل الجوانب الاقتصادية، بل أوجدت العلة المالية وفوائدها الكثيرة التي يحققها الحج، روى العاملي عن هشام بن الحكم أنه سأل الإمام الصادق (عليه السلام) عن العلة التي لأجلها كلف الله العباد الحج والطواف بالبيت فقال:" ... فجعل فيه الاجتماع من الشرق والغرب ليتعارفوا، ولينزع كل قوم من التجارات من بلد إلى بلد، لينتفع بذلك المكاري والجمال ... ولو كان كل قوم إنما يتكلمون عن بلادهم وما فيها هلكوا وخربت البلاد وسقطت الجلب والارباح"(٢).

---

(١) يُنظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،٥٢/٢.

(٢) وسائل الشيعة: ١٤/١١ ، ح١٨.

وعزز ذلك أيضا الشعراوي في تفسيره هذه الآية بالقول: فلا جناح عليكم أيها المسلمون أن تتكسبوا في موسم الحج من فضل الله ورزقة عن طريق المتاجرة، فهي عمل مشروع لكم، فكانت النظرة الجاهلية لا تسوّغ ذلك عند دخول الحاج للديار المقدسة للحج فقط دون سواه، وكانت المعالجة القرآنية لذلك بنفي تلك العادة وتجويز ممارسة التجارة إلى جانب الحج (١).

والملاحظ من أقوال المفسرين الإجماع على مشروعية التجارة في موسم الحج ، الذي كان أهل الجاهلية لا يبيحونه ، فكان الخطاب الإلهي هو بيان الفوائد الاقتصادية للحج فبالإضافة إلى أنَّه عبادة ، لكنها لا تخلو من جنبة اقتصادية بين المسلمين لتبادل المنافع قديما وحديثاً ، وإلى هذا المعنى أشارت الدكتورة فوزية الغالي : يسهم الحج في تطوير النشاط الاقتصادي للبلدان التي يأتي منها الحجاج والمعتمرون بصفة غير مباشرة، من خلال الخدمات التي تقدمها المؤسسات لتأمين السفر إلى الأراضي المقدسة ،كوكالات السفر والبنوك وشركات الطيران والمتاجر التي تقدم ملابس الإحرام ، وكذلك الخدمات الفندقية فكل ذلك يحقق عائدات اقتصادية كبيرة (٢).

وإجمال الكلام: إنَّ إشكالية الحداثيين اقتبست من بعض آراء المستشرقين الذين حاولوا الخلط والمقايسة بين الطقوس الوثنية في الحج التي كانت العرب تؤديها في الجاهلية، وبين ما جاء به الإسلام من تشريع إلهي هدفه رفع العوالق والرواسب الجاهلية التي طرأت على هذه الشعيرة المقدسة ، فلا علاقة بين أعمال الحج وعادات الجاهلية ، بل إنَّ الحج شرع لتهذيب بعض الزيادات التي أدخلت فيه ، وبذلك تدحض هذه الإشكالية بسبب سوء فهم الحداثيين لمفهوم الوثنية ، فلم يفهموا أنَّ الإسلام جاء لتصحيح تلك العقائد الخاطئة التي زجت في هذه الفريضة ، فهي لم تكن حكراً على الديانة الإسلامية ، بل هي موجودة في الديانات السابقة كاليهودية وغيرها. فالحج تكليف إلهي يلزم الامتثال والطاعة والانقياد له، فمن ينظر إلى فوائد الحج المادية يتضح له ذلك.

---

(١) يُنظر: الخواطر، ٨٥٠/٢.

(٢) يُنظر: فوزية الغالي، بحث بعنوان: الوظيفة الاقتصادية للحج والعمرة في الإسلام قديما وحديثا، ص١.

المطلب الثاني: إشكالية دموية الحج والرد عليها على وفق المنظور القرآني

إنَّ الإعلام الغربي وعلى مدى سنين طوال ينهال على الشريعة الإسلامية من أجل تلويث شعائر الحج وعلى وجه الخصوص شعيرة الذبح في موسم الحج، هدفه وغايته اسقاط الدين برمته، فظهرت في الآونة الأخيرة مؤسسات تعنى بالرفق بالحيوان كما هو الحال في منظمة (OIE) والتي تعني (World Organisation for Animal Health) المنظمة العالمية لصحة الحيوان ، فكانت ضمن أعمالها اتهام الدين الإسلامي بالدموية في الحج عند الذبح للبهائم في هذا الموسم ، وفي المطلب الآتي بيان لهذه الإشكالية وطرق علاجها .

المقصد الأول: بيان إشكالية دموية الحج

مما لا يمكن إنكاره أنَّ الدين الإسلامي اهتم اهتماماً كبيراً في مسألة الرفق بالحيوان وحقوقه ، ولم نجد شريعة من الشرائع السالفة أولت ذلك الاهتمام كما أولته الشريعة الاسلامية، ولكن في القرن الحالي ظهرت أصداء واسعة من مؤسسات مدعومة بالتنصير من عد الحج واعماله لا سيما ما يتعلق بالنحر من الاعمال الدموية والتعسف في حق الحيوان حتى في طريقة ذبحه قال يحيى الزهراني : " ثم يأتي الكفار والمنافقون والمرجفون في الأرض ليثنوا الناس عن عقيدتهم ويشككوهم في دينهم ، ويبعدوهم عن ثوابتهم ، ومن أعظم ذلك ما تزيفه منظمة الرفق بالحيوان وما تدعيه باطلاً وزوراً من أنَّ المسلمين يريدون أنْ يفنوا السلالة البهيمية" (١).

وعزز راجي سلطاني تلك النظرة بالقول: " إنَّ الذبح في الحج، وفي عيد الأضحى عموماً، هو ذبح فيه دموية بغيضة، فهو مذبحة عالمية للحيوانات، مذبحة تشمئز منها النفوس السوية، وتبكي شفقة على هذه الحيوانات الضعيفة المظلومة. ولقد قادت إحدى الممثلات الغربيات حملة عالمية ضد الذبح عند المسلمين في الحج وعيد الأضحى (٢).

---

(١) يحيى الزهراني: مقال بعنوان: منظمة الرفق بالحيوان تصادم شريعة الرحمن، موقع صيد الفوائد .http://www.saaid.net/Doat/yahia/8.htm

(٢) راجي سلطاني : مقال سابق مجلة بصائر الفكر.

ومن هذه المنطلقات والتأثيرات يحاول البعض تصوير الدين الإسلامي وفق آرائه الشخصية أنه لا يعير للحيوان وحقوقه أي اهتمام، بل وأنّه ينتهك حقوق الحيوان، فليس الغاية من ذلك ذات الحيوان وحقوقه كما يدّعون، وإنما استهداف الدين الإسلامي وعقائده الحقة وعلى وجه الخصوص الحج وأعماله، وهذا هو دأبهم وهذا ما أقره أبو الأعلى المودودي بالقول: إنَّ حركة إثارة الإشكاليات حول الدين الإسلامي ضاعفت نشاطها واستنفرت رجالاتها واستعملت كل طاقاتها في عصرنا هذا ، واصبحنا نستقبل كل يوم جديد جمعاً من الإشكاليات المشحونة بالهجمات المستهجنة والاتهامات الباطلة والفارغة للتشريعات الإسلامية تحت مسمى الحوار العلمي والبحث الحر والنقد المحايد تحت شعارات براقة (١).

فحسب زعم هؤلاء أنَّ الإسلام في الحج وعلى وجه الخصوص في شعيرة الأضحية، يعزز ثقافة إراقة الدماء والدليل على ذلك هو ذبح ملايين الخراف في موسم الحج سنوياً، وأنَّ شعيرة الحج عند المسلمين لا تكتمل صحتها إلا من خلال ذبح الأضاحي، وهذا الفعل فيه انتهاك لحقوق الحيوان واشمئزازاً من طريقة الذبح (٢).

وفي كل عام وعلى وجه التحديد تتعالى الأصوات من هذه المؤسسات في أمريكا وفرنسا وبريطانيا وأستراليا، استنكاراً لما يفعله المسلمون في عيد الأضحى، فتقوم هذه المؤسسات ببث صور للأغنام بعد ذبحها، وهي تتلوى من الألم وذلك لقسوة المسلمين في ذبحها (٣). وهذا ما أكده محمد بوزانة بالقول: "ويواجه المسلمون في الغالب انتقادات من قبل جمعيات حماية حقوق الحيوانات، تتمثل في كون الطريقة التي يتم بها نحر الذبائح تتعارض مع المبادئ الإنسانية، خصوصاً منها ما يصفه الناشطون بكون عملية الذبح تلحق أذى بالحيوانات وتجعلهم عرضة للتعذيب" (٤).

---

(١) يُنظر: الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، ص٣.

(٢) يُنظر: صحيفة الخليج، مقال بعنوان: نحن نذبح الأضاحي والغرب يذبح الحقيقة، ١٨ديسمبر ٢٠٠٨.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه.

(٤) محمد بوزانة: مقال بعنوان: هل يعارض الأميركيون ذبح المسلمين للأضاحي في العيد، ٢٥اكتوبر٢٠١٢.

المقصد الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية دموية الحج

إنَّ الناظر إلى هذه الإشكالية يتضح له أن الدواء الشافي واحد وهو القرآن الكريم وسنة النبي (ﷺ) ، وهذا ما نقرره في هذا المقصد منها :

أولاً: تشديد الشريعة الإسلامية على الرفق بالحيوان

إنَّ النظام القرآني يعالج القضايا الإنسانية ومشكلاتها بأفضل السبل، وذلك يتجلى من خلال تشديد الشريعة الإسلامية على الرفق بالحيوان، لا سيما ما يتعلق بذبح البهائم، حيث وضعت قواعد معينة لعملية الذبح، وهدف ذلك لإراحة الحيوان وعدم تعليله، وقد أكد القرآن الكريم في بعض آياته على الرفق بالحيوان ، وذكر منافع تلك الأنعام وآياته صادحة في تناول لحومها وبيان منافعها قال تعالى: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ {سورة النحل:٥} ، وقوله تعالى أيضاً: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ {سورة المؤمنون:٢١} وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ {سورة غافر: ٧٩} وغيرها من الآيات التي تدل على منافع الحيوانات والرفق بها ، قال مغنية: في هذه الآيات إشارة إلى الرفق بالحيوان والرأفة به [١] .

ولم يكن القرآن الكريم وحده من أقر الرفق بالحيوان والرأفة به ومعاملته معاملة حسنة، بل السنة الشريفة حثت على ذلك وشددت عليه، فقد روى النراقي، عن شداد بن أوس: أنَّ النبي (ﷺ) قال:"إنَّ الله كتب عليكم الإحسان في كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته " [٢].

روى القاضي ابن النعمان المغربي عن أبي جعفر محمد بن علي (ﷺ) ، أنه قال :"يرفق بالذبيحة ولا يعنف بها قبل الذبح ولا بعده ، وكره أن يضرب عرقوب الشاة بالسكين"[٣].

---

(١) يُنظر: التفسير المبين، ص١٠٦. الزحيلي: التفسير المنير، ٩٣/١٤.

(٢) النراقي: مستند الشيعة،٤٤٨/١٥.

(٣) دعائم الإسلام ،١٧٩/٢. الميرزا النوري: مستدرك الوسائل، ١٣٢/١٦.

وغير ذلك من الأحاديث التي تدل على الرفق بالحيوان، وهي كثيرة جداً لا يسع المجال لإيرادها، وقد ذكرها جعفر مرتضى العاملي في كتابه [١].

وإذا كان الله تعالى قد كرم الإنسان وسخر له ما في السماوات والأرض، بما في ذلك أصناف من الحيوان يتقوت من لحومها، فيضع حداً لحياتها من أجل أنْ تتقوم حياته، فإنَّ الله تعالى بر رؤوف رحيم بهذه المخلوقات التي أدت رسالة خلقت لأجلها، فلا يرضى تعالى استغلال اباحتها بما يتنافى مع الرحمة والرأفة والرفق بها [٢].

بالإضافة إلى ذلك نجد المعطيات العلمية تكذب مزاعم هذه المؤسسات، فقد ثبت صحياً وعلمياً أنَّ الطريقة الإسلامية في ذبح الحيوانات هي أفضل الطرق، وذلك لتدفق الدم بغزاره في أثناء ذبحه مما يسهم في خروج روحه وعدم تعذيبه، قالت الدكتورة آلاء محمد سدخان: يعد نزيف الدم بعد ذبح الحيوان وفقدانه لكمية كبير منه، فقطع أوداج الحيوان تسهم في إراقة وتدفق الدماء بسرعة، فكلما أزدادت كمية الدماء المتدفقة عند الذبح يمنع ذلك بقاء الميكروبات والأوبئة، التي تعد الوسط الناقل للأمراض المختلفة [٣].

وعند المقارنة بين طريقة الذبح بالطريقة الإسلامية، وبين طرق الغرب كالصعق الكهربائي وغيرها تقول الدكتور المتخصصة آلاء سدخان في علوم التغذية: وعند المقارنة بين الطريقتين ينكشف أنَّ الذبح في الإسلام عن طريق قطع الودجين فيه إراحة للحيوان، فيكون لون اللحم أحمر زاهي ذو بريق لامع، وأما الصعق الكهربائي تؤدي إلى تيبس اللحم ويتغير لونه إلى الشحوب، فيكون عرضة للأمراض [٤].

---

(١) يُنظر: حقوق الحيوان في الإسلام، ص٧٧وما بعدها.

(٢) يُنظر: مركز الرسالة، الرفق في المنظور الإسلامي، ص٤٥.

(٣) يُنظر: محاضرات في تصنيع اللحوم، ص٢٤.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه، ص٣١.

ثانياً: نهي الشريعة الإسلامية عن التمثيل بالحيوان

من أساسيات الشريعة الغراء أنَّها نهت عن كل مناقضات الرحمة والرأفة ضد الحيوان، وعلى وجه الخصوص التمثيل به، وقد وردت أحاديث كثيرة تؤكد هذا المعنى فقد روي عن الإمام الرضا، عن آبائه (عليهم السلام) أنه قال:" مر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على قوم نصبوا دجاجة حية، وهم يرمونها بالنبل ، فقال : من هؤلاء ، لعنهم الله" (١).

ومثل ذلك ما ذكره رشيد رضا في تفسيره عن ابن عمر وزاد فيه: " لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا" (٢).

ولا تقتصر الرحمة في الحيوان الذي له منافع، بل تعداه إلى غيره ولذلك نرى عدم جواز التمثيل حتى في الكلب العقور، روى السبزواري عن علي بن أبي طالب في وصيته لأبنه الحسن فقال: " إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور" (٣).

ولا شك أنَّ الإسلام يحث على الرفق بالحيوان وحسن معاملته، وحرمة تعذيبه وغير ذلك من الآداب الإسلامية التي جاء بها الإسلام، فهذه المؤسسات هدفها تشويه صورة الإسلام والإساءة إليه عن طريق رؤية بعض السلوكيات الخاطئة التي يرتكبها بعض المسلمين جهلاً منهم في موسم الحج، حتى أدرجت تحت مسمى القسوة في التعامل مع الحيوان (٤).

وعد بعض المفسرين أمثال رشيد رضا: الرفق بالحيوان من أصول شريعتنا الإسلامية وهو مقطوع به ومجمع عليه فقال: ومن أصول شريعتنا القطعية وما هو مجمع عليه هو حضر تعذيب الحيوان والتمثيل به، ونبذ كل أشكال العنف ضده، وفاعله يستوجب غضب الله تعالى ولعنه (٥).

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار، ٣٥٩/٧٣.

(٢) رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، ٨/ ١٤٤.

(٣) عبد الأعلى السبزواري: مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام ،٢٨٩/٢٨.

(٤) يُنظر: صحيفة الخليج :نحن نذبح الأضاحي والغرب يذبح الحقيقة، مصدر سابق.

(٥) يُنظر: رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، مصدر سابق.

ففعل التمثيل بالحيوان من ممقوتات الشريعة الإسلامية التي يستوجب صاحبها اللعن والطرد من رحمته تعالى، روى البخاري عَنْ ابْنِ عُمَرَ: "لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ مَثَّلَ بِالحَيَوَانِ" (١). وذكره أيضا الميرزا النوري في مستدركه (٢) والمجلسي في بحاره(٣) مع اختلاف يسير في الألفاظ.

ويبدو أنَّ الإسلام أسبق من القوانين الوضعية في إقراره قانون الرفق بالحيوان، والتشديد على ذلك، وهذا ما أكده الدكتور محمد الدسوقي: إنَّ الدين الإسلامي سبق تلك الجمعيات بثلاثة عشر قرناً، فجعل الإحسان إليه من شعب الإيمان وإيذاءه والقسوة عليه من موجبات النار، ولكن الغرب يتعامى عن ذلك فيسعى بكل الطرق للطعن في الدين الإسلامي وإلصاق التهم به (٤).

ورداً على المزاعم الغربية التي طرحت من قبلهم، نجد أنَّ القرآن الكريم عاب على أهل الجاهلية على ما كانوا يفعلونه من شق الأنعام وكي سنام الجمال وهي حية؛ لانَّ ذلك الفعل من منافيات مبدأ الرفق بالحيوان، فجاء وعد الله تعالى في إبطال هذا الفعل، ووصفه بإنَّه من عمل الشيطان قال تعالى: ﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ۞ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ {سورة النساء:١١٨-١١٩} فالتبتك منهي عنه في الشريعة الإسلامية لما له من إيذاء للنفس الحيوانية ، وهذا ما أكده السوطي في تفسيره: نهى الله تعالى عن التبتك وهو تقطع آذان الأنعام لأجل إلحاق الضرر بها (٥).

---

(١) صحيح البخاري، ٩٤/٧ح ٥٥١٥.

(٢) مستدرك الوسائل، ٧٠/٣.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار،٢٨٢/٦١.

(٤) يُنظر: صحيفة الخليج، مصدر سابق.

(٥) يُنظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٢٢٣/٢.

وخلاصة القول: فإنَّ هذه الإشكالية تسقط أمام رأفة الإسلام ورحمته في الحيوان، ولاسيما ما يتعلق بالحج، وشعيرته المقدسة المتمثلة بنحر الأضاحي، فكل ما جاءت به الأنظمة الغربية من إشكاليات من القول بدموية الحج، تحت عناوين متعددة وبراقة كالرفق بالحيوان والحفاظ على حقوقه، ما هي إلا أكاذيب تدحضها آداب الذبح في الإسلام.

المطلب الثالث: إشكالية مواقيت الحج عند بعض الحداثيين

المقصد الأول: بيان الإشكالية عند الحداثيين

يرى بعض الحداثيين أنَّ الحج يكون في جزء من أشهر الحج المعروفة وهي: شوال، ذو القعدة، ذو الحجة، والمحرم، فهذه الأشهر الأربعة هي مواقيت الحج، وأداء المناسك فيها، أو في بعض أيامها، أو على الأقل في يومين منها، فأي يومين منها يؤدي الإنسان مناسك حجه، فحجه مقبول، فالقاصد للحج غير ملزم بشهر معين؛ لأنَّ ذلك تضييق للعباد (١).

ودليلهم أنَّ القرآن الكريم كان واضحاً في بيان تلك النظرة حول الحج، هو قوله تعالى: ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ {سورة التوبة: ٣} وهذا يعني أنَّ هناك حجاً أصغر هو مخالف للحج الأكبر الذي يصر عليه الناس، غافلين عن الحج الأصغر ، الذي يكون في أي يوم من أيام الأشهر المذكورة ، فعندما ذكر الله جل ثناؤه ﴿ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ ، فيه دلالة على وجود الحج الأصغر، ولو انتفى ذلك وكان لفظ الأكبر عبثاً وحشواً لانتفاء الحاجة إلى ذكرها في الواقع ، وهذا يوسع على الناس مع كثرة الناس وضيق الأماكن المقدسة (٢).

وافقه في ذلك من الحداثيين أحمد صبحي منصور، حيث يذهب إلى أنَّ تبني الحج في أي من الأشهر دون التقييد بشهر محدد، فيه فسحة لتعدد مرات الحج (٣).

---

(١) يُنظر: حسن حنفي: خواطر حاج ، صحيفة أخبار الأدب ، القاهرة ،عدد (٦٥٤) في ٢٢يناير٢٠٠٦م. يُنظر: محمد عمارة : قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي،ص١١٥.

(٢) يُنظر: سامر الإسلامبولي، القرآن من المهجر إلى التفعيل، ص٩٥-٩٩.

(٣) يُنظر: الحج أشهر معلومات، مقال بعنوان: موقع الحوار المتمدن، ٢٠٠٧/٤/١م.

فالغاية من أقوال الحداثيين هو الفسحة في هذه الأشهر ليتسنى لعامة الناس قصد بيت الله تعالى لأداء مناسك الحج ، ولا تقيد بمدة زمنية معينة في هذه الأشهر، وهذا المفهوم يجب العمل عليه من قبل المختصين في الحج قال سامر الإسلامبولي : " ويصير فسحة وسعة في أداء الحج لتعدده مرات ومرات خلال الأشهر الأربعة وتحل كل المشاكل والأحداث المعروفة ، ويتوجه إلى الحج بضعة ملايين من الناس دون حرج أو مشقة في أداء المناسك ، ولأولي الأمر أن ينظموا الذهاب للحج حسب استطاعة الاستيعاب للناس وتنظيم أمورهم ، نحو أن يكون ذلك في كل شهر مرتين أو ثلاثة ليصير المجموع في الأشهر الأربعة اثنا عشر مرة ، وفي كل مرة يحج نصف مليون كحد أدنى ليصير المجموع ستة ملايين وهو عدد كبير وقابل للزيادة من خلال تعداد مرات الحج خلال أشهر الحج" [1].

وفي المطلب الآتي بيان العلاج القرآني لهذه الإشكالية، ونقد الآراء الحداثية المتعلقة بوقت الحج.

المقصد الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية وقت الحج عند الحداثيين

تتسم المعالجة لهذه الإشكالية بالطرق التالية:

أولاً: توقيتات الحج من القضايا التوقيفية التي لا دخل للعقل فيها

من المتفق عليه أنَّ العبادات لا سيما الحج وتوقيتاته التي شرعها الله تعالى في كتابه من القضايا التوقيفية، التي لا يكون للعقل مدخلٌ في تفسيرها، ولا تسويغ في تفكيك بنيتها ودلالتها، وتطبيق التأويل الغربي على نصوصها الشريفة، قال الغزالي: فأما ترددات السعي ورمي الجمرات وغير ذلك من الأعمال في الحج ، فلا حظ للعقل إلى الاهتداء إلى معانيها ، ولا اهتداء للنفوس فيها ، لا ينبغي إلا الامتثال للأمر فهو واجب الأتباع ، فيه عزل للعقل البشري عن التصرف في ذلك ؛ لأن العقل لا

---

(١) يُنظر: سامر الإسلامبولي : مقال بعنوان: الحج أشهُرٌ معلومات والناس حصروه في أيام معدودات، الحوار المتمدن ، العدد/٥٠١٤، ٢٠١٦م.متاح على الربط https://www.ahewar.org/debat.

يمكنه اسكناه جميع ما يراه، بل إنه يدرك قضايا معينة ولها حدود معينة، فلا يكون باعثاً إلى تطبيق ذلك على العبادات ومنها الحج (١).

ويبدو أنّ العقل لا يدرك كل ما جاءت به الشريعة وما أخبر عنه النبي (ﷺ) ،فلو كان كذلك لما احتاج الناس إلى إرسال الأنبياء والرسل (ﷺ) وبيان الشرائع ، الذي يمثل الإيمان بالله تعالى ورسوله (ﷺ)، وهذا مما لا شك فيه ، والحج ومواقيته من العبادات التوقيفية التي لا يمكن عمل الفكر فيها ، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ { سورة الأحزاب :٣٦} ، فتوقيتات الحج واعماله مما لا يمكن إعمال النظر فيه ؛لأن الله يعلم المصلحة فيه، قال الطبرسي في تفسيره : " كل شيء أمر الله تعالى به ، أو حكم به ، فليس لأحد مخالفته ، وترك ما أمر به إلى غيره" (٢).

وأكد الشاطبي أنَّ العقول قاصرة عن إدراك مرادات الباري عز وجل، فقال: إنَّ الله تعالى جعل العقول لها حداً لا تتعداه إلى غيره، فلم يجعل الإدراك في كل شيء مستساغاً ومطلوباً، فلو كان ذلك لاستوت مع الله تعالى في إدراك ما كان وما يكون، فمعلومات الله لا تنتهي في قبال معلومات العبد المتناهية، وبذلك فلا يمكن المساواة بين المتناهي واللامتناهي (٣).

فلو علم هؤلاء الحداثيون ومن وافقهم الرأي أنَّ شعائر الحج وتوقيتاته بينتها السنة الشريفة، وكُشف النقاب عنها وأبانت الكيفية الزمانية والمكانية لها، وأنه ليس لأحد أنْ يجتهد فيها ، فإنّما هي من الأمور التوقيفية التي تعبدنا الله جل ثناؤه بها ، ولا مجال للتغيير فيها بالعقل (٤).

---

(١) يُنظر: الغزالي، إحياء علوم الدين ، ص٣١٥. لطف الله الصافي: فقه الحج، ٣٣/١.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ١٦٢/٨.

(٣) يُنظر: الشاطبي، الاعتصام، ٨٣١/١.

(٤) يُنظر: محمود توفيق محمد، تغييب الإسلام الحق ودحض افتراءات دعاة التنوير على القرآن الكريم، ص٤٧.

ثانياً: جهالة الحداثيين بالقرآن الكريم وأساليبه

من المعالجات التي يمكن بها دفع إشكالية مواقيت الحج عند الحداثيين، هو بيان عجزهم وتوهمهم في تأويل الآيات القرآنية، وهذا ما نراه من تأويلهم قوله تعالى :﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ {سورة البقرة:١٩٧} ، فمراد الحداثيين من الأشهر لبيان الزمان الذي يصح للمسلم أن يؤدي شعائر الحج، فهو تأويل باطل وذلك ؛لأنَّ الأشهر المعلومات غير الأشهر الحرم ،لانَّ الله تعالى ذكر الأشهر الحرم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ { سورة التوبة:٣٦} وفصلت الروايات هذه الأشهر فقد روى هاشم البحراني عن أبي خالد الواسطي ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : "إنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما ثقل في مرضه ، قال : أيها الناس إن السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، ثم قال : رجب مفرد ، وذو القعدة ، وذو الحجة ،والمحرم ثلاث متواليات" (١).

وذكر القرطبي في تفسيره ما ملخصه: وأشهر الحج هي شوال وذو القعدة والعشرة الأولى من ذي الحجة. وقيل: هي شوال وذو القعدة وذو الحجة كله، فائدة الفرق تعلق الدم فمن قال: إن ذا الحجة كله من أشهر الحج، وهو من قال بأنَّ وقت الحج ينقضي بالعشرة الأولى من ذي الحجة يوجب الدم عليه لتأخيره عن وقته؛ لأنَّ لفظ الأشهر يقع على شهرين وبعض الثالث؛ لأنَّ بعض الشهر ينزل منزلة كله، كما يقال: رأيتك سنة كذا ولعله إنما رآه في ساعة منها (٢).

وسيقت الآية لبيان أنَّ هذه الأشهر التي يكون فيها الحج دون تبديل أو تغيير فيها، على النقيض مما كان يفعله أهل الجاهلية من التغيير والتبديل، فكانوا يغيرون في اشهر الحج، فمعنى قوله تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ أنَّ أعمال الحج تقع في هذه الأشهر دون غيرها ، كما أشارت السنة إلى ذلك دون ما كان يفعله أهل الجاهلية من

---

(١) هاشم البحراني: البرهان في تفسير القرآن، ٧٧٦/٢.

(٢) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤٠٥/٢.

تبديل وتغيير وتأخير في الحج وتقديمه، فيكون الخطاب هو لأجل إبطال العادة التي كانت العرب تعملها [١].

وقد استدل بالآية بناءً على ظاهرها عدم جواز الإحرام بالحج في غير هذه الأشهر الأربعة، وذلك يعد شروعاً في العبادة في غير وقتها، كمن يصلي في غير وقتها، فلو أحرم للحج في غير هذه الأشهر لم يصح الإحرام، وهذا المعنى المراد من لفظ (معلومات) أي مؤقتة بوقت معين ومحدد، فلا يجوز تقديمها أو تأخيرها [٢] وقد أكدت السنة ذلك وهو ما أكده حبر الأمة ابن عباس حيث قال: " من سنة الحج أنْ لا يُحرم بالحج قبل أشهر الحج " [٣].

ومن خلال ما تقدم: أنَّ الحداثيين أخطأوا في تأويلهم للأشهر المعلومات بأنّها مقررة لبيان الشرع، بخلاف مرادهم، فإنَّ السنة أبانت هذه الأشهر، وأنَّ الحج له أشهر معينة وأوقات محددة، فمراد الله تعالى من الحج في الأشهر المعلومات، هو لبيان ميقات حجهم، وأنَّ الوقت الذي يؤدى فيه الحج، ولا يلزم أن يكون من أول منها إلى آخره، بل معناه يصح الإحرام به، وتنتهي أركانه وواجباته في أثناء آخرها [٤].

---

(١) يُنظر: الطبرسي، جوامع الجامع،٦١/٢. الجصاص: احكام القرآن، ٣٧٣/١-٣٧٤.

(٢) يُنظر: ابن كثير،٥٤١/١، السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور،٧٣٨/٢. المقداد السيوري: كنز العرفان في فقه القرآن، ٣٠٠/١.

(٣) صحيح البخاري،١٧٣/٢.

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن،١٢٠/٤، محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم،١٨١/٢.

ثالثاً: إخفاق الحداثيين في بيان المفهوم الحقيقي للحج الأكبر

إنَّ استدلال بعض الحداثيين بأن الله ﷻ ذكر الحج الأكبر فقال: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُ﴾ {سورة التوبة:٣} ، وأنَّ ذلك يعني أنَّ هناك حجاً أصغر يكون في أي يوم من أيام الأشهر المذكورة (١).

وقد شط الحداثيون في بيان المفهوم الحقيقي للحج الأكبر، فقال فتحي أبو عابد: ووصف الحج (بالأكبر) يدل على أن هناك حجاً أصغر، فقد ذكر المفسرون في كتبهم أنَّ الحج الأصغر معلوم في كتاباتهم، ولكن ليس بهذا الوصف الذي ذكره الحداثيون، وهو أن يكون في أي يوم من هذه أشهر الحج، ولا يعقل أن يعرف المراد بالحج الأصغر دون أمارات أو قرائن تدل عليه من عقل ونقل أو لغة (٢).

وقد اختلف المفسرون في دلالة يوم الحج الأكبر على أقوال عدة نذكرها مع بيان الراجح منها:

القول الأول: إنه يوم النحر من السنة التاسعة للهجرة، لأنَّه كان يوما اجتمع فيه المسلمون والمشركون ولم يحج بعد ذلك العام مشرك، وهو المؤيد بالأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) والأنسب بأذان البراءة (٣) وهو مذهب مالك وأصحابه أيضاً (٤).

القول الثاني: قيل يوم عرفه، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي (٥).

القول الثالث: قيل أيام منى كلها (٦).

---

(١) يُنظر: فتحي أبو عابد، انحرافات الحداثيين في تفسير آيات الأحكام، ص٢٨٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) يُنظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٤٩/٩.

(٤) يُنظر: القرطبي، ٦٩/٨-٧٠.

(٥) يُنظر: البغوي، معالم التنزيل،١١/٤.

(٦) يُنظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن،١٠/٥.

ويبدو أنَّ القول الأول أرجح الأقوال، لما تؤيده وتعززه الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) ، روى العياشي في تفسيره عن عبد الرحمن عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال: " يوم الحج الأكبر يوم النحر والحج الأصغر العمرة [١].

ولو أنَّ الحداثيين قرأوا أحاديث الحج في أي كتاب من كتب السنَّة الشريفة، لعلموا أنَّ كل فعل أو قول قد جعل له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تحديداً دقيقاً ، وبيَّن كيفيته وزمانه ومكانه ، وبين ما يجبر به خطأ من أخطأ صفة أو زماناً أو مكاناً ، عَلِمَ علمُ اليقين أنَّ من يقف بعرفة يوم التاسع من ذي الحجة في بقعة معينة محدودة وزمان من اليوم معلوم فلا حج له وان فعل ما فعل [٢].

والخلاصة: إنَّ دعوى الحداثيين ومن تابعهم أن توزيع الحج على الأشهر الحرم جائز وأنَّ الحج الأصغر هو الحج في أي يوم من أشهر الحج باطلة، ولا أساس لها من الصحة، إذ إنَّ الله سبحانه و تعالى شرع لنا الحج وبين المواقيت الزمانية محدداً، والأشهر المعلومات ليس المراد منها الأشهر الحرم فبينهما بون شاسع ، وبذلك تسقط دعوى الحداثيين [٣].

---

(١) تفسير العياشي،٧٦/٢، البحراني: البرهان في تفسير القرآن،٧٣٢/٢، المشهدي، كنز الدقائق وبحر الغرائب، ٣٩٩/٥.

(٢) يُنظر: محمود توفيق ، تغييب الإسلام الحق ودحض افتراءات دعاة التنوير على القرآن الكريم ، ص٤٧.

(٣) يُنظر: فتحي سباق أبو سمرة، إنحرافات الحداثيين في تفسير آيات الأحكام ، ص٢٩٤.

المبحث الرابع: إشكالية الحداثيين حول فريضة الخمس وسبل علاجها

تعدُّ فريضة الخمس من أهم المقومات وأركان الإسلام الاقتصادية التي طرحها القرآن الكريم، فهي عصب التشريعات الإسلامية التي لم يكن هدفها عبادي فقط، بل أنَّه يضع قوانين العدالة الإجتماعية، والمساواة بين المسلمين في الحقوق المالية، فلا يظلم أحد في دار الإسلام قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ {سورة ق:٢٩} .

المطلب الأول: إشكالية استحباب الخمس عند بعض الحداثيين

فريضة الخمس من الواجبات التي تسهم في انتعاش الاقتصاد الإسلامي، والقضاء على الفوارق الطبقية في المجتمع ، وقد شرع القرآن الكريم في بيان توزيع هذه الأموال ، وهذا ما أكده قوله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ { سورة الأنفال:٤١} قال الطهراني في تفسيره : "وعندهم يجب في الغنيمة الموصوفة بهذا الوصف الخمس ، وعندنا الخمس واجب في كلّ فائدة يحصّل الإنسان من المكاسب وأرباح التجارات وفي الكنوز والمعادن والغوص وغير ذلك" (١).

واختلف في الخمس على نحوين هما:

الأول: وجوب الخمس في المغانم الحربية دون غيرها، وهو ما ذهب إليه عامة المذاهب الأخرى.

الثاني: الخمس واجب في السلم والحرب، هو مطلق وان وردت الآية في سياق آيات القتال.

ولكن ذهب بعض الحداثيين إلى عدم وجوب الخمس، وهذا ما أرادوا ترسيخه في نفوس العوام أنَّ الخمس لم يكن واجباً يقول الشيخ حسن مشيمش: الخمس ليس واجباً شرعياً مطلقاً ، وليس فرعاً من فروع الشريعة ، ولا فرعاً من فروع مذهب أهل البيت (عليهم السلام)...وأنا على يقين لم يكن يعلم بعض الشيعة بأنَّ الخمس الذي قال به

---

(١) الطهراني: مقتنيات الدرر،٩١/٥.

فقهائهم اليوم هو واجب عليهم، ولم يكن واجباً في زمن النبي (ﷺ) ولا في زمن الإمام علي (عليه السلام) ولا في زمن غيرهم من الأئمة [١].

والحال ذاته ينطبق على ما قاله حسين الموسوي في تلك المسألة بعد ذكره لمجموعة من علماء الإمامية: إنَّ علماء الإمامية لا يقولون بوجوب الخمس، بل بإباحته، وذلك أنَّ الأئمة أباحوا الخمس للشيعة واعفائهم من دفعه، وهذا القول مشتهر بين المتقدمين والمتأخرين منهم، وقد ورد العمل به في أوائل القرن الرابع عشر وكون أن الروايات وردت في إباحته، فكيف والحال هذه أن يدفع الخمس إلى فقهائهم ومجتهديهم [٢].

ويرى البعض: إنّ أدخال الفقيه أو المرجع في الخمس، كان بطريق القياس على الإمام المعصوم، وهذا القياس غير معتبر، فهو يخالف صريح النص القرآني حيث لم يذكر الفقيه ولم يرد ذكره من الأصناف المستحقة بأخذ المال [٣].

ولنا في هذا الصدد بيان بعض الروايات التي اعتمدوا عليها في إثبات مدعاهم ونذكر روايتين للإختصار منها :

روى الكليني عن حكيم بن عيسى قال: قال "سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قوله تعالى :﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ { سورة الأنفال:٤١} فقال ابو عبد الله (عليه السلام)بمرفقيه على ركبتيه ثم أشار بيده ، ثم قال : هي والله الإفادة يوما بيوم إلا أنَّ أبي جعل شيعته في حل ليزكوا " [٤].

وروى الصدوق عن يونس بن يعقوب قال: " كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فدخل عليه رجل من القماطين [٥] فقال: جعلت فداك تقع في أيدينا الأرباح والأموال

---

(١) يُنظر: حسن مشيمش ، موقع لبنان الجديد ، مقال عنوان ، هل الخمس واجب، ١٥/كانون الثاني ٢٠١٨م.

(٢) يُنظر: حسين الموسوي، كشف الاسرار وتبرئة الأئمة الأطهار،٦٠/١.

(٣) يُنظر: شحاته محد صقر، الشيعة هم العدو فأحذرهم، ص٩٣.

(٤) الكليني: الكافي، ٥٤٤/١.

(٥) القماطين: جمع قماط: وهو حبل تشد به قوائم الشاة عند الذبح (ابن منظور: لسان العرب،٣٨٥/٧).

وتجارات نعرف أنَّ حقك فيها ثابت وإنا عن ذلك مقصرون؟ فقال (عليه السلام) : ما أنصفناكم إن كلفناكم ذلك اليوم " [1] .

ومن خلال ما سبق: فإنَّ إشكالية الخمس والقول باستحبابها عند البعض هي عصارة بعض الروايات الواردة في الكتب الإسلامية، وفي المطلب الآتي نحاول بيان العلاج المتعلق بها.

المطلب الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية استحباب الخمس عند بعض الحداثيين

يكون العلاج القرآني لهذه الإشكالية على النحو الآتي:

أولاً: مخالفة ومناقضة الحداثيين لكتاب الله تعالى

مخالفة القرآن الكريم الذي هو الدستور العام للتشريع الإسلامي والاجتهاد في قبال نصوصه القطعية الثابتة، هو ديدن الحداثيين وغيرهم، فلم تسلم نصوصه من المعارضة لا سيما ما يتعلق بالخمس وتقسيماته ، قد ذكر الله تعالى هذا التشريع بقوله : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ { سورة الأنفال:٤١} ، فمما لا ضير فيه أنَّ دلالة الآية الكريمة في ما غنم في معركة بدر فقسمها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول مكارم الشيرازي: ومن المشكلات التي يعاني منها المجتمع العالمي هو الإنفاق والفوارق الطبقية ، حيث أنَّ الإنسان في هذا العالم يعاني أشد المعاناة رغم التقدم العلمي والصناعي والمادي، فحيث نجد البعض يكتنز الثروات التي لا يمكن عدها لكثرتها ، وفي قبال ذلك نجد أن هناك من يعاني من الفقر المدقع ... وحل هذه المشكلة بينته الآية الكريمة حيث سعى الإسلام إلى حل تلك المشاكل عن طريق الخمس وغيره [2].

---

(١) الصدوق: من لا يحضره الفقيه، ٤٤/٢.

(٢) يُنظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،٢٩٣/٢-٢٩٤.

ولكن مع كل هذه التأكيدات الظاهرة في وجوب الخمس، نجد أن هناك من يقول بعدمه مخالفة لصريح القرآن الكريم، وهذا ما يراه حسين الموسوي وغيره فيقول: والراجح عندي إباحة الخمس لموافقته للنصوص وعمل الأئمة (عليهم السلام) وهذا ما يراه المفيد عند اختلاف القوم فيه عند زمن الغيبة، ثم يسقط إخراجه في غيبة الإمام ...[١].

ويبدو أنَّ الكاتب أغفل عن عقيدة المرجع الجامع للشرائط في زمن الغيبة الكبرى فهو نائب المعصوم، وله ما للمعصوم في الأمور المالية ومنها الخمس، يقول الشيخ المظفر: وعقيدتنا في المرجع الجامع للشرائط هو نائب المعصوم في زمن الغيبة الكبرى، وهو الحاكم والرئيس المطلق له ما للإمام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس، والراد عليه كالراد على الإمام ... فليس مرجع للفتوى فقط، له الولاية العامة ... ويرجع إليه في الأموال التي من مختصات الإمام وحقوقه كالخمس [٢].

هذا مضافاً إلى أنَّ الروايات عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) قد فرضت الخمس في كل ربح بدليل ما رواه البخاري عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَقَالَ: "إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ، قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:«شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ،وَصَوْمُ رَمَضَانَ،وَتُعْطُوا الخُمُسَ مِنَ المَغْنَمِ"[٣].

وعلق السبحاني على هذه الرواية: أنَّ المراد من الغنيمة غير غنيمة القتال؛ لأنَّ وفد عبد القيس قالوا: إنَّ بيننا وبينك المشركين، ونخاف أنْ نصل إليك لوجود المشركين فيها، وهذا يدل أنهم كانوا محاصرين من قبل الكفار والمشركين، فلم يكن لهم قتال المشركين حتى يحصلوا على الغنيمة منهم، حتى يقوموا بتخميسها [٤].

---

(١) يُنظر: حسين الموسوي، كشف الاسرار وتبرئة الأئمة الأطهار، ٦٠/١.

(٢) يُنظر: المظفر ، العقائد الإمامية، ص٣٦.

(٣) صحيح البخاري،٢٩/١ح٨٧.

(٤) يُنظر: جعفر السبحاني، العقيدة الإسلامية في ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، ص٣٥٠.

ويبدو أنَّ مكمن هؤلاء إيقاع الفتن تجاه التشريع الخاص بفريضة الخمس عن طريق استعمال بعض الروايات محاولين فيها إظهارها بمظهر الحق، وهي في الأساس واضحة البطلان ، وعن طريق وجود الأرضية لتقبل هذه الأحكام من قبل العوام ، وفي هذا الصدد روى الكليني عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر(عليه السلام) قال : "خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) الناس فقال : أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع ، وأحكام تبتدع ، يخالف فيها كتاب الله ، يتولى فيها رجال رجالاً ، فلو أنَّ الباطل خلص لم يخف على ذي حجى ، ولو أنَّ الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث ،فيمزجان فيجيئان معاً فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى"(١) .

ومجمل ما سبق: إنَّ إشكالية استحباب الخمس وإباحته مخالفة ومناقضة للنص القرآني والسنة الشريفة ، حيث أنَّ الخمس واجب على كل ربح ولا يختص بغنائم الحرب ، فهو مطلق لا مقيد.

ثانياً: مخالفة الحداثيين لصريح السنة الشريفة

حذر الله سبحانه و تعالى من مغبة مخالفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وعدم العمل بسنته الشريفة ، فإنَّ الآثار المترتبة على ذلك هو الوقوع في شراك الفتنة ، الذي بمقتضاها يجعل الإنسان عرضة للعذاب الإلهي وهذا ما أكده القرآن الكريم ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ {سورة النور:٦٣} ، وهذا الوصف ينطبق على الحداثيين في مخالفتهم أوامر النبي ومخالفة سنته الفعلية ، فقد وردت روايات متعددة عن أهل بيت العصمة تدل على أنَّ الخمس من الواجبات لا شك فيه ، روى الصدوق عن عيسى بن عبد الله العلوي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الصادق (عليه السلام) قال : "إنَّ الله الذي لا إله إلا هو لما حرم علينا الصدقة أنزل لنا الخمس ، فالصدقة علينا حرام ، والخمس لنا فريضة" (٢).

---

(١) الكافي، ٥٤/١، المازندراني، شرح أصول الكافي،٢٣٣/٢، أبن ابي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة،١٣٣/٢.

(٢) الخصال، ص٢٩١.

وأما الروايات التي استندوا إليها في إباحة الخمس دون وجوبه، فلا يعلم هؤلاء أن الإمام له حق اسقاط الخمس، وذلك لمصلحة المسلمين، وهذا ما أشار إليه مرتضى الحائري فقال: ويستثنى من الخمس ما يجعله الإمام على فعل مصلحة من مصالح المسلمين(١).

وقد ضعّفَ السيد الخوئي هذه الروايات القائلة بإباحة الخمس، وذلك لتعارضها مع الروايات الداعية إليه فقال: وهذه الروايات إضافة إلى معارضتها روايات أخرى غير قابلة للتصديق في نفسها، فلا يمكن التعويل عليها؛ لمنافاتها لتشريع الخمس الذي يسد حاجات الفقراء من آل محمد (ﷺ) فإذا لم يجب دفع الخمس من الشيعة وغيرهم إليهم، فمن أين يعيش هؤلاء الفقراء، ثم إن هناك معارضة من بعض الروايات التي تأمر بدفع الخمس وغير ذلك ، فكيف بعد ذلك يسقط وجوب الخمس عنهم؟ (٢).

ويبدو أنَّ الخمس الساقط الذي وردت الروايات بإباحته على لسان الأئمة (عليهم السلام) والذي أحله الإمام لشيعته هو سهم الإمام وحصته، وأما النصف الآخر من حق السادة فينبغي أن يدفع لهم ، ومما يؤيد ذلك ما رواه العلامة الحلي عن علي بن مهزيار قال: " قرأت في كتاب لأبي جعفر (عليه السلام) من رجل يسأله أن يجعله في حل من مأكله ومشربه من الخمس ، فكتب بخطه : من أعوّز شيء من حقي فهو في حل " (٣).

ومن خلال ما سبق : إنَّ إشكالية استحباب الخمس وإباحته التي ذكرته الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) مردود ومعارض بظاهر النص القرآني في سورة الأنفال الآية:٤١، فيثبت وجوبه والعمل به في زمن الغيبة الكبرى ، فهو لا يختص بغنائم الحرب كما يذهب إليه الفريق الآخر؛ وذلك لسببين :

أحدهما: أنَّ الغنيمة تطلق في لغة العرب على كل ما يفوز به الإنسان، وهذا ما ذكره

---

(١) يُنظر: مرتضى الحائري، الخمس، ص٣٠-٣١.

(٢) يُنظر: الخوئي، كتاب الخمس، ص٢٤٣.

(٣) العلامة الحلي : مختلف الشيعة،٣٥٣/٣، والحر العاملي، وسائل الشيعة ، ٣٧٩/٦ح٢.

الخليل: " الغنم الفوز بالشيء من غير مشقة" [١]. ومما يؤيد ذلك استعمال القرآن الكريم هذه اللفظة في نعم الجنة ، قال تعالى:﴿ فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ سورة النساء:٩٤}، فلا تختص هذه اللفظة بغنائم الحرب وحدها.

الثاني: وردت روايات عند الفريقين عن النبي الأكرم وأهل بيته (عليهم السلام) تؤكد وجوب الخمس على كل ربح ، كما هو الحال في رواية وفد قبيلة عبد القيس آنفة الذكر [٢].

(١) العين، ٦٢٤/٤، الأزهري: تهذيب اللغة، ١٤١/٨.

(٢) يُنظر: جعفر السبحاني، ٣٤٩-٣٥٠.

المبحث الخامس: إشكالية نسبة الخمس لله ينافي غناه وعلاجها في القرآن الكريم

من الإشكاليات التي طرحت حول فريضة الزكاة هي أن الآية الكريمة ذكرت لفظ الخمس ونسبته إلى الله تعالى كما في قوله : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ ، وهذا ينافي غناه تعالى ؛لأنَّ الشرع أوجب الخمس لأجل الحاجة له ، وأنَّ الله غني مطلق فكيف ينسب الى الحق تعالى؟ (١).

وهذه الإشكالية لا تصمد أمام النقد، ويمكن الإجابة عليها في المطلب الآتي:

المطلب الأول: بيان إشكالية الخمس ونسبته إلى الله تعالى

بعد أنْ اثبتنا في المبحث السابق وجوب الخمس، وذكر صرفه في الموارد الخاصة بأهل البيت (عليهم السلام) ، مع عدم التقيد في صرفة في مورد الحرب، ولكن ورد إشكال حول الآية الكريمة ، حيث إنَّ الله غني مطلق ، ولا حاجة له للناس ، فكيف تصح نسبة الخمس إليه؟

فظاهر الإشكال يحاول بث روح الشك في النص القرآني، ومنافاة الغنى المطلق لله تعالى مع نسبة الخمس إليه، فالخلق يحتاجون إليه بحكم أنه واجب الوجود، ولكن لا يحتاج إليهم؛ لأنهم ممكنات للوجود، فالممكن يحتاج إلى الواجب دون احتياج الواجب إليه.

وقال السيد أحمد الاشكوري:" وقد توهم المستشكل بأنَّ الخمس وتشريعه منحصر بالحاجة فقط، ومع أنَّ الملاك أعم من الحاجة، فهي ليست العلة التامة في تشريع هذا الحق، وإنما يصرف هذا الحق في سبيل الله تعالى، وهذا الملاك عام وشامل لجميع ما يدخل في حفظ ونشر معالم الدين والمذهب الحق، وكل ما يكون فيه رضا لله تعالى وللنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) "(٢).

---

(١) يُنظر: الخمس في عصر الغيبة شبهات وردود، ص١٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٥.

المطلب الثاني: المعطيات القرآنية في معالجة إشكالية فقر الله تعالى

يمكن علاج هذه الإشكالية على النحو الآتي:

أولاً: بطلان نسبة التنافي بين الخمس والغنى لله تعالى

يمكن رد هذه الإشكالية ببيان أنَّ الله تعالى في آية الخمس عندما قال:﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ {سورة الأنفال:٤١}، فهو ليس محتاجاً إلى أموال الخمس، وإنما افتتح (ﷺ) آية الخمس بذلك للتبرك وتفخيم الأمور المالية، فذكر أسمه للتعظيم ، وتفويض قسمة ذلك للنبي (ﷺ) ؛لانَّ كل شيء مفوض لله تعالى ، فهو يحكم بما يشاء ، ولله كل ما في الدنيا ولآخرة [١].

وبإستقراء آراء المفسرين حول مضمون هذه الآية الكريمة، نجدهم يتفقون على مسألة التبرك وزيادة في المال، ولا تنافي بين الغنى لله تعالى وأموال الخمس، وهذا ما ذكره عبد الله الزيد بقوله: فذهب أكثر المفسرين والفقهاء إلى أنَّ قوله (لله خمسه) هو لافتتاح الكلام على سبيل التبرك، وأضاف تعالى المال إلى نفسه في الآية لشرفه، وليس المراد منه أن من سهم الغنيمة لله مفرداً، فهو الغني المطلق، فإنَّ ملك الدنيا والآخرة لله تعالى عز وجل [٢].

ولكن الأيجي أضاف أمراً آخر إلى جانب التبرك فقال: واختلف المفسرون في نسبة الخمس لله تعالى في هذه الآية الكريمة فمنهم: من يرى أنَّ ذكر الله للخمس للتبرك، وقال آخرون: ذكر ذلك؛ لأنَّه يصرف إلى الكعبة والرسول [٣].

والملاحظ من كلمات أهل التفسير أنَّ الله منزه مما ذكره أعلاه من افتقاره وهو الغني المطلق، فما ذكر من نسبة الخمس إليه تعالى، هو للتبرك والتيمن بذكره تعالى، لا لاحتياجه إلى المال فهو الغني الحكيم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ {سورة فاطر:١٥} ، فحذر الله جل ثناؤه عن نسبة الفقر

---

(١) يُنظر: الزحيلي، التفسير الوسيط، ٨٠٢/١.

(٢) يُنظر: مختصر تفسير البغوي، ٣٥٣/٣.

(٣) يُنظر: جامع البيان في تفسير القرآن، ٢٤/٢.

إليه، في موارد كثيرة وهذا ما أشار إليه الماتريدي فقال: فالله تعالى غني عن إنفاقكم، وما يأمركم به في الإنفاق فليس جل ثناؤه منتفع به، وإنما يعود النفع من ذلك الإنفاق إليكم فيما يأمركم به من الأموال الأخرى، فليس لحاجته من ذلك لنفسه، وإنما لحاجتكم إليه في كل وقت وفي جميع أحوالكم، فهو الغني المطلق وأنتم المحتاجون إليه [١].

وهذا ما عبر عنه أحد المفسرين ببرهان الإمكان والوجوب، حيث نبههم الله تعالى إلى أنهم لا يملكون أي شيء من أنفسهم يستقلون به، بل هم مؤتمنون عليها من أموال وغيرها، وهذا يعد تحدياً كبيراً لكل من يحاول نسبة الغنى إلى نفسه، بل إنه مفتقر إلى من أوجده وهو الله تعالى [٢].

ثانياً: نسبة المال وإضافته إلى الله نسبة مجازية

ذكر القرآن الكريم انتساب المال إلى الله هو نسبة مجازية ومن بينها نسبة الخمس إلى الله تعالى في آية الخمس، والمراد بالمجاز هو:" اللفظ المستعمل في غير موضوعه " [٣] فلا يمكن نسبة المال إلى الله إلا وفق السياقات المجازية، وقد ورد في القرآن الكريم كثير من الآيات القرآنية التي تدل على ذلك منها ،قوله تعالى في الرد على مزاعم اليهود وإشكالياتهم من نسبة الفقر إلى الله تعالى ، وهم أغنياء ، قال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ {سورة البقرة:٢٤٤} ، فليس الله محتاج إلى خلقه وهذا ما أكدة الشيخ الطوسي في تفسيره : ومعناه المجازي أنَّ الله لا يقترض من عوز وفقر وفاقة ، بل هو غني عن العالمين فذكر الاقتراض وبيان حال المقترض بأنْ يأخذ أضعاف ما قدّم في وقت الفقر والحاجة ، والله منزه عن ذلك ، فلا يمكن نسبة ذلك إليه تعالى بدعوى الفقر كما هو حال الإنسان ، بل هو مستغي عن ذلك كله [٤].

---

(١) يُنظر: تأويلات أهل السنة،٢٨٨/٩.

(٢) يُنظر: مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل، ٥٤/١٤.

(٣) الدكتور سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي، ص٧٣.

(٤) يُنظر: التبيان في تفسير القرآن،٦٤/٢.

وسبب نزول هذه الآية التي هي مصدر شبهة نسبة الفقر إلى الله، بلحاظ ما ذكره القرآن الكريم أنَّ اليهود ذكروا ذلك للنبي (ﷺ) في عصر النزول فقالوا: إنَّ الله يستقرض منا فهو فقير ونحن أغنياء [١].

وهذه الوسائل التي اتبعها اليهود في بدء الدعوة الإسلامية من أجل تقويض المد الإسلامي والتشكيك بمصدره إلى الله تعالى، ومن ثم التطاول على الذات المقدسة من نسبة الفقر إليها، لاقت رواجاً في بعض الأوساط الجاهلة بأساليب القرآن الاقتصادية في العصر الحالي، ولكن تأطرت بإطار عصري جديد، مقايسة على المبتنيات الإنسانية، واساليبها في بيان مفهوم الغنى والفقر، فهذه الإشكالية مستوحاة من الفكر اليهودي [٢] .

وقد ذكر ابن شهر آشوب هذه الإشكالية في نسبة الفقر إلى الله تعالى أنها قديمة فقال : وقال عبد الملك بن أبي العوجاء للطاقي:" أتزعم أنه غني قال نعم قال أيكون الغني عندك في المعقول في وقت من الأوقات ليس عنده ذهب ولا فضة، قال: إن كان غنياً من قبل ذهبه وفضته وتجارته، فهذا كل ما يتعامل الناس به منه فأي القياس أكثر وأولى من أن يقال: غني من أحدث الغنى فأغنى به الناس قبل أن يكون شيء أو من أفاد مالاً في هبة أو تجارة فقال: هذا من كلام أبي عبد الله عليه السلام" [٣] .

ويفهم مما تقدم أعلاه: إنَّ إشكالية نسبة الغنى لله تعالى لا ينافي غناه، فما ذكر في صدر الآية من أضافة الخمس إلى الله تعالى، للتبرك، ثم أن النسبة في الانتساب نسبة مجازية لا حقيقية، وبذلك تندحر هذه الإشكالية.

---

(١) يُنظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن،٢٧٨/٢.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه،٥٨٠/٣.

(٣) متشابه القرآن ومختلفة، ٦٣/١.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث المتعلق بالإشكاليات المعاصرة، لزم لنا تسجيل ما تبلور من بعض النتائج التي نعتقد أنها جديرة بالاهتمام والاعتناء منها:

١- إنَّ الإشكاليات المعاصرة هي ذاتها كانت في زمن النبي (ﷺ) ، ولكن صقلت بقوالب جيدة على وفق ورؤية عصرية ، هدفها التشكيك في الدين الإسلامي ، وهذا ما لمسناه من إشكالية الإلحاد المعاصر.

٢- حدد المستشكلون نقاط القوة في الدين الإسلامي، وراحوا يخططون لضربها وبث سمومهم حولها، ومن ذلك شخصية النبي القائد، واعتمدوا في ذلك على بعض الروايات الضعيفة من الطرف الآخر إلى اتهام النبي (ﷺ) بالهوس الجنسي، وحبه للنساء.

٣- حاول بعض المعاصرين كدوكننيز وغيره الاستناد إلى نظريات لم تثبت كنظرية الانفجار الكوني، ونظرية النشوء والارتقاء في تعزيز آرائهم بعدم وجود خالق الكون ، فكانت النظريات العلمية هي الوسيلة لإنكار وجود الله تعالى.

٤- أهمل المستشرقون وغيرهم المصادر الأصيلة في الدين الإسلامي، وعمدوا إلى الاكتفاء بالمصادر المتأخرة في أغلب الأحيان، أو التي لم تثبت صحتها في تدوين إشكالياتهم .

٥- لم يفهم أصحاب الإشكاليات الدواعي الحقيقية لبعض التشريعات، كما هو الحال في زواج الأدعياء ، بل إنَّ ذلك شُرِّع للقضاء على بعض العادات الجاهلية القاضية ، بعدم النكاح من زوجات الأدعياء، وهذا الفعل يحتاج إلى شخصية ذات مقبولية عالية كشخصية النبي (ﷺ) لإزالة واحتواء تلك المشكلة ، إضافة إلى ذلك أنَّ النبي (ﷺ) لم يتزوجهن بدافع الغريزة الجنسية؛ لأنَّ أغلبهن طاعنات في السن.

٦- الفهم الخاطئ لبعض منظري التيار الحداثي تجاه بعض التشريعات، لا سيما ما يتعلق بفريضة الزكاة ، فلم يفهموا الغاية من تشريع هذه الواجبات ، فنراهم في فريضة الزكاة لم يفهموا سر هذه التشريعات وغايتها الأساسية كالتطهير والتزكية والبعد المادي لها، فآرائهم جاءت بخلاف ما أقره القرآن الكريم والسنَّة من القول بالاستحباب لهذه الفريضة.

٧- أبدع القرآن الكريم والسنّة النبوية في ردع مثل هذه الإشكاليات المعاصرة، ولم تكن تلك النظرة العلاجية الثاقبة محددة بزمن معين، وإنّما تتعداه إلى يوم القيامة، وذلك للوقوف بوجه عام تجاه أصحاب تلك الإشكاليات، وتعطيل الدور الشيطاني هم، وكان هذا العلاج من أهم وأبرز العلاجات.

٨- اتضح أنَّ المستشرقين من خلال دراستهم للدين الإسلامي، ليس بغرض إبراز الجوانب المضيئة في التشريعات الإسلامية، وصلاحيتها لكل الأزمنة، ولكن كانت غاياتهم هو بث روح التشكيك في نفوس المسلمين، من أجل أبعادهم عن هذا الدين، وعدم التعامل معه على أنَّه أفضل الأديان.

٩- تأثيرات المستشرقين كانت واضحة على الشخصية المعاصرة للحداثيين، فكان من نتاج ذلك انزلاق بعض الحداثيين في هذه الأفكار المضللة التي تؤدي إلى التراجع والارتداد، وهذا ما لمسناه من بعض الذاهبين إلى القول ببشرية القرآن الكريم ،كأمثال عبد الكريم سروش وغيره.

١٠-كان المنهج القرآني في التعامل مع هذه الإشكاليات يسيرعلى وفق ثلاثة خطوط: الأول: هو تحديد مكامن الإشكالية وبيان خطرها، وهو المعبر عنه بالمنهج الاستباقي لمعالجة هذه الإشكاليات. والثاني: بيان المعالجة الحقيقية الناجعة للإشكالية مهما كان نوعها. والثالث: بيان النظرة المستقبلية في وتداعياتها وتأثيراتها المستقبلية، وهذا ما استشفيناه من مسألة الرفق بالحيوان في إشكالية دموية الحج.

١١- اتضح أنَّ لهذه الإشكاليات آثاراً وتداعيات سلبية وخطيرة على الفرد المسلم، بكل جوانب الحياة منها: العقائدية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، فكانت هذه الدراسة وجه تحذيري من عدم الانخراط في هذه الإشكاليات، التي بمقتضاها تبعد الفرد المسلم عن دينه الذي ارتضاه الله له.

١-ضرورة تفعيل وتثوير دور القرآن الكريم الريادي في الكشف عن المشاكل المعاصرة ، التي تواجه المجتمع الإسلامي، ووضع الحلال الناجعة لها من خلال استنطاقه لإبراز مكوناته ، لأنه كتاب الزمن.

٢-الأخذ بمنهج القرآن الكريم في مواجهة تلك التحديات، في الرد على مثل هذه الإشكاليات، فمنهجه الحق رسم ويرسم الخطوط العامة على وفق أسس اعتبارية مستقبلية ، تسهم في مقارعة أكبر التحديات والتغلب عليها ودحضها.

٣- الغوص في كتب المستشرقين ومن تأثر بهم من أجل اكتشاف إشكاليات معاصرة جديدة، سواء على المستوى العقدي أو الاجتماعي أو الاقتصادي وغيرها، فلم يستكن لهم بال إلا من خلال طرح الإشكاليات المعاصرة ، وذلك بالوقاية من سمومهم في زعزعة الفرد المسلم بدينة.

٤- تفعيل دور المؤسسات الدينية عن طريق تشكيل لجان متخصصة في الرد على هذه الإشكاليات، من جميع المذاهب الإسلامية ؛ لأنَّ الخطر عام ولا يقتصر بفئة دون أخرى.

٥- تفعيل دور الإعلام الإسلامي في جميع بقاع المسلمين ، والنهوض من أجل دحض الافتراءات الواهية حول الدين الإسلامي، لما للإعلام من دور كبير في وأد مثل هذه الإشكاليات المعاصرة، ومحاولة تحجيمها والقضاء عليها. وإزالة الضبابية التي تولدت عن بعض المسلمين منها.

٦- اتخاد وسائل مناسبة كعقد الندوات المختلفة؛ لغرض التوعية وشحذ الهمم في دراسة العلوم الدينية ، بمختلف اتجاهاتها ؛لأنها المنجى والمعتصم من الوقوع في مثل هذه الإشكاليات، التي تهدف إلى التشكيك في الدين القويم، الذي قد يوصل الإنسان إلى الإلحاد المعاصر.

قائمة المصادر والمراجع

•القرآن الكريم خير ما نبدأ به.

١-احمد إبراهيم خضر، اعداد البحوث والرسائل العلمية، جامعة الازهر، كلية التربية، القاهرة، ١٤٣٤هـ -٢٠١٣م.

٢-أحمد اجاييف، حقوق المرأة في الإسلام، ترجمة: سليم قبعين، الناشر: مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر، ب-ط، ٢٠١٣م.

٣-احمد اسماعيل كتبي: المنهج التربوي في معالجة المواقف من أخطاء افراد في المجتمع المدني من خلال كتاب السيرة النبوية لأبن هشام، للسنة الثالثة والعشرين، العدد:٢٢٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٤-أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م.

٥-الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

٦-الاستانبولي ، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ) ، تفسير روح البيان، الناشر: دار الفكر – بيروت، ب-ط.

٧-الأسكندري ، أحمد بن محمد المالكي، الإنصاف فيما تضمنه الكشاف(ت:٦٨٣هـ)، الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦ م.

٨-الإسلامبولي، سامر، القرآن من المهجر إلى التفعيل، الناشر: دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط-١، ٢٠٠٨م.

٩-الاشكوري، احمد، الخمس في عصر الغيبة شبهات وردود، الناشر: مركز الدراسات التخصصية للامام المهدي، ط١، ١٤٣٩هـ .

١٠-الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب (ت: ٥٠٢هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي، دار النشر: دار الوطن – الرياض، ط١: ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣ م.

١١-الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد الراغب (ت: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، الطبعة: الأولى -١٤١٢ هـ.

١٢-الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد الراغب (ت: ٥٠٢هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب -جامعة طنطا ط١: ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩ م.

١٣-آل شيخ، قيس بن محمد آل شيخ مبارك، التداوي والمسؤولية الطبية في الشريعة الإسلامية، الناشر مؤسسة الريان، ط١، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

١٤-الإمام العسكري، التفسير المنسوب للإمام العسكري، الناشر: مؤسسة الإمام الباقر للطباعة والنشر والتوزيع، قم ، ط١، ١٤٣٧هـ -٢٠١٦م.

١٥-الآملي السيد حيدر(ت:٧٨٢هـ) تفسير المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، تحقيق : السيد محسن الموسوي التبريزي، الناشر : مؤسسه فرهنگی و نشر نور علي نور، الطبعة : الرابعة.١٤٢٨هـ

١٦-الآملي، حيدر (ت: ٧٨٢هـ)، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، تحقيق : السيد محسن الموسوي التبريزي، الناشر : مؤسسة فرهنگی و نشر نور علي نور ، ط٤، المطبعة : الأسوة ، ١٤٢٨هـ .

١٧-الاندلسي ، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام -المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧ هـ -٢٠٠٦ م.

١٨-الأندلسي، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ط١: ١٤٢٠هـ.

١٩-الاندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١ ،١٤٢٢هـ.

٢٠-الأنصاري، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ) لسان العرب، (ب-ت)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط٣ -١٤١٤ هـ.

٢١-إيمان شمس الدين ، في قضايا التجديد والمعاصرة، الناشر: مركز عين للبحوث والدراسات المعاصرة، لبنان، ط١، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

٢٢-باشا، حسان شمسي ، معجزة الاستشفاء بالعسل والغذاء الملكي حقائق وبراهين، الناشر: دار القلم ، دمشق، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٢٣-البحراني، أبن ميثم، ميثم بن علي(ت:٦٧٩هـ)، شرح نهج البلاغة، الناشر: مؤسسة النصر، قم، ١٣٦٢هـ.

٢٤-البحراني، العلامة المحدث المفسر هاشم الحسيني(ت:١١٠٧هـ)، البرهان في تفسير القرآن، تحقيق: لجنة من العلماء والمخصصين الأخصائيين، الناشر: مؤسسة العلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط٢ ،١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٢٥-البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل (ت:٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: دار أبن كثير، بيروت، ب-ط ،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٦-البداح ، عبد العزيز احمد، الإلحاد المعاصر، الناشر: دار المتميز، الرياض ،ط١، ١٤٤١هـ -٢٠٢٠م.

٢٧-بدوي، عبد الرحمن، دفاع القرآن ضد منتقديه، ترجمة: كمال جاد الله، الناشر: الدار العالمية للكتب والنشر، ب-ط.

٢٨-بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، الناشر دار العلم للملايين ، بيروت –لبنان، ط٣، ١٩٩٣م.

٢٩-البروجردي، حسين (ت:١٣٤٠هـ)، الصراط المستقيم، الناشر: مؤسسة أنصاريان، المطبعة: الصدر – قم، ١٤١٦ هـ -١٩٩٥ م.

٣٠-بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريب: نبيه أمين فارس- منير البعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ٢٠٠١م.

٣١-البسيلي، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد التونسي (ت: ٣٨٠هـ) ، التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد ،الناشر: كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - المملكة العربية السعودية ،ب-ط.

٣٢-البغدادي ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ) العمر والشيب، تحقيق: د. نجم عبد الله خلف، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤١٢هـ .

٣٣-البغوي، أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ.

٣٤-البلاغي، محمد جواد، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، مطبعة العرفان ، ب-ط، صيداء ١٣٥٢ هـ ١٩٣٣ م .

٣٥-البيضاني، علي زناد كلش، المنهج النبوي في معالجة الفتن، الناشر: دار الكفيل للطباعة والنشر، كربلاء، ط١، ٢٠١٧م.

٣٦-البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ - ١٤١٨ هـ .

٣٧-البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني(ت:٤٥٨هـ)، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض ط١ ، ١٤٢٣ هـ -٢٠٠٣ م.

٣٨-البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (ت: ٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط٣ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣٩-التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع (ت: ٢٨٣هـ)، تفسير التستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون دارالكتب العلمية – بيروت، ط١، - ١٤٢٣ هـ.

٤٠-التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير ،تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

٤١-الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ .

٤٢-الثعلبي، أبو إسحاق، أحمد بن إبراهيم(ت:٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٤٣-الجابري، محمد عابد، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، الناشر: مركز دراسات الوحدة المربية، ط١، بيروت -لبنان، ١٩٨٩م.

٤٤-جان جاك روسو، دين الفطرة، ترجمة: عبد الله العروي، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط١، ٢٠١٢م.

٤٥-الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: ٨١٦هـ)، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٤٦-الجصاص أحمد بن علي الرازي (ت: ٣٧٠هـ) ، الفصول في الأصول، تحقيق : دكتور عجيل جاسم النمشي، ط١، ١٤٠٥هـ.

٤٧-الجصاص، أبو بكر، أحمد بن علي الرازي الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، أحكام القرآن، تح: محمد صادق القمحاوي -عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥هـ.

٤٨-جعفر ادريس، الفيزياء ووجود الخالق، الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٤٩-الجعفي، المفضل بن عمر، الناشر: مكتبة العين، لبنان، ط١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٧م.

٥٠-الجمل، إبراهيم محمد، تعدد الزوجات في الإسلام، الناشر: دار الاعتصام، القاهرة، ١٤٠٢هـ.

٥١-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الناشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ب-ط، ١٩٨٢م.

٥٢-الجهني، مانع بن حمّاد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ط ٤، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٥٣-الجواهري، حسن، بحوث في الفقه المقارن، الناشر: دار الذخائر، بيروت –لبنان، ط١، ١٤١٩هـ .ق.

٥٤-جولدتسيهر، اغناتس، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة: عبد الحليم النجار، الناشر: مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، ١٤٧٣هـ -١٩٥٤م.

٥٥-جيجو، ابراهام، ماذا اخذ محمد عن اليهودية، ترجمة: نبيل فياض، الناشر: مكتبة الرافدين، ٢٠٠٨م.

٥٦-الحائري، مرتضى، الخمس، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٨هـ .

٥٧-الحر العاملي، الفقيه المحدث الشيخ محمد بن الحسن (ت: ١١٠٤هـ)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط٢ ،١٤١٤ هـ. ق.

٥٨-الاحسائي، ابن ابي جمهور، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، الحاج آقا مجتبى العراقي، ط١، قم – إيران، مطبعة سيد الشهداء، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٥٩-الاحسائي، حيدر السندي، مواجهة الإلحاد، الناشر: دار الكفيل للطباعة والنشر، كربلاء، ١٤٣٧هـ.

٦٠-الاحسائي، علي نقي، المعاد الجسماني عند الشيخ أحمد الاحسائي، تحقيق: صالح احمد الدباب، الناشر: مؤسسة شمس هجر، ط-١، بيروت- لبنان، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٦١-الحسني ، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ط٣: ١٤١٩ هـ.

٦٢-حسين محمد نصار، الموسوعة العربية الميسرة، الناشر: مؤسسة اعمال الموسوعة، ط٢، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٦٣-الحكيم، محمد باقر(ت:١٤٢٤هـ)، علوم القرآن، الناشر: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، المطبعة: النخيل، ط٥ ،٢٠١٠م.

٦٤-الحلّي، أبو عبد الله محمد بن إدريس(ت:٥٩٨هـ)، المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من التبيان، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة - قم المقدسة، ط١، ١٤٠٩هـ.

٦٥-الحلي، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (ت:٧٢٦هـ) ، مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، تحقيق ونشر : مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، ط١، ١٤١٢ هـ.

٦٦-الحنفي، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، الناشر: مكتبة مدبولي ، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٦٧-الحويزي، العلامة الخبير الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي(ت:١١١٢هـ)، نور الثقلين، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، المطبعة: مؤسسة إسماعيليان، قم، ط٤ ،١٤١٢هـ-١٣٧٠ش.

٦٨-الخباز، منير، الشبهات المعاصرة في الإلحاد وسبل التصدي لها، الناشر: مجلة دراسات علمية في المدرسة العلوية ، ب- ط، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

٦٩-خسروبناه، عبد الحسين، الكلام الإسلامي المعاصر، ترجمة: محمد حسين الواسطي- اسعد الكعبي، الناشر: دار الكفيل للطباعة والنشر، ط١، ١٤٣٨هـ-٢٠١٦م.

٧٠-الخطيب، عبد الكريم ، التفسير القرآني للقرآن، الناشر دار الفكر العربي – القاهرة.

٧١-الخوئي ، أبو القاسم (ت:١٤١٣هـ) ، كتاب الخمس، المطبعة : العلمية - قم ١٣٦٤ ش .

٧٢-الخوئي، أبو القاسم، الموسوي(ت:١٤١٣هـ)، البيان في تفسير القرآن، الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٤،١٣٩٥ -١٩٧٥ هـ.

٧٣-دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة.

٧٤-دستغيب، السيد عبد الحسين، التفكر، الناشر: دار البلاغة، لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٧٥-الدكتور سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي، الناشر: دار الفكر - دمشق - سوريا ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.

٧٦-الدكتور، مصطفى محمود، القرآن محاولة لفهم عصري جديد، ب-ط.

٧٧-ذبيحي، محمد صادق، الحجاب عز لا أسر، تعريب: سجاد الرضوي، الناشر: دار الأثر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، لبنان، ١٤٣٥هـ -٢٠١٤م.

٧٨-الذهبي، محمد حسين، الإسرائيليات في التفسير والحديث، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

٧٩-الرازي، ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم،

تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز -المملكة العربية السعودية، ط٣ -١٤١٩هـ.

٨٠-الرازي، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت:٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دارالفكر،١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

٨١-الرازي، أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، معالم أصول الدين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الكتاب العربي – لبنان.

٨٢-الرازي، أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، الملقب بفخر الدين خطيب الري(ت:٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب -التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣ -١٤٢٠ هـ.

٨٣-الراوي، فؤاد محسن ، الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي، الناشر: دار المأمون للطباعة والنشر، عمان ، ط١، ١٤٣٠ه- ٢٠٠٩م.

٨٤-رضوان، عمر بن إبراهيم، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، الناشر: دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٨٥-الزَّبيدي، أبو الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى(ت:١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٨٦-الزبيدي، أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف (ت:٨٩٣هـ) ، مختصر صحيح البخاري، الناشر: دار المنهاج للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٤٣٢هـ -٢٠١١م.

٨٧-الزحيلي، الدكتور وهبة بن مصطفى ، التفسير الوسيط ، الناشر: دار الفكر – دمشق، ط١ -١٤٢٢هـ.

٨٨-الزحيلي، الدكتور وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ.

٨٩-الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت:٧٩٤هـ) البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة،١٩٥٧م.

٩٠-الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت : ١٣٩٦هـ) الأعلام، الناشر : دار العلم للملايين، الطبعة ١٥، ٢٠٠٢م.

٩١-زكي الميلاد، الاسلام والتجديد ، الناشر: مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة، بيروت، ط١، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

٩٢-الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمرو بن أحمد جار الله(ت:٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ط٣ -١٤٠٧ هـ.

٩٣-الزيات أحمد/ إبراهيم مصطفى / حامد عبد القادر / محمد النجار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة.

٩٤-السبحاني، جعفر، العقيدة الإسلامية في ضوء مدرسة أهل البيت (ع) ، ترجمة: جعفر الهادي، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، ط١، ١٤٢٩هـ -١٩٩٨م.

٩٥-السبحاني، جعفر، عصمة الانبياء في القرآن الكريم، الناشر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٩٦-السبزواري، السيد عبد الأعلى (ت:١٤١٤هـ)، مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام، الناشر : مكتب آية الله العظمى السيد السبزواري ، المطبعة : فروردين ،ط٤، ١٤١٣هـ .

٩٧-السبزواري، عبد الأعلى الموسوي(ت:١٤١٤هـ)، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ب-ت، الناشر: مؤسسة أهل البيت، بيروت، ط١ ،١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

٩٨-السقاف، حسن بن علي، شرح العقيدة الطحاوية، الناشر: دار الإمام الرواس، بيروت- لبنان، ط٤، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

٩٩-السمرقندي، أبو الليث، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: ٣٧٣هـ)، بحر العلوم ، تحقيق: الشيخ علي محمد معوّض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمي ، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٠٠-السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٠١-القمني، سيد ، الفاشيون والوطن، الناشر: المركز المصري لبحوث الحضارة، ط١، ١٩٩٩م.

١٠٢-السيوطي، أبو بكر، عبد الرحمن بن جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالأثور، الناشر: دار الفكر – بيروت.

١٠٣-الشاربي، سيد قطب إبراهيم حسين (ت: ١٣٨٥هـ) ، في ظلال القرآن، الناشر: دار الشروق - بيروت- ، ط١٧ - ١٤١٢ هـ.

١٠٤-الشاطبي ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت: ٧٩٠هـ)، الاعْتِصَام، تحقيق د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٠٥-شحاتة محمد صقر، الشيعة هم العدو فاحذرهم، الناشر: مكتبة دار العلوم، البحيرة مصر.

١٠٦-الشرفي، عبد المجيد، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، الناشر: دار الطليعة، بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠٨م.

١٠٧-الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، تحقيق: الشيخ قيس بهجت العطار، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، ط١، ١٤٣٧هـ .

١٠٨-الشريف الرضي، نهج البلاغة، جمعة الشريف الرضي(ت:٤٣٨هـ) شرح الشيخ محمد عبده، خرج مصادره: فاتن محمد خليل اللبوت، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر، ط١ ،١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

١٠٩-الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي (ت:٤٣٦هـ) ، تنزيه الأنبياء، الناشر: دار الأضواء ، ط٢، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

١١٠-الشعراوي محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ) – الخواطر، الناشر: مطابع أخبار اليوم، ب، ط، ١٩٩٧ م.

١١١-الشعراوي، محمد متولي، محمد متولي الشعراوي وقضايا العصر، الناشر: دار الجبل، بيروت- لبنان، ط-٢.

١١٢-شلتوت، محمود، الإسلام عقيدة وشريعة، الناشر: دار الشروق، القاهرة، ط-١٨، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م

١١٣-الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (ت: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.

١١٤-الشيرازي، صدر الدين محمد، أسرار الآيات (ت:١٠٥٠هـ)، تحقيق: محمد خواجوى، الناشر: انتشارات انجمن اسلامى حكمت و فلسفه ايران، ١٤٠٢هـ .

١١٥-الشيرازي، محمد الحسيني، تقريب القرآن إلى الأذهان، الناشر: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١١٦-الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ط١ ،١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

١١٧-الشيرازي، ناصر مكارم، القواعد الفقهية، الناشر: مدرسة الإمام أمير المؤمنين (ع) ، ط٣، ١٤١١هـ .

١١٨-ابن شهر آشوب، محمد بن علي (ت: ٥٨٨هـ) ، متشابه القرآن ومختلفه، تحقيق: حامد المؤمن، الناشر: جمعية منتدى النشر، النجف، ط-١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١١٩-الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧ م.

١٢٠-الصابوني، محمد علي، مختصر تفسير أبن كثير، تحقيق: محمد علي، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ط٧، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.

١٢١-الصادق بالعيد، القرآن والتشريع قراءة جديدة في آيات الأحكام، الناشر: منشورات الحلبي الحقوقية، ط٣، ٢٠٠٤م.

١٢٢-الصافي، الشيخ لطف الله الگلپايگاني، فقه الحج بحوث استدلالية في الحج، الناشر: مؤسسة سيدة المعصومة عليها السلام، المطبعة: مطبعة ثامن الحجج عليه السلام ط١، ١٤٢٣ - ١٣٨١ ش.

١٢٣-الصدر، محمد باقر(ت:١٤٠٠هـ) اقتصادنا، الناشر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط١٤، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

١٢٤-الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(ت:٣٨١هـ)، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ط٢ ،١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٢٥-الصدوق، أبو جعفر، محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه القمي(ت:٣٨١هـ)، علل الشرائع، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف، ب-ط ،١٣٨٥ هـ -١٩٦٦ م.

١٢٦-الصدوق، أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(ت: ٣٨١هـ)، الخصال، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم المقدسة، ط٢، ١٤٠٣هـ .

١٢٧-الصدوق، ابو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(ت:٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضا (ع) ، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت – لبنان، المطبعة: مطابع مؤسسة الأعلمي ،ط١ ،١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤ م.

١٢٨-الصدوق، أبو جعفر، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت:٣٨١هـ)، الإعتقادات في دين الإمامية، تحقيق: عصام عبد السيد، الناشر: دار المفيد للطباعة، قم، ط٢ ، ١٤١٤ هـ.

١٢٩-الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ)، التوحيد، تحقيق هاشم الحسيني الطهراني، الناشر: دار المعرفة، بيروت-لبنان، ب- ط.

١٣٠-الصغير، محمد حسين علي: المبادئ العامة للتفسير بين النظرية والتطبيق، الناشر: دار المؤرخ ، بيروت – لبنان، ط١ ،١٤٢٠هـ:٢٠٠٠م.

١٣١-الصغير، محمد حسين علي، المستشرقون والدراسات القرآنية ، الناشر: دار المؤرخ العربي ، بيروت –لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٣٢-الصفار، الشيخ فاضل، الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية، الناشر: دار المحجة البيضاء، لبنان- بيروت، ط١ ،١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

١٣٣-الصلابي، محمد علي، الدولة الحديثة المسلمة دعائمها ووظائفها، الناشر: دار المعرفة، ب-ط، بيروت –لبنان.

١٣٤-صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، ط١، ١٩٩٩م.

١٣٥-الصنهاجي ، عبد الحميد محمد ابن باديس (ت: ١٣٥٩هـ) في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب: د. توفيق محمد شاهين ، محمد الصالح رمضان ، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية ،ب-ط. بيروت- لبنان.

١٣٦-الطباطبائي ، السيد محمد حسين ، قضايا المجتمع والأسرة والزواج على ضوء القرآن الكريم، الناشر: دار الصفوة، ب-ط .

١٣٧-الطباطبائي ، محمد حسين (ت:١٤٠٢هـ) ، بداية الحكمة، تحقيق : عباس علي الزارعي السبزواري ، ب- ط، ١٤١٨هـ .

١٣٨-الطباطبائي، محمد حسين(ت:١٤٠٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن، ب-ت، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١ ،١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٣٩-الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت: ٣٦٠هـ) المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢ ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١٤٠-الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت: ٣٦٠هـ) مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م.

١٤١-الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن (ت:٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القران، تحقيق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤١٥ هـ -١٩٩٥ م.

١٤٢-الطبرسي، أبي علي، الفضل بن الحسن (ت:٥٤٨هـ)، جوامع الجامع، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١ ،١٤١٨ هـ.

١٤٣-الطبري، أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١ ، ١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠ م.

١٤٤-طنطاوي، محمد سيد ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط١ ،١٩٩٧م.

١٤٥-الطهراني، مير سيد علي الحائري، مقتنيات الدرر، الناشر: الشيخ محمد الآخوندى دار الكتاب الإسلامية، مطبعة الحيدري، طهران،١٣٣٧هـ.

١٤٦-الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن (ت:٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر: دار أحياء التراث العربي، المطبعة: مكتب الاعلام الإسلامي، ط١ ، ١٢٠٩ هـ. ق.

١٤٧-طيب تنزيني، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، الناشر: دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٧م.

١٤٨-العاملي ، محمد بن الحسن بن علي (ت: ١١٠٤هـ)، الفصول المهمة في أصول الأئمة، تحقيق : محمد بن محمد الحسين القائيني، الناشر : مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا (ع)، ط١ ، قم، ١٤١٨ - ١٣٧٦ ش.

١٤٩-العاملي، السيد جعفر مرتضى، حقوق الحيوان في الإسلام، الناشر: المركز الإسلامي للدراسات، ط١ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٥٠-العاملي، جعفر مرتضى، مختصر مفيد، الناشر: المركز الإسلامي للدراسات، ط١، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.

١٥١-العاملي، حسن مكي، بداية المعرفة، منشورات: ذوي القربى، ط٢، قم المقدسة ، ١٤٣٣هـ- ق.

١٥٢-عبد الرحمن محمود، رحلة إيمانية مع رجال اسلموا، ط١، الناشر: دار الكتب المصري الحديث.

١٥٣-عبد الله بن أحمد بن علي الزيد ، مختصر تفسير البغوي، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، ط١ ، ١٤١٦هـ.

١٥٤-عبد الله شبر (ت: ١٤٤٢هـ) ، تفسير القرآن العظيم، الناشر: شركة ومكتبة الالفين، ط١، الكويت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٥٥-عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٥٦-العجلان، فهد بن صالح، التسليم للنص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة، الناشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط ٢، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

١٥٧-العز بن سلام، أبو محمد، عز الدين عبد العزيز بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت: ٦٦٠هـ) تفسير العز بن سلام، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، ط١ ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٥٨-العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الناشر: دار المعرفة – بيروت ب- ط، ١٣٧٩هـ.

١٥٩-العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت: ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ب-ط،١٤١٩هـ .

١٦٠-العشماوي، محمد سعيد، الخلافة الإسلامية، الناشر: دار سينا للنشر، مصر، ط٢، ١٩٩٢م.

١٦١-العشماوي، محمد سعيد، جوهر الإسلام، الناشر: مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، ط٤، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

١٦٢-عصام قصاب، البحث عن الحقيقة الكبرى، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٤٣١هـ -٢٠١٠م.

١٦٣-عقيقي، نجيب، المستشرقون، الناشر: دار المعارف، القاهرة، ط٥.

١٦٤-العلامة الحلي (ت: ٧٦٢هـ) مبادئ الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عبد الحسين محمد علي البقال، الناشر : مركز النشر - مكتب الإعلام الإسلام، المطبعة : مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، ط٣، ١٤٠٤هـ .

١٦٥-علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، الناشر: ار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٥٨م.

١٦٦-علي أصغر مرواريد ، الينابيع الفقهية، الناشر : دار التراث بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م.

١٦٧-أبو عيشة، الدكتور الأمير محفوظ، دراسات استشراقية للقرآن الكريم، الناشر: المركز الإسلامي للدراسات الاستتراتيجية في العتبة العباسية المقدسة، ط-١، ١٤٤١هـ -٢٠٢٠م.

١٦٨-حرب ، علي ، نقد النص، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط٤، ٢٠١٥م.

١٦٩-عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، الناشر دار الندوة العالمية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

١٧٠-عواضة، رضا ديب، لطائف النساء: إعداد وتحقيق منشورات دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان عام ١٩٨٩م.

١٧١-العياشي، أبي النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي(ت:٣٢٠هـ)، تفسير العياشي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ط٢ ،١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٧٢-الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١ ، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.

١٧٣-الغزالي، محمد بن محمد (ت:٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، الناشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

١٧٤-غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، الناشر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ب-ط، مصر، ٢٠١٢م.

١٧٥-الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: ١٧٠هـ)، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: مؤسسة دار الهجرة، إيران، ط٢ ،١٤٠٩ هـ .

١٧٦-فودة ، فرج ، الحقيقة الغائبة، الناشر: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

١٧٧-الفيروزآبادى، أبو طاهر، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨ ، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

١٧٨-الفيض الكاشاني، محمد محسن (ت: ١٠٩١هـ) ، الناشر: عطر عترت، ط١، قم، ١٤٣٠هـ .ق.

١٧٩-الفيومي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

١٨٠-قاسم أمين، المرأة الجديدة، الناشر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.

١٨١-قاسم أمين، تحرير المرأة ، الناشر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.

١٨٢-القاضي النعمان المغربي (ت: ٣٦٣هـ) دعائم الإسلام، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، الناشر: دار المعارف -القاهرة ،١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.

١٨٣-قراملكي، محمد حسن، المعاد واجوبة الشبهات، ترجمة: موسى أحمد قصير، الناشر: المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط١، مطبعة: دار الكفيل، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

١٨٤-القرشي، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ) ، تفسير مجاهد، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط١ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

١٨٥-القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت:٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

١٨٦-القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك(ت:٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط٣.

١٨٧-القطان، إبراهيم، تيسير التفسير، جمع وترتيب: جمال يوسف الهميلي، الناشر: مكتبة الملك فهد، المدينة المنورة، ب-ط، ١٤٢٧هـ .

١٨٨-قلعجي ، محمد رواس - حامد صادق قنيبي ،معجم لغة الفقهاء، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

١٨٩-القمي، أبي الحسن، علي بن إبراهيم(ت:٣٢٩هـ)، تفسير القمي، تح، طيب الجزائري، الناشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم -إيران، ط٣ ، ،١٤٠٤هـ.

١٩٠-القيرواني، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه ، تحقيق: الدكتور الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة

بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط١ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٩١-الكاشاني، المولى محمد محسن الفيض الكاشاني(ت:١٠٩١هـ)، الوافي، تحقيق: مكتبة أمير المؤمنين (عليه السلام)، الناشر: عطر عترت (عليه السلام)، المطبعة: رسول. قم المقدسة، ط١ ، ١٤٣٠هـ.ق.

١٩٢-الكاشاني، حسن الفيض الكاشاني (ت:١٠٩١هـ)، التفسير الصافي، الناشر: مكتبة الصدر – بطهران، ط٢، ١٤١٦هـ.

١٩٣-الكاشاني، فتح الله بن شكر الله(ت:٩٨٨هـ)، زبدة التفاسير، تحقيق: مؤسسة المعارف الإسلامية، إيران- قم، المطبعة : عترت، ط١، ١٤٢٣ هـ . ق.

١٩٤-الكتاب المقدس، سفر الخروج ، الاصحاح ٢١.

١٩٥-الكفوي ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي ، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٩٦- الكليني، أبي جعفر، محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت: ٣٢٩هـ)، الكافي، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة: الثالثة، ١٣٦٣هـ.

١٩٧-الماتريدي، أبو منصور، محمد بن محمد بن محمود، (ت: ٣٣٣هـ) تأويلات أهل السنة، تحقيق: الدكتور مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

١٩٨-مارسيل بوزار، إنسانية الإنسان، الناشر: دار الادب- بيروت ، ط،١.

١٩٩-المازندراني، للمولى محمد صالح (ت: ١٠٨١هـ)، شرح أصول الكافي، تحقيق: الميرزا أبو الحسن الشعراني الناشر: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، ط١ ،١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م.

٢٠٠-ماضي، محمود ، الوحي القرآني في المنظور الإستشراقي ونقده ، الناشر: دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط١، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

٢٠١-المجلسي، العلامة الحجة محمد باقر(ت:١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الناشر: مؤسسة الوفاء -بيروت – لبنان، ط٢ ،١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٢٠٢-مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، الناشر: مؤسسة اعمال الموسوعة، ط٢، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢٠٣-المحقق الحلي(ت: ٦٧٦هـ) ، المعتبر، تحقيق : تحقيق وتصحيح : عدة من الأفاضل ، إشراف : ناصر مكارم شيرازي، الناشر : مؤسسة سيد الشهداء (ع) - قم ، المطبعة : مدرسة الإمام أمير المؤمنين (ع) ، ١٣٦٤ ش.

٢٠٤-محمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ) ، تفسير القرآن الحكيم ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ب-ط، ١٩٩٠ م.

٢٠٥محمد خير بن رمضان، تكملة معجم المؤلفين، الناشر: دار ابن حزم، ط١ بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٠٦-محمود توفيق محمد، تغييب الإسلام الحق ودحض افتراءات دعاة التنوير على القرآن الكريم، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٠٧-محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، الناشر: دار الفضيلة، القاهرة. الأولى،١٤٣٨هـ -٢٠١٧م.

٢٠٨-محمود علي سرائب، القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية دراسة تقويمية نقدية، الناشر: العتبة العباسية المقدسة، ط-١، ١٤٤٢هـ -٢٠٢١م.

٢٠٩-المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية في العتبة العباسية ، اللاهوت المعاصر دراسة نقدية، الناشر: العتبة العباسية المقدسة، ط١، ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م.

٢١٠-مركز الرسالة، الرفق في المنظور الإسلامي، الناشر: مركز الرسالة - قم - ايران المطبعة : مهر – قم، ط١ ، ١٤١٨هـ .

٢١١-مركز الرسالة، العِصْمَةُ حَقيقَتُهَا – أَدِلَّتُهَا، الناشر: مركز الرسالة، المطبعة: مهر، ط١، ١٤٢٠هـ

٢١٢-مستر همفر، مذكرات مسترهمفر، الناشر: دار انوار الهدى، ترجمة: الدكتورج.خ، ايران، ط٣، المطبعة: مهر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٢١٣-المشهدي، العلامة المفسر المحدث الشيخ محمد بن محمد رضا القمي (ت:١١٢٥هـ)، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، تحقيق: حسين درگاهي، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، ط١ ، ١٣٦٦ هـ.

٢١٤-مطهري، مرتضى، الفطرة، ترجمة: جعفر صادق خليلي، الناشر: دار البعثة، بيروت، ط،١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٢١٥-مطهري، مرتضى، مسألة الحجاب، تحقيق: عبد الكريم الزهيري، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، آينده درخشان، مطبعة: الشريعة، ط٢، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.

٢١٦-مظاهري، المعاد في القرآن، ترجمة وتحقيق: لجنة الهدى، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٢١٧-المظفر، محمد رضا، العقائد الإمامية، الناشر: مكتبة الأمين، النجف الأشرف، مطبعة: النعمان، ب-ط، ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م.

٢١٨-المعتزلي، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، ط٢، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٢١٩-معرفة، محمد هادي، شبهات وردود حول القرآن الكريم، تحقيق: مؤسسة التمهيد، الناشر: ذوي القربى، قم، ط٤، ١٣٨٨هـ . ش – ٢٠٠٩م.

٢٢٠-مغنية ، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة(ت:١٤٠٠هـ) الناشر : انتشارات كلمة الحق ط١، ١٤٢٧هـ.ق.

٢٢١-مغنيّة، محمد جواد(ت:١٤٠٠هـ)، التفسير الكاشف، الناشر: دار العلمين، بيروت، ط١ ،١٩٦٨م.

٢٢٢-مغنية، محمد جواد، التفسير المبين، الناشر: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط٢، بيروت –لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٢٣-مغنية، محمد جواد، الشيعة في القرآن، الناشر: دار الشروق ، بيروت- لبنان، ب-ط.

٢٢٤-المفيد (ت:٤١٣هـ)، الاختصاص، تحقيق: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ،ط٢ ،١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م.

٢٢٥-المقداد السيوري(ت: ٨٢٦ هـ) ،كنز العرفان في فقه القرآن، الشيخ محمد باقر (شريف زاده) واخراج أحاديثه محمد باقر البهبودي، الناشر : المكتبة الرضوية - طهران ، المطبعة : حيدري، ١٣٨٤ - ١٣٤٣ ش.

٢٢٦-المقدّم، محمد أحمد إسماعيل المقدم ، عودة الحجاب، الناشر: دار ابن الجوزي، القاهرة – ط١ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٢٧-المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، ب-ت، الناشر: عالم الكتب عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط١ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٢٨-الموجود، والدكتور زكريا عبد المجيد النوني، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان -بيروت، ط١ ،١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢٢٩-المودودي ، أبو الأعلى بن أحمد حسن (ت: ١٣٩٩ هـ) الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، تعريب: خليل بن أحمد الحامدي الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع – الكويت، ط٤ ، ١٤٠٠ هـ -١٩٨٠ م.

٢٣٠-موريس بوكاي، التوراة والنجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث، ترجمة الشيخ حسن خالد، منشورات المكتب الإسلامي، لبنان-بيروت، ط٣ ، ١٤١١هـ -١٩٩٩٠م.

٢٣١-الموسوي ، حسين ، لله .. ثم للتاريخ كشف الأسرار وتَبْرِئَةُ الأئمةِ الأَطهارِ، الناشر: دار الأمل، ط٤ .

٢٣٢-مونتسكيو، شارل لوي دي سيكوندا، روح الشرائع، ترجمة: عادل زعيتر، الناشر: مؤسسة هنداوي، ب-ط، ٢٠١٧.

٢٣٣-النراقي، احمد بن محمد بن مهدي (ت: ١٢٤٤هـ) ، مستند الشيعة، تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث - مشهد المقدسة، الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث – قم، المطبعة : ستارة – قم، ط١ ، ١٤١٥هـ.

٢٣٤-نصر حامد ابو زيد، الإمام الشافعي وتأسيس الأديولوجية الوسطية، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م.

٢٣٥-النوري ، ميرزا حسين الطبرسي (ت: ١٣٢٠هـ) ، مستدرك الوسائل ، تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث - بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ م.

٢٣٦-نولدكه، تيودور، تاريخ القرآن، ترجمة: جورج تامر، الناشر: مؤسسة كونراد ادناو، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م.

٢٣٧-النووي، أبو زكرياء محيي الدين بن شرف، مجموع شرح المهذب، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، الناشر: كتبة الإرشاد ، جدة السعودية ، ب- ط.

٢٣٨-النيسابوري، ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم (ت: ٣١٩هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: سعد بن محمد السعد، الناشر: دار المآثر -المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م.

٢٣٩-النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت:: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. ب-ط.

٢٤٠-الهاشمي ، حبيب الله الخوئي (:١٣٢٤هـ) ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة تحقيق : سيد إبراهيم الميانجي، الناشر : بنياد فرهنگ امام المهدي (عج) ط٤ ، المطبعة : مطبعة الاسلامية بطهران.

٢٤١-الهاشمي، حسن علي، قراءة نقدية في تاريخ المستشرق ثيودور نولدكه، الناشر: مركز الهدى للدراسات الحوزوية، ط١١، ١٤٤٣هـ- ٢٠١٣م.

٢٤٢-هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة: نصير مروة و حسن قبيسي، الناشر: دار عويدات للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

٢٤٣-هوفمان، مراد، الإسلام كبديل، تعريب، عادل المعلم، الناشر: دار الشروق، القاهرة، ط،١، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

٢٤٤-هوكينغ ستيفن ، التصميم العظيم ، ترجمة: أيمن احمد عياد، الناشر: دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط،١، ٢٠١٣م.

٢٤٥-هيكل، محمد حسين ، حياة محمد، الناشر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ب-ط، مصر، ٢٠١٢م.

٢٤٦-وات، منتغمري، محمد في المدينة، تعريب: شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، صيدا – لبنان، ب-ط ، المطبعة العصرية للطباعة والنشر.

٢٤٧-وات، مونتغمري، محمد في مكة، ترجمة: عبد الرحمن الشيخ، الناشر: شبكة المهتدون، مصر، ٢٠٠٢م.

٢٤٨-الواحدي، لأبي الحَسن، عَلي بن أحمَد بن محمَّد النيسابوري، الشافعي (ت:٤٦٨هـ)، التفسير البسيط، تحقيق: د. محمَّد بن صالح بن عبد الله الفوزان، الناشر: جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ط١ ، ١٤٣٠ هـ.

٢٤٩-ويلز، هربرت جورج، معالم تاريخ الإنسانية ، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، ط٣، ١٩٦٣م.

٢٥٠-يحيى هارون، هدم نظرية التطور، ب، ط، الناشر: مكتبة عين الجامعة، أنقرة.

٢٥١-يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ترجمة : عمر لطفي العالم، الناشر: دار المدار الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.

الرسائل والأطاريح

٢٥٢-اسراء عطا ابراهيم: رسالة ماجستير، الحصانة الفكرية في ضوء السنة النبوية –دراسة موضوعية، اشراف : الدكتورة ليلى محمد رجب، الناشر: الجامعة الاسلامية في غزة، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٥م.

٢٥٣-أبو سمرة ، فتحي سبّاق، أطروحة دكتوراة، انحرافات الحداثيين في تفسير آيات الأحكام عرض ونقد، الناشر: دار اللؤلؤة ،مصر، ط-١، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.

٢٥٤-احمد إبراهيم محمود احمد ، الشذوذ الجنسي وحلوله في القرآن والسنة النبوية، رسالة ماجستير، ٢٠٢٢م.

٢٥٥-فتحية البشير، دور تعدد الزوجات في القضاء على العنوسة، رسالة ماجستير، جامعة الجلفة ريان عاشور- كلية الحقوق والعلوم السياسية، اشراف الدكتور: بشير عبد الرحمن، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٢٥٦-البيضاني ، أحمد عباس، معالم التفضيل في القرآن الكريم والسنة الشريفة دراسة تحليلية، أشراف الدكتور، حميد جاسم الغرابي، عام ٢٠٢٠م.

٢٥٧-حمادي هواري، النص القرآني وآليات الفهم المعاصر، أطروحة دكتوراه، أشراف الدكتور: بومدين بوزيد، جامعة وهران ، كلية العلوم الاجتماعية،٢٠١٢-٢٠١٣م.

٢٥٨-زاهدي، محمد صادق، دور العلوم المعرفية في دراسة الدين، جامعة ابن طفيل ، كلية العلوم الإنسانية ، ٢٠٢٠-٢٠٢١.

٢٥٩-زهرة حمدة، قضايا المرأة في فكر عائشة عبد الرحمن- بنت الشاطي- دراسة كتابها تراجم سيدات بيت النبوة، رسالة ماجستير، اشراف الدكتور- بشير بوساحة، كلية العلوم الإسلامية، ١٩٣٨هـ -٢٠١٧م.

٢٦٠-سهلة مسعي محمد ، اتجاهات الإعلاميين نحو ظهور المرأة المحجبة -دراسة ميدانية- جامعة الوادي- كلية العلوم الاجتماعية والسياسية، رسالة ماجستير، اشراف : الدكتور خالد حباسي، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٢٦١-الصاعدي، علي بن دخيل الله ، الإنحراف الجنسي بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور، يسرى محمد هاني، كلية الآداب للعلوم الإنسانية، جامعة طيبة ، المملكة العربية السعودية، ٢٠١١م.

٢٦٢-الظاهر، عبد العزيز بن عبد الرحمن، تطبيق الآيات على الوقائع المعاصرة من خلال المنار ومجالس التذكير والظلال، رسالة ماجستير، ١٤٢٥هـ -١٤٢٦م.

٢٦٣-الغريبي، خالد ، جدلية الأصالة والمعاصرة في أدب المسعدي، أشراف، الدكتور توفيق بكار، الجامعة التونسية، كلية الآداب، ١٩٨٨م.

٢٦٤-محمد جمال مصطفى، المستشرق الفرنسي بلاشير وآراءه في القرآن والتفسير دراسة نقدية، رسالة ماجستير، اشراف الدكتور عبد الفتاح العوادي، الناشر: كلية أصول الدين، القاهرة، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

٢٦٥-مثنى أمين الكردستاني، الجندر- المنشأ- المدلول- الأثر، ط١، عمان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٦٦-موسى، تكر الحاج، القضايا المعاصرة بحفظ النسل دراسة مقاصدية، إطروحة دكتوراه، إشراف: الدكتور موسى عمر كيتا، كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية ، ماليزيا، ٢٠١٣م.

٢٦٧-ميرغني، عرفة محمد، دراسة تفسيرية لمفهوم العدالة في تعدد الزوجات، رسالة ماجستير، اعداد الطالبة: عرفه محمد ، اشراف الدكتور السر محمد الأمين، ٢٠١٤-٢٠١٥م.

الدوريات والمجلات ومواقع الأنترنت

٢٦٨-أحمد إبراهيم، بحث بعنوان: صور من الشذوذ الجنسي المحرمة في القرآن الكريم والسنة واضراره والحكمة من تحريمه، الجامعة الاسلامية في ماليزيا.

٢٦٩-أحمد الحوثي، مقال بعنوان" هل فضل الله الرجال على النساء حيث قال: وللرجال عليهن درجة، مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث، التاريخ، ٢٠٢٢/١٠/٢٩، الساعة:١١ صباحاً.

٢٧٠-أحمد الرمح، الإسلاميون وإشكالية المعاصرة... الكورونا نموذجًا، ٩ نيسان/أبريل ٢٠٢٠.

٢٧١-الأسدي، محمد علي هاشم، بحث بعنوان: التبرج في الجامعات أحكامه، علاجه في ضوء القرآن الكريم والفقه الاسلامي، جامعة الكوفة ، مجلة كلية الفقه، العدد ١٥، ٢٠٠٥م.

٢٧٢-حسن حنفي: خواطر حاج ، صحيفة أخبار الأدب ، القاهرة ،عدد (٦٥٤) في ٢٢يناير٢٠٠٦م.

٢٧٣-حسن محمد خليفة، المسلمون والحوار الحضاري مع الآخر نقد نظرية صراع الحضارات، القاهرة مركز الدراسات الشرقية، العدد ٢،٢٠٠٣م.

٢٧٤-حسن مشيمش ، موقع لبنان الجديد ، مقال عنوان ، هل الخمس واجب، ١٥/كانون الثاني ٢٠١٨م.

٢٧٥-حنان شبانة، بحث بعنوان، التدابير الواقية والعلاجية للمجتمع من الشذوذ الجنسي في ضوء القرآن الكريم، مجلة الآداب، جامعة سوهاج، العدد ٢٨، ٢٠١٨م.

٢٧٦-دار الافتاء، مقال بعنوان: الرد على شبهة الحج طقوس وثنية، ٢٨/ ٣/ ٢٠١٣م.

٢٧٧-الدكتور علي حسين يوسف، من المشكلة إلى الإشكالية مسيرة مفهوم، مقال في مجلة الحوار المتمدن، نشر بتأريخ ٢٠١٤/٣/١٨.

٢٧٨-الدكتور، احمد إبراهيم خضر، مقال بعنوان: اعداد البحوث والرسائل العلمية من الفكرة حتى الخاتمة.

٢٧٩-راجي سلطاني، مقال بعنوان: شبهات حول فريضة الحج، مجلة البصائر، الإثنين، ٩ / يناير، ٢٠٢٣.

٢٨٠-سامر الإسلامبولي : مقال بعنوان: الحج أشهُرٌ معلومات والناس حصروه في أيام معدودات، الحوار المتمدن ، العدد/٥٠١٤، ٢٠١٦م.متاح على الربط https://www.ahewar.org/debat.

٢٨١-سيدا، عبد الباسط، ، مقال بعنوان: رؤية طيب تنزيني حول شرط الانتاج الفلسفي وآفاقه في الفكر العربي المعاصر، الناشر: مجلة قلمون.

٢٨٢-السعيد ، زينب بن محمد بن أحمد، بحث بعنوان: خطورة العنوسة وعلاجها من منظور إسلامي، مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات ، العدد ١٢، ٢٠٢٠م.

٢٨٣-صحيفة الخليج، مقال بعنوان: نحن نذبح الأضاحي والغرب يذبح الحقيقة، ١٨ديسمبر ٢٠٠٨، الساعة:٢:٢صباحاً.

٢٨٤-صفية الرفاعي، إثبات المعاد وبيان حقيقته، بحث منشور على المجلة الالكترونية الشاملة، العدد/٢٣، ٢٠٢٠م .

٢٨٥-عبد الكريم سروش: مقال بعنون : مسألة المرأة بين القوانين الفقهية ونظام القيم الإخلاقية، مجلة دراسات إسلامية معاصرة .

٢٨٦-العميري، سلطان، بحث بعنوان: التوظيف الحداثي للإجهادات العمرية قراءة نقدية، مجلة البيان، العدد:٢٨٥.

٢٨٧-فوزية الغالي، بحث بعنوان: الوظيفة الاقتصادية للحج والعمرة في الإسلام قديما وحديثا.

٢٨٨-محمد بوزانة: مقال بعنوان: هل يعارض الأميركيون ذبح المسلمين للأضاحي في العيد، ٢٥اكتوبر٢٠١٢.

٢٨٩-محمد عادل الرويني، مناقشة مفاهيمية لمصطلحي الإشكال والمشكلة وتطبيقها على قضايا العربية للناطقين بغيرها، مقال في منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، نشر بتاريخ٢٠١٨/١٢/١٢.

٢٩٠-موقع بيان الإسلام، مقال بعنوان: الزعم أنَّ شعائر الحج وآدابه طقوس وعادات مقتبسة من الجاهلية.

٢٩١-هاني ضوه : مقال بعنوان : هل الشعائر بقايا وثنية ، موقع مصراوي، الثلاثاء،٧/ أغسطس،٢٠١٨.

٢٩٢-يحيى الزهراني: مقال بعنوان: منظمة الرفق بالحيوان تصادم شريعة الرحمن، موقع صيد الفوائد http://www.saaid.net/Doat/yahia/8.htm

Conclusion

At the conclusion of this research related to contemporary problems, it was necessary for us to record some of the results that we believe are worthy of attention and attention, including:

1-Contemporary problems existed at the time of the Prophet (PBUH), but they were refined with good templates according to a modern vision, aimed at questioning the Islamic religion, and this is what we have seen from the problem of contemporary atheism.

2- The problematic identified the strengths of the Islamic religion, and started planning to hit it and spread their poison around it, including the personality of the Prophet, the Leader, and relied on some weak narrations from the other side to accuse the Prophet (PBUH) of being obsessed with sexuality, and his love for women, as is the case in accusing him of loving Zainab bint Jahsh, the wife of his stepson Zayd ibn al-Harithah. The Holy Qur'an had a method for dealing with this problem, and the same is the problem of the Prophet's (PBUH) violation of legislation.

3- Some contemporaries, such as Dawkins and others, tried to rely on unproven theories such as the theory of the cosmic explosion, and the theory of evolution in strengthening their views that there is no creator of the universe, so scientific theories were the means to deny the existence of God Almighty.

4 - The orientalists and others neglected the original sources in the Islamic religion, and sought to be content with late sources in most cases, or whose authenticity was not proven in codifying their problems.

5- Those with problems did not understand the real reasons for some legislation, as is the case in the marriage of the pretenders. Rather, it was legislated to eliminate some pre-Islamic habits that judge not to marry the wives of the pretenders, and this act needs a highly acceptable personality like the personality of the Prophet (PBUH) to remove and contain That problem, in addition to that, is that the Prophet (PBUH) did not marry them out of sexual instinct; Because most of them are old.

6- The wrong understanding of some theorists of the modernist trend towards some legislation, especially with regard to the obligation of zakat, and they did not understand the purpose of the legislation of these duties, so we see that they did not understand the obligation of zakat and did not understand the secret of these legislation and its basic purpose such as purification and purification and the material dimension of it, so their opinions were contrary to what was approved by the Qur'an Karim and the Sunnah to say that it is desirable for this duty.

7- The Holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet were creative in deterring such contemporary problems, and this insightful therapeutic view was not limited to a specific time, but rather it

transcends it to the Day of Resurrection, in order to stand in general towards the owners of these problems, and to disrupt the satanic role they are, and this treatment was one of the most important and prominent treatments.

8- It became clear that the orientalists, through their study of the Islamic religion, did not intend to highlight the bright aspects of Islamic legislation and its validity for all times, but rather their goals were to spread a spirit of skepticism in the souls of Muslims, in order to distance them from this religion, and not to deal with it as the best of religions.

The Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Karbala / College of Islamic Sciences
Department of Quranic Studies and
Jurisprudence

Quranic data and their role in addressing contemporary problems - an interpretive study -

A dissertation submitted by the student
(Ahmed Abbas Ehmail Al-Baydani)
To the Council of the College of Islamic Sciences at the University of Karbala
It is part of the requirements
Obtaining a doctorate degree in the Department of Quranic Studies and Jurisprudence
Supervisor
Mr. Dr. Subhi Odeh Al-Adly

1444 AH **2023** AD